



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir



ظروف حركة
سيد الشهداء
بين المدينة ومكة

سيد ظفر السيد جمال ظروف الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ظروف حركة سيد الشهداء عليه السلام بين المدينة و مكة

كاتب:

سيد علي جمال أشرف

نشرت في الطباعة:

مؤلف

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
20	ظروف حركة سيد الشهداء عليه السلام بين المدينة و مكة
20	اشارة
20	اشارة
24	الديباجة
34	المقدمة
34	(1)
34	اشارة
36	الإشارة الأولى: اعتماد ابن أعثم
37	الإشارة الثانية: تفرّد ابن أعثم
38	الإشارة الثالثة: معني الزيادة
40	الإشارة الرابعة: الاجتهاد مقابل النصوص
42	الإشارة الخامسة: دلالات الوصية لا تسجم مع الدعوي
42	الإشارة السادسة: كفاية رفض البيعة
42	الإشارة السابعة: دعوي لا تستقيم من رأس
43	الإشارة الثامنة: عرض الإمام (عليه السلام) أن يتركوه!
45	(2)
49	(3)
49	اشارة
50	أولاً: خذلوا الإمام (عليه السلام) علي علم
50	ثانياً: التزام الناس بالبيعة ليزيد
51	ثالثاً: موافقة الوالي علي الامهال
51	رابعاً: توفّر الفرص

52	خامساً: استثمار الطريق
53	سادساً: انطلاق الركب في الليل
53	سابعاً: دور السلطنة!
55	(4)
56	(5)
57	(6)
62	مختصر ما حدث قبيل الخروج
62	اشارة
71	الحصيلة في نقاط:
76	سبب امتناع الإمام (عليه السلام) عن البيعة
76	اشارة
78	سبب امتناع الإمام (عليه السلام) ببيان الإمام (عليه السلام) وتصوير العدو
82	شكوي سيد الشهداء (عليه السلام) قبل الخروج
84	وداع الإمام (عليه السلام) لقبر جدّه وأمه وأخيه (عليهم السلام)
86	وداع أمّ سلمة
86	اشارة
88	الودائع عند أمّ سلمة
90	وداع الهاشميّات
95	تاريخ خروج الإمام (عليه السلام)
95	اشارة
95	القسم الأوّل: التاريخ
95	اشارة
95	القول الأوّل: ليلة الأحد، يومين بقيا من رجب
96	القول الثاني: ليلتين بقيتا من رجب
96	القول الثالث: بقية من رجب

97	القول الرابع: ثلاث ليالٍ مضين من شعبان
97	القول الخامس: خمس خلون من شعبان
98	جمع الأقوال
98	القسم الثاني: الزمان
98	القول الأول: الليل
99	القول الثاني: نهراً
99	جمع الأقوال
100	ملاحظتان
100	الملاحظة الأولى: الخروج وقت السحر!
101	الملاحظة الثانية: حركة الإمام (عليه السلام) في الزمن الحرام
103	فخرج منها خائفاً
107	مَنْ خرج مع الإمام (عليه السلام)
107	جملة النصوص
107	إشارة
109	المجموعة الأولى: العناوين العامة
110	المجموعة الثانية: المنصوص علي أسمائهم
111	المجموعة الثالثة: المستثني
111	إشارة
112	النموذج الأول: محمد ابن الحنفية
112	النموذج الثاني: عمر بن علي
113	النموذج الثالث: فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام)
114	النموذج الرابع: عبد الله بن جعفر
115	النموذج الخامس: أم البنين (عليها السلام)
119	رواية العلامة الدرندي
119	إشارة

122	وقفَةُ عَجَلِي
122	اشارة
122	المشكلة الأولى: تفرّد العلامة الدربندي
122	المشكلة الثانية: اختلال التوقيت
123	المشكلة الثالثة: اتّفاق المصادر علي وصول الكتب في مكّة
123	المشكلة الرابعة: مضامين غريبة
123	اشارة
124	النموذج الأوّل:
124	النموذج الثاني:
124	النموذج الثالث:
125	النموذج الرابع:
125	المشكلة الخامسة: تصريحه بالتوجّه إلى الكوفة
125	فائدة الخبر
126	تصوير المازندراني لهيئة الركب ومكوّناته
126	اشارة
127	الخيل أو النياق والتجهيزات
128	فرس رسول الله (صلي الله عليه وآله)
128	سيف رسول الله (صلي الله عليه وآله)
129	درع رسول الله (صلي الله عليه وآله)
130	عمامة رسول الله (صلي الله عليه وآله)
130	حربة رسول الله (صلي الله عليه وآله)
131	إحصائية المازندراني لأفراد الركب
131	اشارة
131	[أخواته]
131	اشارة

- 131 1. زينب الكبرى (عليها السلام)
- 131 2. زينب الصغرى
- 131 3. خديجة
- 132 4. رقية الكبرى
- 132 5. أمّ هانئ
- 133 6. زينب الصغرى
- 133 7. رملة الكبرى
- 133 8. رقية الصغرى
- 133 9. فاطمة
- 134 10. خديجة الصغرى
- 134 11 و 12. أمّ سلمة وأختها ميمونة
- 134 13. جُمّانة
- 134 [زوجات أمير المؤمنين (عليه السلام)]
- 134 اشارة
- 134 1. الصهباى الثعلبية
- 135 2. أمّ مسعود بنت عروة
- 135 3. ليلى بنت مسعود
- 135 4. أمّ زينب الصغرى
- 135 5. أمّ خديجة
- 135 6. أمّ رقية الصغرى
- 135 7. أمّ فاطمة
- 135 8. أمّامة بنت أبي العاص
- 136 [نساء أخريات]
- 136 1. أمّ كلثوم الصغرى بنت زينب الكبرى
- 136 2. جُمّانة عمّة الإمام (عليه السلام)

136	[الجواري]
136	اشارة
136	[جواري السيكة زينب]
136	اشارة
137	1. فضة
137	2. قفيرة
138	3. روضة
139	4. أم رافع
139	[جواري الإمام سيد الشهداء (عليه السلام)]
139	اشارة
139	5. ميمونة
140	[جواري أزواج الإمام (عليه السلام)]
140	اشارة
140	6. فاكهة
140	7. حسنية
141	8. كبشة
141	9. مليكة
142	الموالي
142	اشارة
142	1. سليمان بن أبي رزين
142	2. قارب بن عبد الله الدولي
143	3. منجج بن سهم
143	4. سعد بن الحارث الخزاعي
143	5. نصر بن أبي نيزر
143	6. الحارث بن نبهان

- 143 7. جون بن حَوَيّ
- 144 8. أسلم بن عمرو
- 144 9. عقبة بن سمعان
- 145 10. عليّ بن عثمان الحضرميّ
- 146 إخوته
- 146 اشارة
- 146 1_ 4. العباس (عليه السلام) وإخوته
- 146 5 و6. محمّد الأصغر وأبو بكر
- 146 7. عمر بن عليّ
- 147 8. عون بن عليّ
- 147 9. محمّد الأوسط
- 147 أولاد جعفر بن أبي طالب
- 147 اشارة
- 147 1. عون الأكبر بن عبد الله بن جعفر
- 147 2 و3. محمّد وعُبيد الله ابنا عبد الله بن جعفر
- 148 4. عون بن جعفر
- 148 5. القاسم بن محمّد بن جعفر
- 148 أولاد عمّه عقيل
- 148 اشارة
- 148 1. جعفر بن عقيل
- 149 2. عبد الرحمان بن عقيل
- 149 3. محمّد بن أبي سعيد
- 149 4. عبد الله الأصغر
- 149 5. موسى بن عقيل
- 149 6. عليّ بن عقيل

- 149 7. أحمد بن عقيل ..
- 150 8. مسلم بن عقيل ..
- 150 9_ 12. صبيان من آل عقيل ..
- 150 زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) وأولاده ..
- 150 إشارة ..
- 151 1. الحسن المثنى ..
- 151 2_ 4. القاسم وعمرو وعبد الله ..
- 151 5_ 7. أحمد وأختاه أم الحسن وأم الحسين ..
- 151 8 و9. محمد وجعفر ..
- 152 10. أبو بكر ..
- 152 11_ 13. الحسين وطلحة وفاطمة ..
- 152 14_ 16. زيد وعبد الرحمان وأم الحسين ..
- 155 خروج ليلى زوجة الإمام (عليه السلام) ..
- 155 أدمي أخت الإمام الحسين (عليه السلام) ..
- 159 هل التحق بالإمام (عليه السلام) أحدٌ في طريق المدينة؟! ..
- 159 إشارة ..
- 160 الوقفة الأولى: مصدر الكلام ..
- 161 الوقفة الثانية: علي فرض الوقوف علي نسخةٍ خاصّة ..
- 161 الوقفة الثالثة: سعة ديار جُهينة ..
- 163 الوقفة الرابعة: التحاق الأعراب في طريق المدينة! ..
- 163 الوقفة الخامسة: تصريح المامقاني ..
- 164 الوقفة السادسة: الأعراب! ..
- 165 الوقفة السابعة: لم يدعهم الإمام (عليه السلام)! ..
- 167 ملاحقة الإمام عند الخروج من المدينة ..
- 171 مطاردة الركب في طريق مكة ..

- 171 اشارة
- 172 جواب الإمام سيد الشهداء (عليه السلام)
- 172 اشارة
- 172 الجواب الأول: البقاء علي الجادة حتي يقضي الله
- 173 الجواب الثاني: أكثر صراحة
- 173 اشارة
- 174 الإفادة الأولى: عدم الإنكار علي الملتمس
- 175 الإفادة الثانية: التمثيل بشعر ابن المفرغ
- 176 الإفادة الثالثة: التصريح في شعر المقتل
- 177 سؤال!
- 177 اشارة
- 179 التأمل الأول: السبب المنصوص
- 179 التأمل الثاني: التعليل الثاني
- 180 التأمل الثالث: سرعة الحركة
- 180 التأمل الرابع: اللقاء بكلّ المآزة والقوافل وتساؤلهم!
- 181 التأمل الخامس: ثمرة الافتراض
- 182 التأمل السادس: اختيار الطريق الأعظم والشرعية!
- 185 إمكان المطاردة في الطريق
- 185 اشارة
- 185 السبب الأول: الاستعداد الإعلامي
- 186 السبب الثاني: الاستعداد العسكري
- 186 اشارة
- 187 الضرورة الأولى: معرفة الأعداء قوة سيد الشهداء (عليه السلام)
- 188 الضرورة الثانية: منطقة حواضر
- 189 الضرورة الثالثة: إمكان تحريك القطعات

189	الضرورة الرابعة: احتمال حصول الأنصار
190	الضرورة الخامسة: الظروف
191	السبب الثالث: تخطيط العدو للاغتيال
191	السبب الرابع: غموض الموقف
193	السبب الخامس: زمام المبادرة
194	السبب السادس: حركة الإمام (عليه السلام) في المنطقة الآمنة
195	السبب السابع: صعوبة مطاردة ركبين في آنٍ واحد
197	السبب الثامن: سرعة حركة الركب الحسيني
197	إشارة
199	الإمامة الأولى: التخفي في الخروج
200	الإمامة الثانية: استعجال السير
201	الإمامة الثالثة: الوقت وإمكان اللقاء بالناس في المنازل
201	الإمامة الرابعة: عدم تسجيل أي نشاط في الطريق
202	الإمامة الخامسة: أزالام السلطة في الطريق
203	لقاء أفواج الملائكة والجنّ مع سيد الشهداء وجوابه (عليه السلام)
203	إشارة
205	الإشارة الأولى: تخوف الملائكة من عدوٍ يلقاه
206	الإشارة الثانية: أفواج الجنّ تُعدُّ بقتل كلِّ عدوٍ
206	الإشارة الثالثة: استشهاد المطلوبين
207	الإشارة الرابعة: قتل العدو قبل أن يصل إلي الحسين (عليه السلام)
207	الإشارة الخامسة: إقامة الحجّة
209	لقاء عبد الله بن مطيع
209	إشارة
209	المتابعة الأولى: مَنْ هو عبد الله بن مطيع؟
210	المتابعة الثانية: قصد مكة بالذات أولاً

- 210 اشارة
- 211 التأمّل الأول: تصريح سيّد الشهداء (عليه السلام)
- 212 التأمّل الثاني: خوف ابن مطيع علي سيّد الشهداء (عليه السلام) من القتل
- 213 التأمّل الثالث: دعوات المكّيّين!
- 213 اشارة
- 214 المعالجة الأولى: احتمال السقط
- 215 المعالجة الثانية: الاضطراب في المتن
- 215 المعالجة الثالثة: قبول الخير
- 217 التأمّل الرابع: الاستنهاض والاستتصار
- 218 التأمّل الخامس: دعوة الشيعة من كلّ أرض
- 219 المتابعة الثالثة: موقف ابن مطيع
- 220 المتابعة الرابعة: مؤدّي اللقاء
- 223 لقاء العبدّين ابن عباس وابن عمر بالإمام!
- 223 اشارة
- 224 المشكلة الأولى: ابن عمر في المدينة وابن عباس في مكّة
- 225 المشكلة الثانية: قول الشيخ ابن نما
- 225 المشكلة الثالثة: خروج ابن الزبير قبل الإمام (عليه السلام)
- 226 المشكلة الرابعة: اختلاف الطريق
- 227 لقاء ابن عمر وابن عباس!
- 227 اشارة
- 228 النكزة الأولى: المناقشات السابقة
- 228 النكزة الثانية: مؤدّيات كلام ابن عمر
- 229 النكزة الثالثة: إعلان وجهة الإمام (عليه السلام)!
- 231 دخول مكّة المكرّمة الدخول الهادئ
- 231 اشارة

- 232 تلاوة قوله (تعالى): (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ ...) ..
- 232 اشارة ..
- 232 الدلالة الأولى: المراد بالسبيل ..
- 233 الدلالة الثانية: قراءة الآية عند الخروج وتتمتها عند الدخول ..
- 235 الدلالة الثالثة: استمرار الملاحقة ..
- 237 الدلالة الرابعة: الاستخارة ..
- 238 الدلالة الخامسة: طلب العافية والاستقرار في مكة إلي حين ..
- 239 الدلالة السادسة: الإشعار بعدم تحديد المقصد الأخير ..
- 241 لماذا قصد الإمام (عليه السلام) مكة أولاً؟ ..
- 241 اشارة ..
- 241 القسم الأول: غير المنصوص ..
- 241 اشارة ..
- 241 العامل الأول: حصانة مكة ..
- 244 العامل الثاني: قربها من المدينة ..
- 244 العامل الثالث: توفر الغطاء المسوّغ ..
- 245 العامل الرابع: توظيف فرصة تجمع المسلمين ..
- 245 اشارة ..
- 245 السبب الأول: التوقيت الاضطراري ..
- 246 السبب الثاني: مواقف الإمام (عليه السلام) في مكة ..
- 246 قد يُقال: ..
- 247 القسم الثاني: المنصوص ..
- 247 اشارة ..
- 247 التصريح الأول: تصريح سيد الشهداء (عليه السلام) بعلّة قدومه إلي مكة ..
- 247 اشارة ..
- 248 التلويح الأول: التصريح بسبب القدوم ..

248 التلويح الثاني: التلويح بالمطاردة
249 التلويح الثالث: خلوّ التصريح من التهديد وما بمعناه
249 التلويح الرابع: مناسبة الجواب للسؤال
249 التصريح الثاني: الإمام (عليه السلام) يُخبر ابنَ عباسٍ أنّه جاء مكةً مستجيراً
251 التصريح الثالث: تصريح الإمام (عليه السلام) أنّه جاء مستوطناً
251 اشارة
252 النقطة الأولى: الاستيطان والإقامة أبداً
253 النقطة الثانية: شرط البقاء
253 اشارة
253 الشعبة الأولى: الحبّ
256 الشعبة الثانية: النصرة
257 النقطة الثالثة: فرض عدم توقّر الشرط
259 النقطة الرابعة: البديل
259 اشارة
259 الموقف الأوّل: الاستبدال
261 الموقف الثاني: الاستعصام بكلمة إبراهيم (عليه السلام)
262 النقطة الخامسة: التشبيه بإبراهيم الخليل
265 المنازل بين مكةً والمدينة
265 المسافة بين المدينة ومكة
266 المراحل بين الحرمين
266 اشارة
266 المرحلة الأولى:
267 المرحلة الثانية:
267 المرحلة الثالثة:
267 المرحلة الرابعة:

- 267 المرحلة الخامسة:
- 268 المرحلة السادسة:
- 268 المرحلة السابعة:
- 268 المرحلة الثامنة:
- 268 المرحلة التاسعة:
- 268 المرحلة العاشرة:
- 269 منازل الطريق
- 269 (1) ذو الحليفة
- 269 (2) الحفير، أو الحفيرة (نهر)
- 270 (3) ملل، أو فرش ملل (الفرش)
- 271 (4) السبالة
- 272 (5) الروحاء
- 273 (6) عرق الظبية، طُبَيْةُ
- 274 (7) المنصرف (المسيجد)
- 275 (8) الروثة
- 275 (9) الصفراء
- 277 (10) بدر
- 279 (11) الأثابة
- 280 (12) العرج
- 281 (13) السقيا
- 283 (14) الأبواء
- 284 (15) الجُحفة
- 286 (16) ودان
- 286 (17) عقبة هرشي
- 288 (18) ذات الأصافر

288	(19) بئر الطلوب بعد السقيا
289	(20) لحي جمل
289	(21) وادي العبايد
290	(22) القاحه
290	(23) كليّة
291	(24) المشلل
291	(25) قديد
292	(26) خيمتا أم معبد
293	(27) خليص
293	(28) أمج
294	(29) الكديد
294	(30) عسفان
296	(32) غزال -- ثنية غزال
296	(33) كراع الغميم
297	(34) بطن مرّ
297	(35) سرف
298	(36) مكّة
298	المنازل في لفظ اليعقوبي:
300	طريق الجادّ من المدينة الي مكّة
300	اشارة
300	طريق آخر
301	الطريق الذي سلكه سيد لشهداء (عليه السلام)
303	الخاتمة
307	محتويات الكتاب
333	تعريف مركز

ظروف حركة سيد الشهداء عليه السلام بين المدينة و مكة

اشارة

ظروف حركة سيد الشهداء (عليه السلام) بين المدينة و مكة

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

زبان: عربي

تعداد صفحات: 300ص

موضوع: امام حسين عليه السلام

خيرانديش ديچيتالي : بيادبود مرحوم حاج سيد مصطفى سيد حنايي

ص: 1

اشارة

ظروف حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) بين المدينة ومكّة

تأليف:

السّيّد علي السّيّد جمال أشرف الحسيني

ص: 3

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الملك الحق المبين، المدبر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير، الأول غير موصوف، والباقي بعد فناء الخلق، العظيم الربوبية، نور السماوات والأرضين وفاطرهما ومبتدعهما، بغير عمد خلقهما، فاستقرت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثم علا ربنا في السماوات العلي، الرحمان علي العرش استوي، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، فأنا أشهد بأنك أنت الله، لا رافع لما وضعت، ولا واضع لما رفعت، ولا معز لمن أذلت، ولا مُذل لمن أعزّزت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت (1).

اللَّهُمَّ واجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ، عَلَي مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْعَلَقَ، وَالْمُعَلِّنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالِدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ، وَالِدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ، فَاصْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَن قَدَمٍ، وَلَا وَاوِي عَزْمٍ،

ص: 5

وَاعِيًا لِرُوحِيكَ، حَافِظًا لِعَهْدِكَ، مَا ضِيًّا عَلَيَّ نَفَازِ أَمْرِكَ، حَتَّى أُرِي قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقِ لِلْخَابِطِ، وَهُدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ خَوْصَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِعَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَبَرَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمُخْزُونِ، وَسَهِّ هَيْدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيَّتِكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولِكَ إِلَيَّ الْخَلْقِ (1).

اللَّهُمَّ وَضَاعِفْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَيَّ عِتْرَةَ نَبِيِّكَ، الْعِتْرَةَ الضَّائِعَةَ الْخَائِفَةَ الْمُسْتَدَلَّةَ، بِقِيَّةِ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ الزَّكَايَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَأَعْلِ -- اللَّهُمَّ -- كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْلِحْ حُجَّتَهُمْ، وَكَشِفِ الْبَلَاءَ وَاللَّأْوَاءَ، وَخَنَادِسَ الْأَبَاطِيلِ وَالْعَمِيَّ عَنْهُمْ، وَثَبِّتْ قُلُوبَ شِيَعَتِهِمْ وَحُزْبَكَ عَلَيَّ طَاعَتِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ وَنَصْرَتِهِمْ وَمَوَالِيَتِهِمْ، وَأَعْنِهِمْ، وَامْنَحِهِمُ الصَّبْرَ عَلَيَّ الْأَذَى فِيكَ، وَاجْعَلْ لَهُمْ أَيَّامًا مَشْهُودَةً، وَأَوْقَاتًا مَحْمُودَةً مَسْعُودَةً، تَوْشِكُ فِيهَا فَرَجَهُمْ، وَتُوجِبُ فِيهَا تَمَكِينَهُمْ وَنَصْرَهُمْ، كَمَا ضَمِنْتَ لِأَوْلِيَائِكَ فِي كِتَابِكَ الْمَنْزَلِ، فَإِنَّكَ قُلْتَ -- وَقَوْلِكَ الْحَقِّ -- : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَ تَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) (2).

ص: 6

1- نهج البلاغة: 101 خ 72.

2- مصباح المتعجب: 785.

والعنِ اللَّهُمَّ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَآخَرَ تَابِعٍ لَهُ عَلِيٌّ ذَلِكَ، اللَّهُمَّ وَأَهْلِكَ مَنْ جَعَلَ يَوْمَ قَتْلِ ابْنِ نَبِيِّكَ وَخَيْرَتِكَ عِيداً،
وَاسْتَهَلَّ بِهِ فَرِحاً وَمَرِحاً، وَخُذْ آخِرَهُمْ كَمَا أَخَذْتَ أَوَّلَهُمْ، وَأَضْعِفِ اللَّهُمَّ الْعَذَابَ وَالتَّنْكِيلَ عَلَيَّ ظَالِمِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ، وَأَهْلِكَ أَشْيَاعَهُمْ
وَقَادَتَهُمْ، وَأَبْرِ حَمَاتِهِمْ وَجَمَاعَتَهُمْ (1).

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيَّ حَبِيبِي وَمَالِكِ رَقِيٍّ وَسَيِّدِي وَإِمَامِي، الشَّهِيدِ السَّعِيدِ، وَالسَّبْطِ الثَّانِي، وَالْإِمَامِ الثَّلَاثِ، وَالْمُبَارَكِ، وَالتَّابِعِ لِمَرْضَاةِ اللَّهِ،
الْمُتَحَقِّقِ بِصِفَاتِ اللَّهِ، وَالِدَلِيلِ عَلَيَّ ذَاتِ اللَّهِ، أَفْضَلِ ثَقَاتِ اللَّهِ، الْمَشْغُولِ لَيْلاً وَنَهَاراً بِطَاعَةِ اللَّهِ، النَّاصِرِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ، الْمُنْتَقِمِ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ،
الْإِمَامِ الْمَظْلُومِ، الْأَسِيرِ الْمَحْرُومِ، الشَّهِيدِ الْمَرْحُومِ، الْقَتِيلِ الْمَرْجُومِ، الْإِمَامِ الشَّهِيدِ، الْوَلِيِّ الرَّشِيدِ، الْوَصِيِّ السَّعِيدِ، الطَّرِيدِ الْفَرِيدِ، الْبَطْلِ
الشَّدِيدِ، الطَّيِّبِ الْوَفِيِّ، الْإِمَامِ الرِّضِيِّ، ذِي النِّسْبِ الْعَلِيِّ، الْمَنْفِقِ الْمَلِيٍّ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَام) ..

مَنْعِ الْأُئِمَّةِ، شَافِعِ الْأُمَّةِ، سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَعَبْرَةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، صَاحِبِ الْمَحْنَةِ الْكَبِيرِي، وَالْوَاقِعَةِ الْعَظْمِي، وَعَبْرَةَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دَارِ
الْبَلْوِي، وَمَنْ كَانَ بِالْإِمَامَةِ أَحَقَّ وَأَوْلِي، الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ، ثَانِي السَّيِّدِ الْحَصُورِ يَحْيَى ابْنَ النَّبِيِّ الشَّهِيدِ زَكَرِيَّا (عَلَيْهِ السَّلَام) ، الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
الْمَرْتَضِيِّ ..

ص: 7

زين المجتهدين، وسراج المتوكلين، مفخر أئمة المهتدين، وبضعة كبد سيّد المرسلين (صلي الله عليه وآله وسلم)، نور العترة الفاطمية، وسراج الأنساب العلوية، وشرف غرس الأحساب الرضوية، المقتول بأيدي شرّ البرية، سبط الأسباط، وطالب الثأر يوم الصراط، أكرم العتر، وأجلّ الأسر، وأثمر الشجر، وأزهر البدر، معظّم مكرّم موقر، منظّف مطهّر..

أكبر الخلائق في زمانه في النفس، وأعزهم في الجنس، أذكاهم في العرف، وأوفاهم في العرف، أطيب العرق، وأجمل الخلق، وأحسن الخلق، قطعة النور، ولقلب النبيّ (صلي الله عليه وآله وسلم) سرور، المنزّه عن الإفك والزور، وعليّ تحمّل المحن والأذى صبور، مع القلب المشروح حسور، مجتبي الملك الغالب، الحسين بن عليّ بن أبي طالب (1).

الذي حمّله ميكائيل، وناغاه في المهدي جبرائيل، الإمام القليل، الذي اسمه مكتوب عليّ سرادق عرش الجليل: «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، الشافع في يوم الجزاء، سيّدنا ومولانا سيّد الشهداء (عليه السلام) (2).

الذي ذكره الله في اللوح الأخضر، فقال: «... وجعلتُ حسيناً خازنَ وحيي، وأكرمتُهُ بالشهادة، وختمتُ له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفعُ

ص: 8

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 113 -- بتحقيق: السيّد عليّ أشرف الحسيني.

2- معالي السبطين: 61.

الشهداء درجة، جعلتُ كلمتي التامة معه، والحجة البالغة عنده، وبعترته أثيبُ وأعاقبُ» (1).

الذي قال فيه جده المبعوث رحمة للعالمين (صلي الله عليه وآله): «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً» (2).

وقال رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) -- وهو الصادق الأمين -- : «إِنَّ حُبَّ عَلِيِّ قَدْ فِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَإِنَّ حُبَّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ قَدْ فِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَلَا تَرَى لَهُمْ دَامًا» (3).

فمن أي المخلوقات كان أولئك المردة العتاة، وأبناء البغايا الرخيصات، الذين قاتلوه بغضاً لأبيه، وسبوا الفاطميات، ولم يحفظوا النبي (صلي الله عليه وآله) في ذراريه!!

قال الإمام سيّد الساجدين (عليه السلام): «أيها الناس، أصبحنا مطرّدين مشرّدين شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد تركٍ وكابل، من غير جرمٍ اجترناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلّة في الإسلام ثلّمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، (إن هذا إلا اختلاق). فوالله لو أن النبي (صلي الله عليه وآله) تقدّم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا لَمَا ازدادوا علي ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة

ص: 9

1- كمال الدين: 290 / 2 ح 1.

2- بحار الأنوار: 314 / 45.

3- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 47 / 9، بحار الأنوار: 281 / 43 الباب 12.

ما أعظمها، وأوجعها، وأفجعها، وأكظها، وأقطعها، وأمرها، وأفدحها، فعند الله نحتسبه فيما أصابنا وما بلغ بنا، إنه عزيزٌ ذو انتقام» (1).

ولكنَّ الله لهم بالمرصاد، فإنَّ دمه الزاكي الذي سكن في الخلد، واقتسعت له أظلة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهنَّ، وما بينهنَّ، ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا، وما يُرى وما لا يُرى، سوف لا ولم ولن يسكن، لأنَّه قتل الله وابن قتيله، وثار الله وابن ثاره، ووتر الله الموتور في السماوات والأرض (2)، حتَّى (يبعث الله قائماً، يفرِّج عنها همَّ والكربات).

قال الحسين (عليه السلام): «يا ولدي يا عليّ، والله لا يسكن دمي حتَّى يبعث الله المهديّ» (3).

فذلك قائم آل محمّد (عجل الله تعالي فرجه الشريف) يخرج، فيقتل بدم الحسين بن علي (عليهما السلام) .. «وإذا قام -- قائمنا -- انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين» (4).

وقد بشر بذلك رسول رب العالمين (صلي الله عليه وآله وسلم)، فقال:

«لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أَوْحَى إِلَيَّ رَبِّي (جَلَّ جَلَالُهُ) فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي

ص: 10

1- بحار الأنوار: 45 / 147.

2- أنظر: بحار الأنوار: 98 / 151 الباب 18.

3- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 134.

4- بحار الأنوار: 52 / 376.

أطلعتُ علي الأرضِ اطلاعاً فاخترتُك منها، فجعلتكُ نبياً، وشققتُ لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم أطلعتُ الثانية فاخترتُ منها علياً، وجعلته وصيكَ وخليفتك، وزوج ابنتك، وأبا ذريتك، وشققتُ له اسماً من أسمائي، فأنا العليّ الأعلي وهو عليّ، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوركما، ثم عرضتُ ولايتهم علي الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقرّيين.

يا محمد، لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع ويصير كالشئ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم، فما أسكنته جنّتي، ولا أظللته تحت عرشي.

يا محمد، تحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم يا ربّ.

فقال (عزّ وجلّ): إرفع رأسك.

فرفعتُ رأسي، وإذا أنا بأنوار عليّ وفاطمة والحسن والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمد بن عليّ، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمد بن عليّ، وعليّ بن محمد، والحسن بن علي، و (م ح م د) بن الحسن القائم في وسطهم كأنه كوكبٌ دُرّي.

قلت: يا ربّ، ومن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأنمة، وهذا القائم الذي يحلّل حلالِي، ويحرّم حرامِي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحةٌ لأولياي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيُخرج اللّات والعزّي طريّين فيحرقهما، فلفتنة الناس

- يومئذٍ -- بهما أشدّ من فتنة العجل والسامري» (1).

وروي عبد الله بن سنان قال: دخلتُ علي سيدي أبي عبد الله جعفر ابن محمّد (عليهما السلام) في يوم عاشوراء، فألفيته كاسفَ اللّون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا ابن رسول الله، ممّ بكائك؟ لا أبكي الله عينيك!

فقال لي: «أو في غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين بن عليّ أُصيبَ في مثل هذا اليوم؟!».

فقلت: يا سيدي، فما قولك في صومه؟

فقال لي: «صمه من غير تبيت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كمالاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعةٍ علي شربةٍ من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله، وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعزّ علي رسول الله (صلي الله عليه وآله) مصرعهم، ولو كان في الدنيا -- يومئذٍ -- حيّاً لكان (صلي الله عليه وآله) هو المعزّي بهم». قال: وبكي أبو عبد الله (عليه السلام) حتّي اخضلت لحيته بدموعه..

ثمّ علّمه آداب يوم عاشوراء، وآداب الزيارة في ذلك اليوم، إلي أن قال: «ثمّ قل: اللهمّ عذب الفجرة الذين شاقوا رسولك، وحاربوا أولياءك، وعبدوا غيرك، واستحلّوا محارمك، والعن القادة والأتباع، ومن كان منهم فخب وأوضع

ص: 12

1- كمال الدين: 1 / 252 الباب 23 ح 2، بحار الأنوار: 52 / 379 ح 185.

معهم أَرْضِي بِفَعْلِهِمْ، لَعْنًا كَثِيرًا. اللَّهُمَّ وَعَجِّلْ فَرَجَ آلِ مُحَمَّدٍ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ، وَاسْتَنْقِذْهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمُنَافِقِينَ الْمَضَلِّينَ، وَالْكَفْرَةَ الْجَاهِدِينَ، وَافْتَحْ لَهُمْ فَتْحًا يَسِيرًا، وَأَنْحِ لَهُمْ رُوحًا وَفَرَجًا قَرِيبًا، وَاجْعَلْ لَهُمْ مِنْ لَدُنْكَ عَلَيَّ عَدُوًّا وَعَدُوَّهُمْ سُلْطَانًا نَصِيرًا. اللَّهُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَّةِ نَاصَبَتِ الْمُسْتَحْفِظِينَ مِنَ الْأَنْمَةِ، وَكَفَرَتْ بِالْكَلمَةِ، وَعَكَفَتْ عَلَيَّ الْقَادَةَ الظَّلمَةَ، وَهَجَرَتْ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَعَدَلَتْ عَنِ الْحَبْلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَمَرْتَ بِطَاعَتِهِمَا وَالتَّمَسُّكِ بِهِمَا، فَأَمَاتتِ الْحَقَّ، وَجَارَتْ عَنِ الْقِصْدِ، وَمَالَاتِ الْأَحْزَابَ، وَحَرَفَتْ الْكِتَابَ، وَكَفَرَتْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهَا، وَتَمَسَّ كِتَابَ الْبَاطِلِ لَمَّا اعْتَرَضَهَا، وَضَيَّعَتْ حَقَّكَ، وَأَضَلَّتْ خَلْقَكَ، وَقَتَلَتْ أَوْلَادَ نَبِيِّكَ، وَخَيْرَةَ عِبَادِكَ، وَحَمَلَةَ عِلْمِكَ، وَوَرِثَةَ حِكْمَتِكَ وَوَحْيِكَ، اللَّهُمَّ فَزَلْزِلْ أَقْدَامَ أَعْدَائِكَ، وَأَعْدَاءَ رَسُولِكَ وَأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِكَ، اللَّهُمَّ وَأَخْرِبْ دِيَارَهُمْ، وَافْلُلْ سِلَاحَهُمْ، وَخَالَفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَفَتِّ فِي أَعْضَادِهِمْ، وَأَوْهِنْ كَيْدَهُمْ، وَاضْرِبْهُمْ بِسَيْفِكَ الْقَاطِعِ، وَارْمِهِمْ بِحَجْرِكَ الدَّامِغِ، وَطَمِّمْهُمْ بِالْبَلَاءِ طَمًّا، وَقَمِّمْهُمْ بِالْعَذَابِ قَمًّا، وَعَذِّبْهُمْ عَذَابًا نَكْرًا، وَخَذِّمْهُمْ بِالسِّنِينَ وَالْمِثْلَاتِ الَّتِي أَهْلَكْتَ بِهَا أَعْدَاءَكَ، إِنَّكَ ذُو نِقْمَةٍ مِنَ الْمَجْرَمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّ سُنَّتَكَ ضَائِعَةٌ، وَأَحْكَامَكَ مَعْطَلَةٌ، وَعَتْرَةَ نَبِيِّكَ فِي الْأَرْضِ هَائِمَةٌ، اللَّهُمَّ فَأَعِنِ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَاقْمَعْ الْبَاطِلَ وَأَهْلَهُ، وَمُنِّ عَلَيْنَا بِالنِّجَاةِ، وَاهْدِنَا إِلَى الْإِيمَانِ، وَعَجِّلْ فَرَجَنَا، وَانظِمْهُ بِفَرَجِ أَوْلِيَانِكَ، وَاجْعَلْهُمْ لَنَا وَدًّا، وَاجْعَلْنَا لَهُمْ وَفِدَاءً» (1).

ص: 13

والصلاة والسلام علي أصحاب الحسين (عليه السلام)، الذين كشف لهم سيّد الشهداء (عليه السلام) (الغطاء، حتّي رأوا منازلهم من الجنة، فكان الرجل منهم يُقدّم علي القتل ليبادر إلي حوراء يعانقها، وإلي مكانه من الجنة) (1)، ووعدهم ربّ العزة أن يعيد لهم الكرة علي أعدائهم، فقال: (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ)، يخاطب بذلك أصحاب الحسين (2).

اللّهم صلّ علي محمّد وآل محمّد، وتوفّقنا علي الإيمان بك والتصديق برسولك والولاية لعليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) والأئمّة من وُلده، والبراءة من أعدائهم (3).

ص: 14

1- علل الشرائع: 1 / 229 الباب 163 ح 1، بحار الأنوار: 44 / 297 الباب 35 ح 1.

2- تأويل الآيات الظاهرة: 272.

3- أنظر: المزار لابن المشهدي: 177، بحار الأنوار للمجلسي: 97 / 428 زيارة المولي مسلم بن عقيل (عليهما السلام).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي محمد وآله الطاهرين، واللّعن الدائم علي أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخريين.

أمّا بعد:

ربّما صوّر البعض خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة كمنطلقٍ (للثورة)، وأنّه قد أعلنها منذ اللحظة الأولى من خلال فعلين متمازين لا- يقبلان التفكيك إلاّ اعتباراً، وهما: رفض البيعة، وطلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهذا يكون سيّد الشهداء (عليه السلام) قد اختار المواجهة مع النظام الحاكم يومها، وعزم علي الانقضاض عليه، سواءً تركه يزيد الخمور أم ألزمه بالبيعة.

(وامتزاز عامل رفض البيعة بعامل طلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني أنّ المؤمنين لو تركوا الإمام الحسين (عليه السلام) وشأنه ولم يطالبوه بالبيعة لما تركهم وشأنهم، ولما

كفّ عنهم) (1)).

(والمتمتة في البيانات الأولى التي صرح بها الإمام (عليه السلام) يكتشف بوضوح حقيقة الامتزاج الذي لا يقبل التفكيك بين هذين العاملين، إن رفض الإمام (عليه السلام) البيعة ليزيد في مجلس والي المدينة أنثى الوليد بن عتبة كان قد امتزج منذ اللحظات الأولى بعامل طلب الإصلاح في الأمة وإقامة الخلافة الحقة في احتجاجه (عليه السلام) حين قال للوليد بن عتبة:

«أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرمة، مُعلنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالخلافة والبيعة» (2)).

بيد أن هذه الفكرة لا تكاد تصمد أمام النقد والمتون التاريخية الكثيرة التي وردت تتحدث عن حوادث خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة المنورة، ونحن قد أتينا علي تفصيلها وبيانها في كتاب (ظروف خروج سيّد

ص: 16

1- مع الركب الحسيني: 1 / 367.

2- الفتوح لابن أعمش: 5 / 14.

3- مع الركب الحسيني: 1 / 366.

الشهداء (عليه السلام) من المدينة)، فلا حاجة لتفصيل الكلام هنا، إلا بعض الإشارات السريعة..

الإشارة الأولى: اعتماد ابن أعثم

هذه الفكرة تقوم بالأساس علي اعتماد نصّ ابن أعثم عموماً، وما أورده في وصيّة الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) لأخيه ابن الحنفية، والحال أنّ مَنْ روي أحداث خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة ليس ابن أعثم وحده، وإنّما رواها المؤرّخون جميعاً من القدماء والمتأخّرين.

والحال أنّ ابن أعثم نفسه مجهولٌ لا يُعرف عنه شيءٌ سوي اسمه، وزعم ياقوت أنّه ورد في حقّه أنّه كان من الشيعة، ولا يُعلم من أيّ فرقةٍ من فرق الشيعة كان، ولم تتوفّر عن ابن أعثم معلومةٌ تعرّفه بأكثر ممّا ذكرنا حسب فحصنا.

وذكره صاحب (الأعيان) وقال: ذكره ياقوت في (معجم الأدياء) بهذا العنوان وقال: كان شيعياً، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف ... (1).

وكلّ مَنْ ترجم له وذكر اسمه وتاريخه (الفتوح) ووصفه بالتشيع إنّما اعتمد ياقوت علي ما يبدو.

ص: 17

فابن أعثم لا يُعدّ رجلاً معروفاً موثقاً ضابطاً معتمداً حسب الضوابط الفنيّة.

ويلاحظ من تتبع كتابه (الفتوح) أنّه يمتاز بخصوصيّاتٍ من قبيل أسلوبه القصصي الاستعراضى، ومن قبيل بعض النصوص التي تشي باعتقادٍ خاصّ كان يعتقده المؤلّف، حيث يسمّي سيّد الشهداء (عليه السلام) (أمير المؤمنين) في أكثر من موضع، ويروي بعضها علي لسان بعض الشخصيات التي لا يُحتمل في حقّها أنّها تصف سيّد الشهداء (عليه السلام) بهذه الصفة، وتبدو الروح الثوريّة الهائجة مسيطرة علي نصوصه ومتونه، سيّما فيما يخصّ سيرة سيّد الشهداء (عليه السلام).

الإشارة الثانية: تفرد ابن أعثم

لقد روي المؤرّخون أحداث استحضار الإمام (عليه السلام) من قبيل والي المدينة (الوليد)، وما دار بينهما من حوار، وانفرد ابن أعثم من بين الجمّ الغفير من المؤرّخين المعروفين بنقل عبارات معيّنة، من قبيل قوله: «أينا أحقّ بالخلافة والبيعة»، فما سبق هذه الزيادة من الاستنظار والاستمهال حتّى الصباح، أو حتّى يدعو الناس ويدعو الإمام (عليه السلام) معهم في باقي المصادر، بيد أنّ هذه الزيادة وردت عند ابن أعثم فقط، ومن جاء من بعده -- من قبيل الخوارزمي وابن نما والسيّد ابن طاووس -- إنّما نقل عنه، باعتبار أنّ هؤلاء كان دأبهم النقل عنه في أكثر مواضع كتبهم ومقاتلهم.

وكذا الوصيّة، فإنّ ابن أعثم تفرّد في نقلها، ولم يروها أحدٌ قبله، ولا أحدٌ ممّن عاصره، بل وأعرض عنها من جاء بعده، حتّى من اعتاد النقل عنه، كالسيّد ابن طاووس والشيخ ابن نما، علي تفصيلٍ أتينا علي تتبّعه في كتاب (الظروف)، فلا نعيد.

ولكن ينبغي أن نعرف هنا: إنّ إلغاء جميع المتون التاريخيّة واعتماد ما تفرّد به ابن أعثم ورواه مرسلًا، قد يشكّل ثغرةً غير قابلة للردم في مسيرة البحث والاستنتاج التاريخي، سيّما إذا كان لقضيّة في غاية الخطورة، ولدعويّ لها أثرٌ علي أعلي المستويات، وتتضمّن الحديث عن أقدس الدماء التي سكنت الخلد.

الإشارة الثالثة: معني الزيادة

ما تفرّد بنقله ابن أعثم، خلافًا لجميع المتون المتوقّرة من زيادة قول الإمام (عليه السلام): «ننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»، ليس بالضرورة يعني أنّ الإمام (عليه السلام) أراد مزج رفض البيعة ليزيد منذ اللحظة الأولى ب- (إقامة الخلافة الحقّة)، إذ أنّ جميع من كتب في تفسير سيرة سيّد الشهداء (عليه السلام) من المؤمنين بما فيهم من تبني هذا الرأي، يجزم أنّ الإمام (عليه السلام) لم يكن يطلب الخلافة ولا إقامة الحكم الحقّ، لأنّه كان يعلم بالجزم واليقين كما يعلم كلّ

من راجع النصوص المقدسة والإخبارات الغيبية أن الإمام (عليه السلام) ستكون عاقبة حركته الشهادة، وأنه (مقتول لا محالة)!(1)

فبالإضافة إلى تفرّد ابن أعثم ونقله المرسل، ومجهوليّته، ومجهوليّة من يروي عنه، فإنّ الإمام (عليه السلام) لم يستهدف من حركته إقامة (الخلافة الحقّة) بالاتّفاق، فلا بدّ أن نفهم هذا النصّ -- علي فرض صحّته -- بما ينسجم مع حركة الإمام (عليه السلام) ومآلها الذي لا نشكّ فيه، ولا يشكّ فيه أحدٌ ممّن آمن بالله وبرسوله (صلي الله عليه وآله) وبأمير المؤمنين (عليه السلام)، وأصحاب هذا الرأي هم من خيار المؤمنين، فلا يمكن أن يحملوا كلام الإمام (عليه السلام) علي ما لا يحتمله.

ويكفي في تصوير هذه الزيادة أن الإمام (عليه السلام) أراد أن يُثبت لهم أن لا-قياس ولا مقارنة بينه -- وهو خامس أصحاب الكساء (عليهم السلام) والإمام المفترض الطاعة علي الخلق بنصّ رسول الله (صلي الله عليه وآله) ونصّ أبيه (عليه السلام)، والإنسان الكامل الذي لا كمال للإنسان بعده، بما فيه من مزايا إلهية وعطايا ربّانية وعلوم سماوية، وأنّ الخلق كلّهم يحتاجون إليه وهو لا يحتاج إلي أحدٍ منهم -- وبين يزيد شارب الخمر الفاسق القاتل للنفس المحرّمة، والقرود الذي نزا علي المنبر عدواناً وطغياناً وتجبراً وعتوّاً علي الله وعلي خلقه.

ص: 20

1- أنظر: الهداية الكبرى للخصيبي: 202، بحار الأنوار: 44 / 331، العوالم للبحراني: 17 / 180، نفس المهموم للقمي: 76، الدر النظيم لابن حاتم الشامي: 549، مشارق أنوار اليقين للبرسي: 162.

ولإثبات ذلك طرقٌ ووسائل كثيرة لا تُحَدِّ ولا تُحصَر، والإمام (عليه السلام) هو حجّة الله البالغة، وهو أعرف بها من غيره من الخلق، ولا ينحصر الأمر بالمواجهة المسلّحة، وقد قام الإمام (عليه السلام) جزماً بما يلزم خلال فترة إمامته كلّها منذ زمن معاوية، كما قام بذلك جدّه وأبوه وأمه وأخوه وأبناءؤه المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين).

الإشارة الرابعة: الاجتهاد مقابل النصوص

عمدة ما يُذكر من دليلٍ للقول بأنّ الأمويين لو تركوا الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) لَمَا تركهم: رفض البيعة، وطلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وامتزاج هذين العاملين بما لا يقبل التفكيك إلّا عليّ المستوي الاعتباري.

وهذا الاستدلال مبنيّ عليّ الاستنتاج والتحليل، وهما فاعلان حينما تنعدم النصوص الصريحة والتصريحات الواضحة والبيانات الجليّة، فإذا أردنا استنتاج فكرةٍ أو تحليل موقفٍ لابدّ من مراجعة النصوص والمتون الواردة في المقام، والاطمئنان إليّ أنّ الموقف مورد التحليل والاستنتاج لم يكن فيه كلامٌ واضحٌ من نفس صاحب الموقف، فلنا -- حينئذٍ -- أن نُعمل الأفكار ونشجذ الأذهان.

أمّا في المواطن التي نري تصريحاتٍ واضحةً وبياناتٍ صريحةً تُشرح الموقف من نفس صاحب الموقف، وفي أكثر من موطن، فلا يصلح والحال

هذه تحميلة بُنات الأفكار ونتائج التصوّرات.

وهاتان النقطتان الأساسيتان (رفض البيعة، وطلب الإصلاح) لا يلزمان المواجهة، ولا يفيدان أنّ الإمام (عليه السلام) سوف لن يتركهم إن تركوه، ولا يشيان بعزم الإمام (عليه السلام) علي المواجهة، فقد طلب الإصلاح في الأُمَّة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر الأُمَّة (عليهم السلام) جميعاً، من دون هذه المواجهة، وقد فعلها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) منذ اليوم الأوّل للانحراف من دون مواجهة مسلّحة، وتاركهم، كما تاركهم الإمام المجتبي (عليه السلام)، وتاركهم سيّد الشهداء (عليه السلام) خلال فترة زهاء عشرة سنين من إمامته، وتاركهم الإمام زين العابدين (عليه السلام) والأئمة (عليهم السلام) من بعده، وهم يقومون بالأمر ويطلبون الإصلاح في الأُمَّة، ونشهد لهم جميعاً أنّهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.

ولم نجد نصّاً موظّفاً يدلّ علي ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي، لا في المدينة ولا بعدها إلي أن رجع الركب الحسيني إلي المدينة، إلا ما يُزعم من لفظ الوصيّة، وهي كما سمعنا مرسلّةً تقرّد بها ابن أعثم وأعرض عنها العلماء والمؤرّخون، فلا تُعدّ نصّاً يمكنه الحكومة علي كلّ ما ورد في الباب من نصوص مقدّسة ومتون تاريخيّة.

بل إنّ متن الوصيّة أيضاً لا يحتوي في دلالاته علي أنّ الإمام (عليه السلام) سوف لن يتركهم إن تركوه، كما سيأتي في الإشارة التالية.

الإشارة الخامسة: دلالات الوصية لا تنسجم مع الدعوي

لقد ناقشنا دلالات الوصية مفصلاً في كتاب (الظروف)، لذا سنقتصر هنا على إشارة سريعة، ونحيل التفصيل إلى هناك لمن أحب المتابعة والاطلاع أكثر.

لقد ورد في نفس الوصية أنّ الإمام (عليه السلام) قال:

«فَمَنْ قَبَلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْنِي أَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ...».

فلم يهدد الإمام (عليه السلام) بالمواجهة، وإنما جعل الخيار مقابل الردّ الصبر، وفي متن الوصية دلالاتٌ أخرى واضحةً على ذلك.

الإشارة السادسة: كفاية رفض البيعة

يمكن الاكتفاء برفض البيعة لبيان ظلم العدو وعدم الإقرار له بالأحقية، وإثبات الانحراف، وعدم (إضفاء المشروعية والمصادقة على تحوّل شكل الحكم الإسلامي إلى مُلكٍ وراثيٍّ عضوض)، من دون الحاجة إلى المواجهة المسلّحة.

الإشارة السابعة: دعوي لا تستقيم من رأس

لقد أفادت النصوص التاريخية أنّ الأمويين لم يتركوا الإمام (عليه السلام) وحاله ما لم يبايع أو يقتل، وهذا صريح المواقف والتصريحات التي صدرت من

العدو ومن سيّد الشهداء (عليه السلام)، وهم الذين بدؤوا الإمام (عليه السلام) فاستحضره وخيروه، بل هدّوه وشهروا السيف عليه ما لم يبايع في المدينة، كما فعل مروان في مجلس الوليد، بل طلبوا رأس سيّد الشهداء (عليه السلام) سواءً بايع أم لم يبايع، كما كتب يزيد في كتابه إلي الوليد!

بناءً علي هذا، فإنّ فرض أن لو تركوه لما تركهم لا يستقيم من رأس؛ لأنّهم لم يتركوه بالفعل، فمن أين نكتشف موقف الإمام (عليه السلام)، ولا دليل لنا عليه ولا شاهد إلا ما استنتجناه من تحليل نصّ مرسلٍ متفرد رواه مجهول!

الإشارة الثامنة: عرض الإمام (عليه السلام) أن يتركوه!

وردت في الكتب التاريخيّة بعض النصوص التي تؤكد أنّ الإمام (عليه السلام) عرض عليهم مراراً طيلة فترة المسير حتّى شهادته أن يتركوه، وهو تاركهم، وقد خطب فيهم وسألهم عن سبب قتله والمسوغات التي تدعوهم لقتله، فأبوا إلا أن ينزل علي حكمهم أو يقتلوه، وسنأتي علي ذكرها في محلّها إن شاء الله (تعالى)، وهي لا تخفي علي من تصفّح كتب التاريخ. ****

إنّ مناقشة هذه الفكرة تطول، وتحتاج إلي كتابٍ مستقل، بيد أنّ هذه المجموعة من الكتاب الأوّل فيها (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة)، وهذا الجزء الخاصّ بدراسة حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) بين المدينة

ومكّة، وما سيليها إن شاء الله من بحوث، كلّها تتابع سيرة سيّد الشهداء (عليه السلام) وفق نظرةٍ تختلف تماماً عن هذه الفكرة، فلا يمكن اختصارها كلّها في ورقاتٍ محدودة، وقد أتينا علي بحث بعضها في لقاء الفرزدق بالإمام الحسين (عليه السلام) علي مشارف مكّة، فرّبما استطاع هذا البحث بفروعه وتشعباته أن يناقش هذه الفكرة مناقشةً كافيةً وافيةً، إن شاء الله (تعالى).

ولكن يمكن اختزال النقاش في هذه الفكرة بكلمة:

إنّ الفكرة أساساً تعتمد نصّاً غير ناهضٍ سنداً ولا دلالة، وهي استنتاجٌ مقابل نصوص كثيرة صريحة، سواءً كانت أحاديث شريفة أو بيانات من سيّد الشهداء (عليه السلام) نفسه وردت في المتون التاريخية، أو تصريحات العدو نفسه.

وهذه الفكرة تقول -- عاقبةً -- إلي القول بأنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) كان قد بدأ الهجوم وبيته، وأنّ السلطة والأُمويين كانوا في موقف الدفاع، والحال أنّ النصوص والشواهد التاريخية وسير الحوادث والنصوص المقدّسة كلّها تفيد العكس من ذلك تماماً، إذ كان العدو هو الذي هجم علي سيّد الشهداء (عليه السلام)، وكان الإمام (عليه السلام) في موقف الدفاع، ولم يكن الإمام (عليه السلام) في موقف المواجهة والمهاجمة، ورفض البيعة لوحده، بل حتّى بانضمام طلب الإصلاح وإرادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يفيد أنّ الإمام (عليه السلام) سوف لن يتركهم إن تركوه!

ص: 25

تقرأ كثيراً ونسمع كثيراً من يقول: إنّما استعجل الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) الخروج من المدينة خوفاً علي (ثورته) أن تُخنق أو تُقبر في المدينة ...

ربّما كان هذا التصوّر ناشئاً عن الموروث الذهنيّ الذي يتناول الكاتب أو المتكلّم من خلاله حركة سيّد الشهداء (عليه السلام)، فهو يقرّر مقدّماً أنّ ثمة (مشروعاً)! ينطلق من أجل تحقيقه الإمام (عليه السلام)، ثمّ يقرأ الحركة من خلال هذا المشروع المقرّر!

(صحيحٌ أنّه (عليه السلام) كان قد خرج من المدينة خشية الاغتيال خوفاً علي نفسه الشريفة، وخوفاً من أن تُهتَكَ حرمة حرم رسول الله (صلي الله عليه وآله) بقتله غيلةً أو في مواجهةٍ مسلّحة..)

لكنّ الصحيح في العمق! أيضاً أنّ هذا الخوف كان يقع ضمن إطار خوفٍ أكبر، وهو خوفه (عليه السلام) من أن تُخنق ثورته المقدّسة قبل اشتعالها بقتله غيلةً في المدينة، في ظروفٍ زمنيّةٍ ومكانيّةٍ وملابسٍ مفتعلّةٍ يقوم بإعدادها وإخراجها المؤمنون أنفسهم، يستطيعون من خلالها الاستفادة حتّى من حادثة

قتله لصالحهم إعلامياً... (1).

أمّا قتل الإمام (عليه السلام) : فقد أمر به صراحةً يزيد الخُمور والفجور في كتابه إلي واليه، وأمّا الاغتيال: فقد خرج الإمام (عليه السلام) إلي الوالي وأخذ معه ثلاثين رجلاً ليكون قد امتنع، لأنّه (غير مأمون) كما قال سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وقد أمر مروان بقتله، وفي بعض المتون شهر سيفه.

وكتب ابن عباس ليزيد كتاباً قال فيه:

... وما أنس من الأشياء، فلست بناسٍ أطرادك الحسين بن عليّ من حرم رسول الله إلي حرم الله، ودسك إلي الرجل تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلي الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقب، وقد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحلّ بها قتلاً، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول الله، فأكبر من ذلك ما لم تكبر، حيث دسست إلي الرجل فيها ليقاتل في الحرم... (2).

فخرج الإمام (عليه السلام) من مدينة الرسول (صلي الله عليه وآله) لأنّها لم تعد مأمناً لابن بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله)، صرّحت به المتون والشواهد التاريخية، كما دلّت عليه

ص: 27

1- مع الركب الحسيني: 1 / 376.

2- تاريخ يعقوبي: 2 / 249.

مداليل تصريحات الإمام (عليه السلام) وبياناته قبل الخروج، من قبيل تلاوته قوله (تعالى): (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) (1).

أما ما اعتُبر (الصحيح في العمق)! فلا دليل عليه، ولا شاهد، ولا تصريح، ولا بيان، سوى التحليل والتصورات المسبقة في الموروث الذهني التي افترضناها.

وبعبارة أُخري:

إنَّ خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة حفاظاً علي نفسه من القتل أو الاغتيال، وحفاظاً علي حفظ حرمة المدينة، متفق عليه بين جميع الأطراف، ولا يخالف فيه أحدٌ أو ينفيه أو يشكك فيه، وقد دلّت عليه المتون التاريخية والمواقف والتصريحات المسجلة.

أما الزائد عن ذلك، فقد يقع فيه الخلاف، بل قد وقع بالفعل، ولم يذكر له من تبناه دليلاً واضحاً، ولا شاهداً ناهضاً، ولا حجةً لائحة، بل أفادت الأدلة والشواهد خلاف ذلك.

فسيبيل الاحتياط أن يلتزم الباحث بالقدر المتيقن، ويعبر إلي ما زاد علي نحو الاحتمال، أو التوقع والتصور، لأنه يحاول هنا استكشاف موقف المعصوم ويتعامل مع حركةٍ يمكن أن تترتب عليها أمورٌ عظام، والمهم جداً

ص: 28

1- سورة القصص: 21.

من الأحكام، فلا يصلح الارتكان إلي نصّ تاريخي مرسل واحد غير تامّ الدلالة علي الموضوع، وحصّر الدليل علي قرار المواجهة مع الحكم الأموي ابتداءً به.

ص: 29

قد يُقال: إنَّ استمهال الإمام (عليه السلام): «نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون»، وطلبه أن يُوجَّل حتَّى يدعو الوالي الناس فيدعوه معهم، يفيد إرادة الاستثمار الإعلامي والتوظيف التبليغي، فيقال:

(إنَّ ما أوصلنا إليه التأمل في هذه المسألة هو:

إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) أراد في إجابته علي طلب الوالي منه البيعة ليزيد بأن يُدعي إليها علناً مع الناس: استثمار قوَّة وسعة تأثير العامل الإعلامي والتبليغي في الاجتماع الجماهيري العام الذي تدعي إليه الأُمَّة في المدينة للبيعة عادة، ذلك لأنَّه (عليه السلام) لو أعلن عن رفضه البيعة ليزيد أمام جماهير أهل المدينة، وفضح أمام هذه الجموع الحاشدة حقيقة يزيد في فسقه واستهتاره، وحرَّضهم علي رفض البيعة له، واستنهضهم للثورة ضده، وأعلن أمامهم عن قيامه هو (عليه السلام)، وبيَّن لهم ما هو عازمٌ علي النهوض به، ودعاهم بما هو مأثورٌ وشائعٌ من الأخبار عن رسول الله (صلي الله عليه وآله) في حقِّه إلي تأييده ونصرته والخروج معه، لكان لهذا العامل أثرٌ كبيرٌ جدًّا علي أهل المدينة باتِّجاه تعبتهم

لرفض البيعة ليزيد ولنصرة الإمام (عليه السلام) ((1)).

وهذا الكلام مجرد تأملٍ وتحليل، ليس إلا، لا تساعد عليه المتون التاريخية، ولا تسنده الوقائع، ولا تؤيده الظروف والأجواء، ولا تنهض به مؤشرات مجريات الأحداث، وذلك:

أولاً: خذلوا الإمام (عليه السلام) علي علم

إنّ الناس قد سمعوا ما قاله رسول الله (صلي الله عليه وآله) في حقّ سيّد الشهداء (عليه السلام) وحقّ بني أمية، وفي يزيد الفسق والفجور بالذات، وأعرضوا عن ذلك واستسلموا للدنيا وزخارفها وتبعوا هتوف الشيطان، وصمّوا أسماعهم وعموا أبصارهم عن الحقّ، فما تنفع دعوتهم (بما هو مأثورٌ وشائعٌ من الأخبار عن رسول الله (صلي الله عليه وآله) في حقّه)، فهو مأثورٌ وشائعٌ بينهم!

ثانياً: التزام الناس بالبيعة ليزيد

لقد بايع الناس يزيد القروذ منذ عهد أبيه معاوية، وهم يعتقدون أنّها بيعةٌ ملزمة، سواءً كان بدافع دينيٍّ أو بدافع دنيوي، أو تحت طائلة الخوف والترغيب والترهيب، وقد غدوا علي تجديد البيعة، وأكد الوالي أنّهم انصاعوا وخضعوا وجدّدوا البيعة إلاّ النفر الذين استثناهم، وفيهم سيّد

ص: 31

1- أنظر: مع الركب الحسيني: 1 / 358.

الشهداء (عليه السلام)، وحسبوا ذلك التزاماً بالجماعة وحثراً من الفرقة وشقّ العصا، وبهذا خذلوا سيّد الشهداء (عليه السلام) وضيّعوه، كما صرّح به نفسه -- فداه العالمين -- في شكواه عند قبر جدّه رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وفي غير موضع.

ثالثاً: موافقة الوالي علي الإمهال

لقد استمهّل الإمام (عليه السلام) الوالي حتّى يصبح ويصبحون وينظر وينظرون، وطلب منه أن يدعوه مع الناس، فأمهله الوليد، وإن اعترض مروان، بيد أنّ النصوص التاريخية تصرّح أنّ الموقف الرسمي للوالي كان يعتمد قبول ما قاله الإمام (عليه السلام)، ولذا خرج الإمام (عليه السلام) من عنده علي هذا الاتفاق.

فلو كان الإمام (عليه السلام) يريد توظيف اجتماع الناس والقيام بالخطوات المذكورة من الخطب والتذكير والاستنهاض والتحريض والدعوة للخروج معه، فقد توقّرت الفرصة، إذ رضيّ منه الوالي بذلك وأمهله، فلماذا عبّجّل الإمام (عليه السلام) بالخروج من المدينة من دون انتظار للحضور مع الناس حين يدعوهم الوالي للبيعة؟

رابعاً: توقّر الفرص

كان مسجد النبيّ (صلي الله عليه وآله) مركز المدينة المنوّرة، وكان الناس يجتمعون فيه للجمعة والجماعة والزيارة والتهجّد والعبادة والمجاورة، وهو لا يخلو من روادٍ ليلاً ونهاراً، سواءً من أهل المدينة أو الزوّار والمجاورين والمعتمرين وغيرهم.

وكان بالإمكان دعوة أهل المدينة بنداءٍ واحدٍ يجمعهم في المسجد النبوي الشريف، فإن حضر الناس جميعاً، وإلا كان فيمن يحضر -- ولو للجماعة -- كفاية لتبليغ الأمر في المدينة التي لم تكن الأخبار تخفي فيها كثيراً.

فلا يبدو اجتماع الناس للبيعة عند الوالي ضرورة ملحة مع إمكان تبليغ الناس في غير موضع وفي غير زمان مع حضور الوالي أو عدم حضوره، بل كان بالإمكان أن يدعو الإمام (عليه السلام) شيوخ القبائل ووجهاء القوم ورؤوس الصحابة وكبار التابعين، وقد لا يكلف ذلك الكثير من الوقت، ويبلغهم بكل ما يريد، أو ليدكرهم بعهودهم والتزاماتهم مع رسول الله (صلي الله عليه وآله) في حماية أهل بيته والدفاع عنهم، ولم يفعل (عليه السلام)، لأنهم قد أصحروا وأبانوا وكشفوا بكل وضوح عن مواقفهم، وأبدوا له خذلانهم وتضييعهم له (عليه السلام).

خامساً: استثمار الطريق

سنعرف فيما يأتي من البحث أن الإمام (عليه السلام) قطع المسافة بين المدينة ومكة بزهاء نصف المدة المعهودة، وهذا يعني أنه (عليه السلام) أسرع بالمسير، واختصر التوقف في المنازل وطوي المراحل، ولم يسجل لنا التاريخ لقاءاتٍ وخطباً ونشاطاتٍ وتحريضاً ودعواتٍ للخروج، واستقطاباً لجمع الأنصار، وتجييشاً ضد النظام الحاكم، ودعوةً للالتحاق، وغيرها ممّا يذكرونه.. وفي سرعة المسير ما يشهد لذلك.

فإن كان الإمام (عليه السلام) يريد الاستثمار الإعلامي والتوظيف التبليغي،

لكان في الطريق سعة، سيّما أنّه كان يمشي علي الطريق الأعظم، وهو طريقٌ مزدحمٌ بالمآزة والمسافرين والتجّار والحجّاج والمعتمرين، علاوةً علي أهل المنازل والمراحل والمدن الكبيرة الآهلة بالسكّان التي يمرّ بها في الطريق.

سادساً: انطلاق الركب في الليل

لقد اتّفتت المصادر والمتون التاريخيّة -- إلا الشاذّ منها كما سيأتي في البحث -- علي خروج الإمام (عليه السلام) في الليل، ولو كان الإمام (عليه السلام) يريد الاستثمار الإعلاميّ والتوظيف التبليغيّ لخرج في وضح النهار، ولجعل خروجه من مسجد النبيّ (صلي الله عليه وآله)، وخطب في الناس وحرّضهم وجيّشهم ودعاهم للخروج معه.

سابعاً: دور السلطة!

لو افترضنا أنّ الإمام (عليه السلام) كان ينتظر حتّي يُدعي مع الناس، ثمّ يقوم بالاستثمار الإعلاميّ ويخطب ويحرّض الناس ويدعوهم إلي نصرته ويجيّشهم علي الحاكم، فالمفروض أن لا نغفل الجانب الثاني، وكأنّ الوالي وجلالته ومروان وأذنا به لم يكن لهم حولٌ ولا طولٌ ولا قوّة ولا- موقف، وكانهم سيقفون مكتوفي الأيدي ينصتون إلي الإمام (عليه السلام)، بل ربّما يتأثرون بكلامه، كما نفترض أنّ الناس سيسارعون إلي الإمام (عليه السلام) وترتفع منهم صرخات: لبيك لبيك أبا عبد الله!

إنّ ما عهدناه من أوامر يزيد القروذ وموقف مروان، وتهديدات الوليد، وجهوزيّة القوّات التابعة للسلطة، كلّها تقيّد أنّهم سيواجهون الإمام (عليه السلام)، وستقع المواجهة، فيقع المحذور الذي خرج من أجله سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة المنورة!

ص: 35

لقد أعلن الإمام (عليه السلام) منذ زمن معاوية رفضه البيعة ليزيد، فقد بايع الناس ولم يبايع الإمام (عليه السلام)، فبيّت معاوية قتل الإمام (عليه السلام) (1)، ولكنه لم يُكره الإمام (عليه السلام) علي البيعة، فكانت المتاركة، و(كانت قاطعية الإمام (عليه السلام) في رفض البيعة ليزيد منذ تلك الأيام وإلي أن صار يزيد حاكماً هي هي، لم تتذبذب ولم يعتورها ضعفٌ أو فتور).

والذي تعيّر إنّما هو موقف العدو، إذ أبي إلا أن يُكره الإمام (عليه السلام) علي البيعة، وهو يعلم مسبقاً أنه سيأبي ذلك ولا يعطي بيده، ولا يختار طاعة اللئام علي مصارع الكرام، والأشياء تُعرّف بأشباهها، فموقف الإمام (عليه السلام) واحد، وموقف العدو واحدٌ في جميع المراحل.

ص: 36

1- أنظر: الكامل لابن الأثير: 3 / 251، نهاية الإرب للنويري: 20 / 356. وانظر: للمزيد كتاب ظروف خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة، تحت عنوان: (تبييت معاوية قتل سيّد الشهداء (عليه السلام)).

يبدو أنّ من الواضح جدّاً لمن تصفّح المتون التاريخيّة وتابع سير الأحداث أنّه:

(لم تصل إلي الإمام (عليه السلام) وهو في المدينة -- في غضون أيام إعلانه رفض البيعة ليزيد إلي حين خروجه عنها -- أية رسالة من أهل الكوفة تُنبئ عن علمهم بموت معاوية، وعن دعوتهم الإمام (عليه السلام) إليهم، ولا من مكّة أيضاً، ولا من سواهما) (1).

وأنّ الرسائل التي وصلت إلي الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة من أهل الكوفة كانت بمبادرة منهم، ولم يكن الإمام (عليه السلام) قد أرسل إليهم أو حرّضهم أو جيّشهم واستنهضهم، أو دعاهم للخروج معه! وإثما هم كاتبوه ودعوه، ثم إنّه (عليه السلام) لم يعتمد وعودهم حتّي أرسل إليهم أخاه وثقته ومعلمه مسلم بن عقيل (عليهما السلام)، ليري فيهم مدي توافق كتبهم مع عزائمهم ورأي ذوي الحِجبي منهم!

ص: 37

لقد قام البحث في هذا الجزء من حركة سيّد الشهداء (بين المدينة ومكّة) علي أساس ما تقدّم من بحث (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة)، فمن الصعب التفريق بينهما، فهما مترتبان، بل متداخلان أحياناً؛ إذ أنّ البحث الأول تناول مناقشة أهمّ وثيقة اعتمدها المعاصرون في تفسير قيام سيّد الشهداء (عليه السلام)، وهي وصيّة الإمام (عليه السلام) لأخيه محمّد ابن الحنفية (رضي الله عنه)، وكلّ ما سبقها من مقدّمات وبحوث إنّما كان توطئة لفهم الوصية، وتمهيداً لإدراك مغايزها ومعانيها ومدلولاتها، حيث تبيّن هناك أنّ الوصية لا بدّ أن تُفهم ككلّ متماسكٍ يشرح بعضه بعضاً، ولا- يمكن التفكيك بين صدرها وذيلها وباقي فقراتها وبنودها، ومن ثمّ يتبيّن أنّ دلالتها ستختلف تماماً عمّا يذهب إليه الكثيرون.

هذا بالإضافة إلى مناقشتها من حيث السند، واتّضح أنّها مرسلّة إرسالاً تامّاً، وقد تفرّد بها ابن أعثم في كتابه (الفتوح)، والحال أنّ ابن أعثم نفسه مجهولٌ لم تتوفّر علي ترجمة له، وقد أعرض عنها العلماء الشيعة والمؤرّخون السنّة إلا عدداً محدوداً لا يبلغ عدد أصابع اليد الواحدة، وقد استمرّ الإعراض إلي القرن الحادي عشر الهجريّ، حيث نقلوها بشيءٍ من

التصرّف الطفيف، بيد أنّه خطير، وهو النصّ الذي رواه محمّد بن أبي طالب في (التسليّة)، وهكذا عليّ تفصيل ذكرناه في محلّه.

وعالجنا ثمة -- فيما سبق من الدراسة -- الظروف التي خيّمَت عليّ أجواء الخروج من المدينة، وكانت ظرفاً لصدور الوصيّة، باعتبارها دخيلةً بشكلٍ مباشرٍ في فهم فقراتها ومعناها.

من هنا ربّما يجد المتابع تكرّر الإحالة إليّ الكتاب السابق، أو شيءٍ من التكرار في بعض المطالب، ولو باختصارٍ أو إشاراتٍ وما شاكل، وعذرنا في ذلك خطورة الموضوع ودقّته وارتباطه وتشابك موضوعاته وتداخل أحداثه، واقتضاء ضرورة البحث توظيف بعض النصوص بلحظّاتٍ مختلفةٍ وفق ما تدعو إليه الحاجة.

نؤكّد هنا -- كما أكّدنا في بحث (الظروف) -- عليّ أنّ البحث لم يتمّ، والفكرة لم تكتمل إلا إذا أتممنا المسير في ركاب سيّد الشهداء (عليه السلام) الذي كان يسير والمنايا تسير معه، فترجو بكلّ خضوعٍ وأدبٍ وتوسّلٍ والتماسٍ أن يمهلنا القارئ الكريم ويعاملنا بحلمه، حتّى يوقّنا الله ويبارك لنا سيّد الشهداء (عليه السلام) وأُمّه الزهراء وأصحاب الكساء والأئمّة النجباء (عليهم السلام) لإتمام ذلك، وله أن يناقش هنا بما يناسب هذا المقطع الخاصّ من الدراسة، بعد التفضّل بكرم القارئ وسماحته وصبره ومَنّهُ بقراءة المادّة بعيداً عن الموروث الذهنيّ وركام الخزين المعهود، والله وليّ التوفيق.

ص: 39

لقد تحرّينا الاحتياط، وتقدّمنا في البحث خطوةً خطوة، كمن يمشي في منطقةٍ ملغومةٍ مظلمة، وقصدنا خدمة أهل البيت (عليهم السلام)، وعزّمتنا الدفاع عن حريمهم وقداستهم وكلّ ما يُنسب إليهم، فإذا وقعنا بين خيارين: خيار التزام قداسة التاريخ والمؤرّخ، وخيار التزام قداسة الأولياء والأصفياء، فإنّنا اخترنا الخيار الثاني، طلباً لرضي الله ورسوله والأئمّة المعصومين (عليهم السلام) ..

فإنّ وفّقنا في ذلك فهو فضلهم ومَنّهم وفيضهم وبركاتهم، وإلا فنستغفر الله ونسأله أن يعطينا أجر مَنْ أحسن عملاً، إنّه عفوٌّ جوادٌ كريم، وهو نعم المولي ونعم النصير.

ونرجو من الله السميع العليم أن يتقبّل منّا هذا القليل، وينفعنا به ووالدينا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونٌ ولا خليل، ولا يحرمنا وأزواجنا وذريّاتنا خدمة زين السماوات والأرضين سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) في الدنيا والآخرة، ويحشرنا في ممالك مولانا الغريب وعبيده المرضيين، ويجعل عملنا وحبّنا واعتقادنا فيما يرضيه ويرضى النبيّ الأمين (صلي الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وذريّته الطاهرين المعصومين (عليهم السلام)، بحقّ مولانا مهيج أحزان يوم الطفوف وأخته الطيّبة فاطمة المعصومة (عليهما السلام) .

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأزواجنا وذريّاتنا وإخواننا المؤمنين، وعجّل

فرج وليّ أمرنا، الطالب بدم الإمام المظلوم غريب الغرباء (عليه السلام)، آمين ربّ العالمين.

السّيّد علي السّيّد جمال أشرف الحسيني

قم المقدّسة

ص: 41

هلك معاوية، ونزا القرد المخمور المسعور علي أعواد المنبر، وكانت الأمصار قد بايعت له من قبل علي يد أبيه، وأسرعوا إلي تجديد البيعة في بلدانهم وأمصارهم، وسيّد الشهداء (عليه السلام) ماكث في مدينة جدّه لم يُحرّك يداً ولا رجلاً، ولم ينطق ببنت شفة.

بعث الوالي (الوليد) نصف الليل إلي سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) (1) ولم يمهلّه حتّي الصباح، وإتّما رَوّع أهل البيت (عليهم السلام)

ص: 43

1- أنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 55، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ دمشق لابن عساكر: 199 -- بتحقيق: المحمودي، تهذيب ابن بدران: 4 / 327، مختصر ابن منظور: 7 / 138، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2607، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 415، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 162، نسب قريش للزبير: 133، الإرشاد للمفيد: 2 / 30، الاستيعاب لابن عبد البر: 1 / 381، تاريخ الخميس للديار بكر: 2 / 331، نور الأبصار للشبلنجي: 256، الجوهرة للبري: 41، سير أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 198، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 341، مرآة الجنان لليافعي: 1 / 132.

واستعجلهم، وكان أمره مريباً، إذ بعث علي الإمام (عليه السلام) في غير وقت.

كان قد عزم منذ اللحظة الأولى علي قتل الإمام (عليه السلام) وتعريضه للخطر الجدّي، وقد خشِيَ الإمام (عليه السلام) علي نفسه كما خشِيَ عليه ابن الزبير أيضاً، فصح به، فقال للإمام (عليه السلام): «فإنّي أخافه عليك إذا دخلت أن لا تنجو من شرّه (1)». فقال له الإمام (عليه السلام): «لا آتبه إلا وأنا علي الامتناع قادر» (2).

وفي رواية ابن أعثم:

إنّي خائفٌ عليك أن يحبسوك عندهم، فلا يفارقونك أبداً دون أن تباع أو تُقتل. فقال الحسين: «إنّي لست أدخل عليه وحدي، ولكن أجمع أصحابي إليّ وخدمتي وأنصاري وأهل الحقّ من شيعتي، ثمّ أمرهم أن يأخذ كلّ واحدٍ منهم سيفه مسلولاً تحت ثيابه، ثمّ يصيروا بإزائي، فإذا أنا أو مات إليهم وقت: يا آل الرسول ادخلوا، دخلوا وفعّلوا ما أمرتهم به، فأكون علي الامتناع، ولا أعطي المقادة والمذلة من نفسي..» (3).

ص: 44

1- الفصول المهمة لابن الصبّاغ: 182.

2- أنظر: تاريخ الطبري: 5 / 339، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 323، الكامل لابن الأثير: 3 / 264، نفس المهموم للقمّي: 68، نهاية الإرب للنويري: 20 / 387.

3- الفتوح لابن أعثم: 5 / 13، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 2 / 181.

خرج إليه سيّد الشهداء (عليه السلام) في جماعةٍ من مواليه وأهل بيته، وأقعدهم علي الباب وقال لهم: «إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمنُ أن يكلفني فيه أمراً لا- أُجيب إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا علي الباب (1)»، فإن ارتفع صوتي أو دعوتكم فافتحموا الدار عليّ بأجمعكم من غير إذن، ثم اشهروا السيوف، ولا تعجلوا، فإن رأيتم ما تكرهون فضعوا سيوفكم، ثم اقتلوا من يريد قتلي (2)، وإلا فمكانكم فلا تبرحوا حتّي أخرج إليكم» (3).

ثم خرج الإمام (عليه السلام) من منزله وفي يده قضيب رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وهو في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه وشيعته (4)، ثم قال لهم: «انظروا ماذا

ص: 45

1- الإرشاد للمفيد: 2 / 30، روضة الواعظين للفتّال: 146، بحار الأنوار: 44 / 324، العوالم للبحراني: 17 / 173، نفس المهموم للقمي: 68.

2- الفتوح لابن أعثم: 5 / 13، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 2 / 181.

3- أنظر: الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 1 / 175، الأخبار الطوال للدينوري: 229، تاريخ الطبري: 5 / 339، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 323، الإرشاد للمفيد: 2 / 30، بحار الأنوار: 44 / 324، نفس المهموم للقمي: 68، روضة الواعظين للفتّال: 146، إعلام الوري للطبرسي: 222، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: 135، تاريخ ابن خلدون: 3 / 19، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: 182.

4- أنظر: اللهوف لابن طاووس: 22، بحار الأنوار: 44 / 325، العوالم للبحراني: 17 / 174.

أوصيكم فلا تتعدّوه، وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالمًا إن شاء الله (1)، ولا تقتلوا أحدًا ولا تثيروا الفتنة» (2).

دخل سيّد الشهداء (عليه السلام) علي الوالي الطاغوت، وأمر مروان بقتل الإمام (عليه السلام) خامس أصحاب الكساء (3)، فقام مروان وجرّد سيفه وقال: مُرّ

ص: 46

1- الفتوح لابن أعمش: 13 / 5، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 181 / 2.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 142 / 10 -- بتحقيق: السيّد علي جمال أشرف، بحار الأنوار: 325 / 44، العوالم للبحراني: 175 / 17.

3- أنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 55، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ دمشق لابن عساكر: 200، تهذيب ابن بدران: 327 / 4، مختصر ابن منظور: 128 / 7، بغية الطلب لابن العديم: 2607 / 6، تهذيب الكمال للمزي: 415 / 6، تاريخ الإسلام للذهبي: 341 / 2، سير أعلام النبلاء للذهبي: 198 / 3، البداية والنهاية لابن كثير: 162 / 8، نسب قريش للزبيري: 133، الإمامة والسياسة لابن قتيبة: 175 / 1، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 216 / 5، الأخبار الطوال للدينوري: 229، تاريخ يعقوبي: 215 / 2، تاريخ الطبري: 339 / 5، المنتظم لابن الجوزي: 323 / 5، الفتوح لابن أعمش: 17 / 5، الإرشاد للمفيد: 2 / 30، روضة الواعظين للفوّال: 146، بحار الأنوار: 324 / 44، نفس المهموم للقمي: 68، الأمالي للشجري: 170 / 1، إعلام الوري للطبرسي: 222، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 183 / 1، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 264 / 3، مثير الأحزان لابن نما: 10، الجوهرة للبرّي: 41، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: 135، اللهوف لابن طاووس: 22، نهاية الإرب للنويري: 378 / 20، تاريخ ابن خلدون: 20 / 3، الفصول المهمة لابن الصباغ: 182.

سيّافك أن يضرب عنقه قبل أن يخرج من الدار، ودّمه في عنقي! وارتفعت الصيحة، فهجم تسعة عشر رجلاً من أهل بيته وقد انتضوا خناجرهم، فخرج الحسين (عليه السلام) معهم (1).

***** أَلْحِ الطّاعِيةَ علي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وجعل يبعث إليه الرّسل تترا في الليل، وسيّد الشهداء (عليه السلام) يعلّهم ويداريهم ويهدّاهم ويستمهلهم ليلتهم تلك، ويكرّر لهم: «أصبحوا، ثمّ ترون ونري، كُفُوا حتّى تنظرون وننظر وترون ونري (2)»، نصبح ونأتيك مع الناس (3)، ادعُ الناس وادعونا معهم، فإنّ مثلي لا

ص: 47

-
- 1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 10 / 142 -- بتحقيق: السيّد علي أشرف، نفس المهموم للقمّي: 69.
 - 2- أنظر: تاريخ الطبري: 5 / 340، الإرشاد للمفيد: 2 / 31، روضة الواعظين للفتال: 147، إعلام الوري للطبرسي: 222، جُمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 314، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 264، نهاية الإرب للنويري: 20 / 380، بحار الأنوار: 44 / 326، العوالم للبحراني: 17 / 176، نفس المهموم للقمّي: 71.
 - 3- تاريخ يعقوبي: 2 / 215.

يباع سرّاً» (1).

وفي لفظ البلاذري:

«وأما البيعة، فإنّ مثلي لا يباع سرّاً، ولا أراك ترضي منّي إلاّ بإظهارها علي رؤوس الناس، فإذا خرجت إليهم فدعوتهم إلي البيعة دعوتنا، فكان أمراً واحداً» (2).

وفي لفظ المفيد:

فقال الحسين (عليه السلام): «إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً، حتّى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس». فقال له الوليد: أجل. فقال الحسين (عليه السلام): «فتصبح وتري رأيك في ذلك» (3).

وفي لفظ الدينوري: فقال الحسين: «إنّ مثلي لا يعطي بيعته سرّاً، وأنا طوع يدك،

ص: 48

1- الردّ علي المتعصّب العنيد لابن الجوزي: 34.

2- أنظر: جُمَل من أنساب الأشراف للبلاذري: 316/ 5، تاريخ الطبري: 339/ 5، المنتظم لابن الجوزي: 323/ 5، الفتوح لابن أعثم: 5/ 17، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 183/ 1، الكامل لابن الأثير: 264/ 3.

3- الإرشاد للمفيد: 30/ 2، بحار الأنوار: 324/ 44، العوالم للبحراني: 173/ 17، نفس المهموم للقمّي: 68، روضة الواعظين للفتّال: 146، إعلام الوري للطبرسي: 222 وفيه: «فتصبح ونري في ذلك».

فإذا جمعت الناس لذلك حضرتُ وكنْتُ واحداً منهم» (1).

وكانوا علي الحسين أشدَّ إبقاءً (2)، وبايع الناس جميعاً حتَّى العبدَيْن: ابن عباس وابن عمر (3).

ثمَّ أرسل الوالي إلي كلِّ مَنْ كان من شيعة ابن الزبير ممَّن كان هواه معه وميله إليه، فأخذه وحبسه، وفيمن حبس يومئذٍ ابن عمِّ لعمر بن الخطَّاب يُقال له: عبد الله بن مطيع بن الأسود العدويّ، وأمُّه يُقال لها: العجماء بنت عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب الخزاعيّة.

وحبس أيضاً مصعب بن عبد الرحمان بن عوف الزهريّ، فتدخَّل ابن عمر ورجال من بني عدِّي، وأبوا أن يُسجَن صاحبهم، فاعتذر الوالي أنَّه إنَّما حبسه بأمر يزيد، وقال لهم:

فنكتب وتكتبون.

فوثب أبو جهم بن حذيفة العدويّ فقال: نكتب وتكتبون؟! وابن العجماء محبوس؟! لا والله لا يكون ذلك أبداً.

ص: 49

1- الأخبار الطوال للدينوري: 229.

2- تاريخ الطبري: 340 / 5.

3- أنظر: الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 1 / 173، تاريخ الطبري: 5 / 343، الكامل لابن الأثير: 3 / 265، تذكرة الخواص لابن الجوزي:

135، نهاية الإرب للنويري: 20 / 382، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 151.

ثم وثب بنو عدّي فجعلوا يحضرون حتّى صاروا إلي باب السجن، فاقتحموا علي عبد الله بن مطيع وهو في السجن، فأخرجوه وأخرجوا كلّ من كان في السجن، ولم يتعرّض إليهم أحد، فلحق ابن مطيع بابن الزبير، ثمّ رجع بعد فأقام بالمدينة! (1)

ربّما أفادت هذه القصّة أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) لم يكن له في المدينة من له فيه هويّ أو من يميل إليه ومن يكون من شيعته، إذ لو كان لحبس.

وإنّما بقي الإمام الحسين (عليه السلام) ليلة بعد ابن الزبير، باعتبار أنّهم اشتغلوا بابن الزبير، فأقام الحسين تلك الليلة في منزله (2).

وقد كان الوليد أغلظ للحسين (عليه السلام)، فردّ عليه الإمام الحسين (عليه السلام)، وأخذ بعمامته فنزعها من رأسه، فقال الوليد: إنّ هجنا بأبي عبد الله إلا أسداً (3).

ص: 50

1- أنظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 316 / 5، الفتوح لابن أعثم: 21 / 5.

2- أنظر: إعلام الوري للطبرسي: 222، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 314 / 5، تاريخ الطبري: 340 / 5، الكامل لابن الأثير: 3 / 264، نفس المهموم للقمّي: 70، نهاية الإرب للنويري: 379 / 20.

3- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 55، تهذيب ابن بدران: 327 / 4، مختصر ابن منظور: 138 / 7، بُغية الطلب لابن العديم: 2607 / 6، تهذيب الكمال للمزّي: 415 / 6، تاريخ الإسلام للذهبي: 341 / 2، سير أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 198، البداية والنهاية لابن كثير: 162 / 8.

فَعِنْدَهَا كَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ يُخْبِرُهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ... ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أَنَّهُ لَا يَرِي لِنَاعِلِيهِ طَاعَةً وَلَا بِيَعَةَ، فَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابَ عَلَيَّ يَزِيدَ غَضِبَ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَكَانَ إِذَا غَضِبَ انْقَلَبَتْ عَيْنَاهُ فَعَادَ أَحْوَلَ، فَكَتَبْتُ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ:

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ يَزِيدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي هَذَا، فَخُذْ الْبَيْعَةَ ثَانِيَةً عَلَيَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِتَوْكِيدٍ مِنْكَ عَلَيْهِمْ، وَذَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَفُوتَنَا وَلَنْ يَنْجُو مِمَّا أَبَدًا مَا دَامَ حَيًّا، وَلَيْكُنْ مَعَ جَوَابِكَ إِلَيَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَعْتَةَ الْخَيْلِ، وَلَكَ عِنْدِي الْجَائِزَةُ وَالْحِطُّ الْأَوْفَرُ ... (1).

فَالْمَطْلُوبُ فِي الْمَدِينَةِ مِنْذِ الْأَيَّامِ الْأُولَى رَأْسَ حَبِيبِ اللَّهِ وَرِيحَانَةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَعَزِيزِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَقِرَّةِ عَيْنِ سَيِّدِ الْأَوْصِيَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) خَامِسَ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، وَلَمْ يَكُنِ التَّخْيِيرَ إِلَّا ذَرِيعَةً، لِأَنَّهُمْ كَانُوا

ص: 51

1- أنظر: الفتوح لابن أعمش: 5 / 25، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 185، الأُمالي للصدوق: 152، بحار الأنوار: 44 / 312، العوالم للبحراني: 17 / 161.

يعلمون أنه (لا ولم ولن) يُبايع.

هذه خلاصة الأحداث قبل الخروج، وقد أتينا علي تفصيل جملةٍ منها في كتاب (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة).

الحصيلة في نقاط:

ويمكن أن نلخص حصيلة ما ورد في النقاط التالية:

(1)

إنّ العدوّ هو الذي بادر فأرسل إلي الإمام (عليه السلام) في غير وقت، وخيّره بين البيعة والقتل.

(2)

ضيق العدوّ علي الإمام (عليه السلام) أشدّ التضيق، وكان خطره مُحديقاً بالإمام (عليه السلام) ومتوقّعاً، ممّا جعل ابن الزبير يُظهر خشيته علي الإمام (عليه السلام)، وجعل الإمام (عليه السلام) يحتاط لأمره قبل الدخول عليه، وقد صرّح العدوّ علي لسان مروان بعزمه علي حبس الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) وقتله وعدم امتناعه عن ذلك، وقد صرّح الإمام (عليه السلام) أنّ العدوّ غير مأمون، وأكّد ذلك بخروجه في جماعةٍ من فتية بني هاشم.

وقد سمّي الإمام (عليه السلام) من اللحظة الأولى البيعة (المقادة والمذلة من نفسي).

ص: 52

(3)

بدأ العدو يشتم الإمام (عليه السلام) وأغلظ له، وأقدم مروان علي قتل الإمام (عليه السلام) وشهر سيفه، وأمر بصراحة الوالي أن يأمر بضرب عنقه، وإنّما كان ذلك امتثالاً لأمر القرد المسعور يزيد. (4)

لم يكن يزيد يريد البيعة من سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة، وإنّما كان يريد قتله علي كلّ حال، وقد صرّح بذلك في كتابه إلي واليه، حيث أكّد عليه أن يجدّد البيعة علي الناس وطلب منه رأس خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) مع جواب الكتاب، من دون تخييره بين البيعة والقتل، وإنّما أمر بالقتل فقط لمجرّد امتناعه.

(وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن عليّ، فإن فعلتَ ذلك فقد جعلتُ لك أعتة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر) (1).

(5)

صرّح العدو في كتابه إلي سائسه القرد المنخمور أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) لم يفعل سوي أنّه لم يرّ عليه ليزيد الخمور طاعةً ولا بيعة، وليس أكثر من

ص: 53

1- أنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 25، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 185، الأماي للصدوق: 152، بحار الأنوار: 44 / 312، العوالم للبحراني: 17 / 161.

ذلك، ولو كان لسيد الشهداء (عليه السلام) نشاط آخر يمكن أن يهدد السلطة والسلطان لأشار إليه.

(6)

حرص الإمام (عليه السلام) منذ الساعة الأولى أن لا يكون هو قد بدأ بقتل أو قتال، وأكد علي الفتية الذين خرج بهم أن لا يقدموا علي أي شيء ما لم يأمرهم الإمام (عليه السلام)، وأن يتجنبوا القتل، وأن لا يثيروا فتنة، وعلي فرض دخولهم أن يقتلوا من يريد قتله فقط.

(7)

لم يُعلن الإمام (عليه السلام) -- وفق جميع النصوص -- عند الوالي سوي تقبضه عن البيعة، وفي بعضها صرح بامتناعه عن البيعة فقط، إلا ما ورد من زيادة عند ابن أعثم لا تفيد التهديد المسلح.

(8)

لم يُعلن الإمام (عليه السلام) عند الناس ولا عند الوالي عن أي عزم علي شيء أو التصريح باتخاذ أي موقف غير التقبض عن البيعة، ولم يحرض علي السلطة ولا علي الوالي، ولا علي يزيد، ولا علي الأمويين، ولم يُعلن لهم عن عزم عنده علي مقارعتهم ومواجهتهم وتجييش الناس عليهم، ولا أي نشاط آخر سوي الامتناع، والامتناع عن البيعة فقط.

(9)

ص: 54

لم يطلب الإمام (عليه السلام) من الوالي سوي الاستمهال حتّى يدعو الناس جميعاً إلي البيعة، ثمّ يدعوهم معهم.

(10)

لم يبتّ الإمام (عليه السلام) بالامتناع عن البيعة عند الاستمهال، وإنّما أكّد أنّه يُصبح ويصبحون، ويرى ويرون، وينظر وينظرون، وأجلّ البتّ بالأمر إليّ حين دعوته مع الناس أجمعين.

(11)

لم يصرّح الإمام (عليه السلام) للوالي ولا لغيره عن الخطوة الثانية بعد دعوته مع الناس وما سيفعله.

(12)

لم يُعلن الإمام (عليه السلام) ولم يُشر ولم يلوّح للوالي ولا لغيره من أذنان السلطة أنّه يبتّ العزم علي ترك المدينة والخروج منها.

(13)

تسارعت الأحداث بحيث لم يبقَ الإمام (عليه السلام) بعد تخييره بين مناولة القروذ والقتل في المدينة إلّا زهاء ثلاثة أيّام علي أقصي التقادير، وظّف فيها الإمام (عليه السلام) يوماً منها لتشاغلهم بملاحقة ابن الزبير.

(14)

لم يسجّل للإمام (عليه السلام) أيّ نشاطٍ أو موقفٍ أو تعاملٍ مع الناس علي أيّ صعيد، من قبيل الاجتماع بهم، أو الخطبة فيهم، أو تحريضهم علي

ص: 55

السلطة، أو دعوتهم لنصرتهم، وقد تشاغل بنفسه وأهله استعداداً للسفر.

(15)

لم يُلحَظ أيُّ موقفٍ إيجابيّ من الناس عامّة، ولا من الشخصيّات والوجوه والصحابة والتابعين تجاه سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ولم يعلنوا له النصر، ولم يدفعوا عنه، فيما انتصر بنو عديّ لصاحبهم عبد الله بن مطيع ومَن حُبس معه.

(16)

كان خروج الإمام (عليه السلام) مُباغتاً مفاجئاً، لم يحسب له العدو ولم يتوقّعه.

(17)

خرج الإمام (عليه السلام) قبل أن يدعو السلطان الناس دعوةً عامّةً لتجديد البيعة.

ستأتي عدّة نقاطٍ أُخري مهمّة بعد قليل، كههيئة خروجه وزمان خروجه..

ص: 56

ربّما شرّق المحلّلون وغرّبوا، وغاصوا وحلّقوا، وربّوا مقدّماتٍ واستنتجوا، وصوّروا مبانيّ وقواعدَ وأسّسوا، وشيّدوا ركائزٍ ومنها انطلقوا، محاولين سبر أبعاد إباء سيّد الإباء (عليه السلام) عن البيعة ليزيد، وخروجه من المدينة المنورة قاصداً مكّة المكرّمة، ومنها إلى العراق، بيد أنّنا نرى في بيانات الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) التي رواها لنا التاريخ كفايةً في استجلاء الأمر واكتمال الصورة واتّضح المشهد، وبعدها لا ضرورة للتكلّف والاستماع إلى من يحاول أن يضيفي علي قيام سيّد الشهداء (عليه السلام) الظلال التي تُسقطها سوابقه الذهنيّة وتصوّراته واستخلاصاته.

ونكتفي هنا بذكر نماذج من بيانات سيّد الشهداء (عليه السلام) وتصريحاته التي ذكرها المؤرّخون، من دون تعليقٍ ولا بحثٍ وتحقيقٍ، لأنّنا أتينا علي بيان ذلك في كتاب (الظروف)..

روي ابن أعثم قول الإمام (عليه السلام) مخاطباً ابن الزبير:

«إني لا أبيع ليزيد، ويزيد رجلٌ فاسقٌ معلن الفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقية آل الرسول، لا والله لا

يكون ذلك أبداً» (1).

وفي حديث الإمام الصادق (عليه السلام)، عن أبيه، عن جدّه زين العابدين (عليهم السلام): قال الوالي مخاطباً الإمام خامس أصحاب الكساء (عليه السلام): إن أمير المؤمنين أمرك! أن تباع له!

فقال الحسين (عليه السلام): «قد علمت إنّ أهل بيت الكرامة، ومعدن الرسالة، وأعلام الحقّ الذين أودعه الله (عزّ وجلّ) قلوبنا، وأنطق به ألسنتنا فنطقت بإذن الله (عزّ وجلّ)، ولقد سمعتُ جدّي رسول الله (صلي الله عليه وآله) يقول: إنّ الخلافة محرّمة عليّ وُلد أبي سفيان. وكيف أباع أهل بيتٍ قد قال فيهم رسول الله (صلي الله عليه وآله) هذا؟» (2).

وروي ابن نما في (مثير الأحران):

قال ابن أبي زريق: وأنا أنظر إلي مروان وقد أسر إلي الوليد أن اضرب رقابهم، ثم قال جهراً: لا تقبل عذرهم، واضرب رقابهم! فغضب الحسين وقال: «ويلي عليك يا ابن الزرقاء! أنت تأمر بضرب عنقي؟ كذبت ولؤمت، نحن أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ويزيد فاسق شارب الخمر وقاتل النفس، ومثلي لا يباع

ص: 58

1- أنظر: الفتوح لابن أعمش: 5 / 13، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 2 / 181.

2- الأمالي للصدوق: 151، بحار الأنوار: 44 / 312، العوالم للبحراني: 17 / 161 عن الإمام عليّ بن الحسين السّجّاد (عليه السلام).

وقال ابن الطقطقي في كتاب (الفخري):

وخرج من المدينة قاصداً مكة، متائباً من بيعة يزيد، آنفاً من الانخراط في زمرة رعيته (2).

سبب امتناع الإمام (عليه السلام) ببيان الإمام (عليه السلام) وتصوير العدو

أورد ابن أعثم نصاً جمع فيه سبب امتناع الإمام (عليه السلام) عن البيعة، وفق ما صرح به سيّد الشهداء (عليه السلام) وما كشف عنه الوزغ مروان بن الحكم، من خلال حوارٍ دار بينهما، ونحن إذ نذكره هنا كنموذج ليس إلّا، ونحيل التفصيل إلي ما مرّ في أوائل البحث.

قال:

وأصبح الحسين من الغد، خرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: أبا عبد الله! إني لك ناصح، فأطعني ترشد وتسدد. فقال الحسين: «وما ذلك؟ قل حتّي أسمع».

ص: 59

1- مشير الأحزان لابن نما: 10.

2- كتاب الفخري لابن الطقطقي: 104.

فقال مروان: أقول: إنني أمرك ببيعة أمير المؤمنين يزيد، فإنه خولك في دينك ودينك.

قال: فاسترجع الحسين، وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلي الإسلام السلام؛ إذ قد بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد».

ثم أقبل الحسين علي مروان وقال: «ويحك! أتأمرني ببيعة يزيد، وهو رجلٌ فاسق؟! لقد قلتَ شططاً من القول يا عظيم الزلل! لا ألوئك علي قولك، لأنك اللعين الذي لعنتك رسول الله (صلي الله عليه وآله) وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإن من لعنه رسول الله (صلي الله عليه وآله) لا يمكن له ولا منه [إلا] أن يدعو إلي بيعة يزيد».

ثم قال: «إليك عني يا عدو الله، فإننا أهل بيت رسول الله (صلي الله عليه وآله)، والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا، وقد سمعتُ رسول الله (صلي الله عليه وآله) يقول: الخلافة محرمة علي آل أبي سفيان وعلي الطلقاء أبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية علي منبري فافقروا بطنه، فوالله لقد رآه أهل المدينة علي منبر جدِّي فلم يفعلوا ما أمروا به، قاتلهم الله بابنه يزيد! زاده الله في النار عذاباً». قال: فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين، ثم قال: والله لا تفارقني أو تباع ليزيد بن معاوية صاغراً، فإنكم آل أبي تراب قد ملتتم كلاماً وأشربتم بغض آل بني سفيان، وحق عليكم أن تبغضوهم، وحق عليهم أن يبغضوكم.

قال: فقال له الحسين: «ويلك يا مروان! إليك عني، فإتك رجس، وإنا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله (عز وجل) علي نبيّه محمّد (صلي الله عليه وآله) فقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (1)».

قال: فنكس مروان رأسه لا ينطق بشيء، فقال له الحسين: «أبشِرْ -- يا ابن الزرقاء -- بكلّ ما تكره من الرسول (صلي الله عليه وآله) يوم تقدم علي ربك، فيسألك جدّي عن حقّي وحقّ يزيد».

قال: فمضى مروان مغضباً حتّى دخل علي الوليد بن عتبة، فخبّره بما سمع من الحسين بن عليّ (2).

ص: 61

1- سورة الأحزاب: 33.

2- أنظر: الفتوح لابن أعمش: 5 / 23، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 184، مشير الأ-حزان لابن نما: 10، اللهوف لابن طاووس: 24، بحار الأنوار للمجلسي: 44 / 326، العوالم للبحراني: 17 / 175، نفس المهموم للقمّي: 70.

شكوي سيّد الشهداء (عليه السلام) قبل الخروج

شكوي سيّد الشهداء (عليه السلام) حاله إلى الله (عزّ وجلّ) وإلى رسوله (صلي الله عليه وآله) عند وداع قبره، وقال لأخيه عمر بن عليّ في خبرٍ ذكرناه في (ظروف خروج الإمام (عليه السلام) من المدينة):

«وأنّه لا أُعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقينّ فاطمة أباهَا شاكيةً ما لقيت ذرّيّتها من أمّته، ولا يدخل الجنّة أحدٌ آذاها في ذرّيّتها» (1).

وعبر عن شكواه ممّا يلقي من القوم، ومن خذلانهم في مواقف عديدة ومشاهد كثيرة، أتينا علي ذكرها في كتاب (الظروف)، فلا نعيد.

ص: 63

1- اللهوف لابن طاووس: 26.

وداع الإمام (عليه السلام) لقبر جدّه وأمه وأخيه (عليهم السلام)

خرج الإمام الحسين (عليه السلام) فجَدّد العهد بجدّه رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وشكى إليه (1)، علي تفصيلٍ أتينا علي ذكره في كتاب (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة).

ومضى في جوف الليل إلى قبر أمّه، فصلّي عند قبرها، وودّعها، ثمّ قام عن قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن (عليه السلام) ففعل مثل ذلك (2).

وفي (مهيج الأحزان):

وقف وقال: «السلام عليك يا أمّاه، حسينك جاء لوداعك، وهذه آخر زيارته إليك».

ص: 65

-
- 1- أنظر: الفتوح لابن أعمش: 26 / 5، الأمالي للصدوق: 152، بحار الأنوار: 312 / 44، العوالم للبحراني: 161 / 17، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 186 / 1.
 - 2- أنظر: الفتوح لابن أعمش: 29 / 5، مقتل الحسين للخوارزمي: 187 / 1، بحار الأنوار: 329 / 44، العوالم للبحراني: 178 / 17، نفس المهموم للقمّي: 73.

فإذا النداء من القبر: «وعليك السلام يا مظلوم الأمّ، ويا شهيد الأمّ، ويا غريب الأمّ»، فاستعبر باكياً.

ثمّ مضى إلي قبر أخيه الحسن ففعل مثل ذلك ((1)).

ثمّ التقى أخاه محمّد ابن الحنفية، ودار بينهما حواراً طويلاً ((2))، وكتب له الوصية المعروفة ((3))، وقد أتينا علي تفصيل الكلام فيها وبحثها سنداً ودلالةً في كتاب (ظروف الخروج).

ص: 66

-
- 1- مهتج الأحرار لحسن اليزدي: 49 -- بترجمة: السيّد علي أشرف -- عنه: معالي السبطين للمازندراني: 1 / 212.
 - 2- أنظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 317، تاريخ الطبري: 5 / 341، الإرشاد للمفيد: 2 / 32، بحار الأنوار: 44 / 326، العوالم للبحراني: 17 / 176، نفس المهموم للقمي: 71، تجارب الأمم لمسكويه: 20 / 40، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 265، نهاية الإرب للنويري: 20 / 380.
 - 3- أنظر: الفتوح لابن أعمش: 5 / 29، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 187.

لَمَّا عَزَمَ الإِمَامُ الحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَيِ الخُرُوجِ مِنَ المَدِينَةِ، أُنْتَهَتْ أُمُّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ، لَا تَحْزَنِّي بِخُرُوجِكَ إِلي العِرَاقِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكَ يَقُولُ: «يُقْتَلُ وَلَدِي الحُسَيْنُ بِأَرْضِ العِرَاقِ، فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: كَرْبَلَاءُ».

فَقَالَ لَهَا: «يَا أُمَّاهُ، وَأَنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ ذَلِكَ، وَإِنِّي مُقْتَوْلٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَيْسَ لِي مِنْ هَذَا بُدٌّ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَعْرِفُ اليَوْمَ الَّذِي أُقْتَلُ فِيهِ، وَأَعْرِفُ مَنْ يَقْتُلُنِي، وَأَعْرِفُ البُقْعَةَ الَّتِي أُدْفَنُ فِيهَا، وَإِنِّي أَعْرِفُ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَقُرَابَتِي وَشِيعَتِي، وَإِنْ أُرِدْتَ يَا أُمَّاهُ أُرِيكَ حَفْرَتِي وَمُضْجِعِي».

ثُمَّ أَشَارَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلي جِهَةِ كَرْبَلَاءَ فَانخَفَصَتِ الأَرْضُ، حَتَّى أَرَاهَا مُضْجِعَهُ وَمَدْفَنَهُ وَمَوْضِعَ عَسْكَرِهِ وَمَوْقِفَهُ وَمَشْهَدَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ بَكَاءً شَدِيداً، وَسَلَّمَتْ أَمْرَهُ إِلي اللهِ.

فَقَالَ لَهَا: «يَا أُمَّاهُ، قَدْ شَاءَ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) أَنْ يَرَانِي مُقْتَوْلًا مَذْبُوحًا ظَلَمًا وَعَدْوَانًا، وَقَدْ شَاءَ أَنْ يَرِي حَرَمِيورَهْطِي وَنَسَائِي مُشْرَدِينَ،

وأطفالي مذبحين مظلومين مأسورين مقيدّين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ولا معينًا».

وفي روايةٍ أُخري:

قالت أمّ سلّمة: وعندي تربةٌ دفعها إليّ جدّك في قارورة.

فقال: «واللهِ إنّي مقتولٌ كذلك، وإن لم أخرج إليّ العراق يقتلونني أيضاً».

ثمّ أخذ تربةً فجعلها في قارورةٍ وأعطاهما إيّاها، وقال: «اجعلها مع قارورة جدّي، فإذا فاضتا دمًا فاعلمي أنّي قد قُتلت» (1).

فقالت أمّ سلّمة: فلمّا كان يوم عاشوراء نظرتُ إليّ القارورتين بعد الظهر، فإذا هما قد فاضتا دمًا، فصحت (2).

لم تعرّض أمّ سلّمة المؤمنة المسلمة الموالية المؤدّبة العارفة، بيد أنّها تقدّمت لإمامها برجاءٍ وتفجّعٍ وتوجّسٍ وترقّبٍ لوقوع الفاجعة العظمي التي أخبرها بها رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وهي مسلّمةٌ لربّها ولرسوله (صلي الله عليه وآله) ولإمامها (عليه السلام)، ولهذا قالت: (لا تحزّني بخروجك)، ثمّ أخبرته بخبر رسول الله (صلي الله عليه وآله) وما أودعه

ص: 68

1- أنظر: بحار الأنوار: 44 / 331، العوالم للبحراني: 17 / 180، نفس المهموم للقمّي: 76، لواعج الأشجان للأمين: 31، المنتخب للطريحي: 2 / 436.

2- أنظر: الخرائج للراوندي: 1 / 254، بحار الأنوار: 45 / 89 ح 27.

عندها.. إنها حرقه قلب الأم التي تودّع ولدها إلي الشهادة.

فلا يُقاس موقف أم سلمة بمواقف المعترضين، من أمثال العبدّين: ابن عمر وابن عبّاس وغيرهما.

ولا يخفي علي من تأمل في الكثير من الإخبارات الغيبية، يجد فيها تلويحاً كامناً، فعلاوةً علي الإخبار الغيبي، فإنّها تلوح إلي عزم العدو علي قتل الإمام (عليه السلام)، تماماً كما فعلوا مع جدّه وأبيه وأخيه وأولاده المعصومين (عليهم السلام)، وأنّه سوف (لا ولن) يترك الإمام (عليه السلام)، سواءً بايع أو لم يبايع، وسواءً بقي في المدينة أو خرج منها، وقد أشرنا إلي ذلك في غير موضع، فلا نعيد.

الودائع عند أم سلمة

روي الشيخ الطوسي (رحمة الله) مسنداً عن الفضيل بن يسار قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): «لَمَّا توجّه الحسين (عليه السلام) إلي العراق، دفع إلي أم سلمة زوج النبي (صلي الله عليه وآله) الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعتُ إليك. فلَمَّا قُتل الحسين (عليه السلام) أتني علي بن الحسين (عليهما السلام) أم سلمة، فدفعتُ إليه كلَّ شيءٍ أعطتها الحسين (عليه السلام)» (1).

ص: 69

1- الغيبة للطوسي: 195 ح 101، بحار الأنوار: 46 / 18 ح 3.

وفي حديثٍ آخرٍ أخرجه العامليّ في كتابه (الصراط المستقيم)، قال: وكتب الحسين (عليه السلام) وصيّةً وأودعها أمّ سلمة، وجعل طلبها منها علامةً عليّ إمامة الطالب لها من الأنام، فطلبها زين العابدين (عليه السلام) (1).

هذه بعض الودائع، وثمة ودائع أُخري استودعها ابنته فاطمة الكبرى، وبعضها دفعها إلي الإمام زين العابدين (عليه السلام) مباشرة.

ولا يخفي ما في هذا الاستيداع عند أمّ سلمة من إشادةٍ بأمّ سلمة وتنويهٍ بعظيم قدرها وجلالة شأنها وعلو منزلتها ومقامها، وثقة الإمام خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) بها وبأمانتها واعتمادها، وثباتها علي الولاية والتسليم لآل محمّد (صلي الله عليه وآله).

ص: 70

1- الصراط المستقيم للعاملي: 161، إثبات الهداة: 4 / 60.

روي ابن قولويه (رحمة الله) مسنداً عن جابر، عن محمد بن عليّ (عليهما السلام) قال:

«لَمَّا هَمَّ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِالشَّخْوَصِ عَنِ الْمَدِينَةِ، أَقْبَلَتْ نِسَاءَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَاجْتَمَعْنَ لِلنِّيَاحَةِ، حَتَّى مَشِيَ فِيهِنَّ الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَقَالَ: أُنْشِدُكَنَّ اللَّهُ أَنْ تُبْدِينَ هَذَا الْأَمْرَ مَعْصِيَةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

فَقَالَتْ لَهُ نِسَاءُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: فَلَمَنْ نَسْتَبْقِي النِّيَاحَةَ وَالْبَكَاءَ؟ فَهُوَ عِنْدَنَا كَيَوْمِ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَرَقِيَّةُ وَزَيْنَبُ وَأُمُّ كَلْثُومٍ، فَنُنْشِدُكَ اللَّهُ، جَعَلْنَا اللَّهُ فِدَاكَ مِنَ الْمَوْتِ يَا حَبِيبَ الْأَبْرَارِ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ.

وَأَقْبَلَتْ بَعْضُ عَمَّاتِهِ تَبْكِي وَتَقُولُ: أَشْهَدُ يَا حُسَيْنَ لَقَدْ سَمِعْتُ الْجَنَّةَ نَاحَتْ بِنُوحِكَ، وَهُمْ يَقُولُونَ:

فَإِنَّ قَتِيلَ الطِّفْلِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

أَذَلَّ رِقَاباً مِنْ قَرِيشٍ

فَذَلَّتِ

حَبِيبُ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يَكُ فَاحِشاً

أَبَانَتْ مَصِيبتِكَ الْأَنْوَفِ

وَجَلَّتِ

وَقَلْنَ أَيْضاً:

أَبْكِي حُسَيْناً سَيِّداً

وَلَقَتْلَهُ شَابَ الشَّعْرَ وَلَقَتْلَهُ زُلْزِلْتُمْ

وَلَقَتْلَهُ انْكَسَفَ الْقَمَرُ

واحمَرَّتْ آفاقَ السّما

ءٍ من العشيّة

والسحرَ

وتغَبَّرتْ شمسُ البِلا

دٍ بهم وأظلمت

الكُوْزُ

ذاك ابنُ فاطمة المصا

بُ به الخلائق والبشرُ

أورثتنا ذلاً به

جدع الأنوفَ مع

الغرر» (1)

ثمّ إن نساء بني هاشم أقبلن إلي أمّ هانئ عمّة الحسين (عليه السلام) وقلن لها: يا أمّ هانئ، أنت جالسةٌ والحسين (عليه السلام) مع عياله عازمٌ علي الخروج؟! عازمٌ علي الخروج؟!

فأقبلت أمّ هانئ، فلمّا رآها الحسين (عليه السلام) قال: «أما هذه عمّتي أمّ هانئ؟»، قيل: نعم.

فقال: «يا عمّة، ما الذي جاء بك وأنتِ علي هذه الحالة؟»، فقالت: وكيف لا آتي وقد بلغني أنّ كفيلاً الأرامل ذاهبٌ عني؟ ثمّ إنّها انتحبت باكية، وتمثّلت بأبيات أبيها أبي طالب (عليه السلام):

وأبيضُ يُستسقي الغمامُ بوجهه

ثمّال اليتامي عصمةٌ للأراملِ

تطوفُ به الهلاكُ من آل هاشمِ

فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ

ثمّ قالت: سيّدي، وأنا متطيّرةٌ عليك من هذا المسير، لهاتفٍ سمعتُ البارحة يقول:

وإنّ قتيل الطّف من آل هاشم

أذلّ رقاباً من قريش فذلت

ص: 72

1- كامل الزيارات لابن قولويه: 96 الباب 29 ح 9، بحار الأنوار: 45 / 88 ح 26.

حبيب رسول الله لم يكُ فاحشاً

أبانت مصيبتَه الأنوفَ وحلَّت

فقال لها الحسين: «يا عمّة، لا تقولِي: من قريش، ولكن قولِي: أذلّ رقاب المسلمين فذلّت».

ثم قال: «يا عمّة، كلّ الذي مقدّر فهو كائنٌ لا محالة».

وقال (عليه السلام):

«وما هم بقومٍ يغلبون ابنَ غالبٍ

ولكن بعلم الغيب قد قُدِّر

الأمر»

فخرجت أم هانئ من عنده باكية، وهي تقول:

وما أم هاني وحدها ساء حالها

خروج حسين عن مدينة جدّه

ولكنّما القبر الشريف ومَن به

ومنبره سيكون من أجل فقده (1)

ص: 73

إشارة

اختلفت الأقوال في تاريخ خروج الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة، كما اختلفوا في وقت خروجه (عليه السلام) من اليوم والليلة، ويمكن تقسيمها حسب التاريخ أو الوقت إلي قسمين:

القسم الأول: التاريخ

إشارة

يمكن نظم ما ذكره في أقوال:

القول الأول: ليلة الأحد، يومين بقيا من رجب

قرّر البلاذريّ والطبريّ وآخرين خروج الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة ليلة الأحد -- أي: يوم السبت ليلاً -- ليومين بقيا من رجب، وهما حسب الفرض الأحد والاثنين، أي: في اليوم الثامن والعشرين من رجب علي فرض تمامية الشهر الحرام، قالوا:

فخرج الحسين ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة

القول الثاني: ليلتين بقيتا من رجب

وقال ابن الجوزي والياضي أنه خرج لليلتين بقيتا من رجب (2).

فإن كان اليومان تتخللهما ليلة وفق القول الأول، فلا يبعد أن يكون القول الثاني قد احتسب الليلة التي تحرك فيها الإمام (عليه السلام) فيما أغفلها أصحاب القول الأول، فيرجع القولان إلي قول واحد.

القول الثالث: بقية من رجب

قال ابن العماد: في بقية من رجب (3).

وهو ينسجم مع القولين الأولين، غاية ما في الأمر أن ابن العماد أجمل هنا من دون تحديد دقيق للتاريخ، فيحمل إجماله علي ما بيّنته الأقوال السابقة.

ص: 76

-
- 1- أنظر: جُمَل من أنساب الأشراف: 5 / 215، الإفادة للزبيدي: 56، الاستيعاب لابن عبد البر: 1 / 381، تاريخ الطبري: 5 / 341، الإرشاد للمفيد: 2 / 32، روضة الواعظين للفتال: 147، بحار الأنوار: 44 / 326، العوالم للبحراني: 17 / 176، نفس المهموم للقمي: 71. بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2572، تاريخ الخميس للديار بكرى: 2 / 331، نور الأبصار للشبلنجي: 256.
 - 2- أنظر: المنتظم لابن الجوزي: 5 / 324. مرآة الجنان لليافعي: 1 / 132.
 - 3- شذرات الذهب لابن العماد: 67.

القول الرابع: ثلاث ليالٍ مضين من شعبان

قال ابن أعثم -- وتبعه كالعادة الخوارزمي -- : وذلك لثلاث ليالٍ مضين من شهر شعبان في سنة ستين (1).

وقال ابن نما وابن طاووس: وكان توجه الحسين إلي مكة لثلاثٍ مضين من شعبان سنة ستين من الهجرة (2).

الظاهر أن إجمال الشيخ ابن نما والسيد ابن طاووس وعدم تحديد الليلة أو اليوم قد لا يكون مخالفاً كثيراً؛ إذ يُحتمل علي تصريح ابن أعثم.

ومن تابع السيد في (اللهوف) يتضح له أنه يعتمد رواية (الفتوح) ويأخذ منه كثيراً، بالإضافة إلي تأخره والشيخ ابن نما عن ابن أعثم، فيكون ابن أعثم هو الأقدم في هذا القول، وهو المصدر الأساس له.

القول الخامس: خمس خلون من شعبان

قال تاج الدين العاملي: ومضي إلي مكة لخمسٍ خلون من شعبان سنة ستين (3).

ص: 77

1- الفتوح لابن أعثم: 34 / 5، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 189 / 1.

2- أنظر: مثير الأحزان لابن نما: 10. اللهوف لابن طاووس: 30، عنه بحار الأنوار: 326 / 44.

3- التتمة لتاج الدين العاملي: 77.

وهذا القول شاذٌ جداً، ولم نجد قائلًا به سوى تاج الدين العاملي في (التتمة)، ويحتمل فيه التصحيف أو الاشتباه والسهو من النسخ أو المؤلف عند النقل عن (الفتوح) لابن أعثم، والله العالم.

جمع الأقوال

يبدو أن القول الأول هو المرجح؛ وذلك لأن رواته هم الأقدم والأكثر، وهو المشهور بين الشيعة -- زادهم الله عدداً وشرفاً وعزاً، وصانهم من كل مكروه --، إضافةً إلى تفرّد ابن أعثم، إذ لا يُعتدّ بمن جاء بعده وأشارت الشواهد إلى أنه أخذ عنه.

القسم الثاني: الزمان

القول الأول: الليل

(فلما أمسوا وأظلم الليل، مضى الحسين (عليه السلام) نحو مكة (1))، وقال آخر: (خرج من تحت ليلته) (2))، و(في جوف

ص: 78

-
- 1- الأخبار الطوال للدينوري: 230.
 - 2- أنظر: تاريخ الطبري: 5 / 341، الإرشاد للمفيد: 2 / 32، روضة الواعظين للفتال: 147، بحار الأنوار: 44 / 326، العوالم للبحراني: 17 / 176، نفس المهموم للقمي: 71.

الليل (1)، و(خرج من الليل) (2)، و(في الليلة الآتية) (3)، و(من ليلته) (4)، و(سار في الليل من المدينة) (5).

اتّقت هذه المصادر -- علي اختلاف عباراتها -- أن الإمام (عليه السلام) قد خرج من المدينة ليلاً.

القول الثاني: نهراً

وتردّد البري، فقال: ارتحل من ليلته إلي مكة، وقيل: ارتحل نهراً (6).

وصرح السيّد ابن طاووس أنّه خرج في الغداة، قال: فلمّا كان الغداة توجّه الحسين (عليه السلام) إلي مكة (7).

جمع الأقوال

يبدو أنّ القول الثاني غير ناهضٍ لمعارضة القول الأوّل، إذ أنّ البري قد

ص: 79

1- الفتوح لابن أعمش: 34 / 5، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 189 / 1.

2- المنتظم لابن الجوزي: 324 / 5.

3- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 135.

4- نهاية الإرب للنويري: 380 / 20، تاريخ الإسلام للذهبي: 268 / 2.

5- أنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 196، مرآة الجنان لليافعي: 1 / 132، تاريخ الخلفاء للسيوطي: 206، شذرات الذهب لابن

العماد: 67.

6- الجوهرة للبري: 41.

7- اللهوف لابن طاووس: 30 -- عنه: بحار الأنوار: 326 / 44.

تردّد وذكر القول الأوّل، وربما يُحمل قول السيّد: (الغداة) علي الصباح الباكر، بحيث لم يعدّ ذلك النهار هو المنطلق، علي فرض اتّفاقهما علي القول بالحركة نهاراً، يبقي الترجيح كما يبدو للقول الأوّل، لأنّه المتّفق عليه بين المؤرّخين، وانفراد البري والسيّد، وهما متأخّران كثيراً بالنسبة للمتّقين.

ملاحظتان

الملاحظة الأولى: الخروج وقت السحر!

لم نعثر -- فيما فحصنا من الأقوال في المصادر التي مرّت بنا -- تصريحاً يفيد أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) قد انطلق وقت السحر، والذي أفادته الأقوال أنّه خرج حينما أظلم الليل، أو تحت ليلته، وأبعدها من قال: أنّه خرج في جوف الليل.

فمن قال: حينما أظلم الليل، ربّما أفاد أنّ الخروج كان في أول الليل بعد المساء وهبوط الظلام.

ومن قال: أظلم الليل أو تحت ليلته، ربّما أفاد بعد أن مضى هزيغ من الليل، وعلي الأكثر فإنّ جوف الليل أحشاءه ووسطه.

ثمّ إنّ وقت السحر مقطّع زمنيّ محدّد معروف، وهو قريب من الفجر والصبح، فالمفروض أن ينصّ عليه المؤرّخ إن كان الإمام (عليه السلام) قد خرج فيه، فيرد ولو علي لسان مؤرّخ واحدٍ ممّن جردناهم.

يُضاف إلي ذلك:

إنّ المتأمل في ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) وتعجله في المسير والخروج وابتعاده عن مظانّ الطلب، ربّما اقتنع بالقول الأوّل، أي: بعد أن أمسي وأظلم الليل، بعد أن هدأت العيون، وسكنت الأجراس، وخدمت الأصوات، ونام الناس، وكانوا ينامون من أوّل الليل غالباً، عندها خرج سيّد الشهداء (عليه السلام) ليوفّر للركب فترة مسيرٍ أطول يتوغّل فيها في الطريق، ويُمعّن في الابتعاد عن المدينة، ويفاجئ الأعداء بابتعاده عنهم.

الملاحظة الثانية: حركة الإمام (عليه السلام) في الزمن الحرام

كانت انطلاقة حركة الإمام (عليه السلام) من المدينة في البقيّة الباقية من الشهر الحرام (رجب)، كما كانت حركته من مكّة انطلاقةً واستمراراً إلي حين وصوله كربلاء كلّها في الأشهر الحرم (ذي الحجّة والمحرّم)، وبهذا قد وظّف الإمام (عليه السلام) جميع الوسائل التي تحمي المؤمن، وتمنع العدو من الطغيان والتجاوز والاعتداء.

فهو قد خرج من المدينة التي حرّمها النبيّ (صلي الله عليه وآله) إلي مكّة البلد الحرام، وفي أيّام من رجب، كما انطلق (عليه السلام) من مكّة في الشهر الحرام، ومشى إليالعراق طيلة الطريق في الشهر الحرام، بيد أنّ حرمة المكان وحرمة الزمان لم تكن عند القوم مانعاً ولا رادعاً، والحال أنّهما كانا معظّمان في الجاهليّة والإسلام، وأنّي لهم رعاية حرمة الزمان والمكان، وقد هتكوا الحريم الأعظم

لله وسفكوا الدم الحرام الذي أضحى ثار الله ووثره الموتور، واستباحوا حرّامات الله (عزوجل) وحرّامات رسوله (صلي الله عليه وآله)،
وسبوا عقائل النبوة ومخدرات الوحي!!؟

ص: 82

فلما سار الحسين نحو مكة، قرأ عند خروجه من المدينة قوله (تعالى): (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (1)، وجعل يسير ويقراً هذه الآية (2).

لم يكن لأحدٍ من العالمين أن يصف الوضع والحال الذي خرج به الإمام خامس أصحاب الكساء (عليهم السلام) من المدينة كوصفه هو فداه العالمين.

وقد وصف الإمام (عليه السلام) تلك الظروف وصفاً دقيقاً رائعاً واضحاً جلياً بيناً، لا يشوبه أي تشويش أو تعبيش، وكأنّ العيون تراه والقلوب تعيه والأذهان تتمثله، من خلال قراءة آية من كتاب الله، قرأ الجزء الأول منها

ص: 83

1- سورة القصص: 21.

2- أنظر: تاريخ الطبري: 5 / 343، الفتوح لابن أعثم: 5 / 34، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 189، الإرشاد للمفيد: 2 / 33، روضة الواعظين للفتال: 147، بحار الأنوار: 44 / 332، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 265، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: 135، نهاية الإرب للنويري: 20 / 380، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: 183.

عند خروجه من المدينة، وكان يردّها أثناء المسير كما تقيّد بعض عبارات المؤرّخين، ثمّ قرأ باقي الآية الكريمة عند وصوله إلى مكّة المكرّمة ورؤيته جبالها، وقد أتينا علي تفاصيل دلالات الآية وتلاوتها في كتاب (ظروف خروج الإمام (عليه السلام) من المدينة).

ووصفت الحال السيّدة سكينه بنت الحسين فيما روي عنها أنّها قالت: لمّا خرجنا من المدينة ما كان أحدٌ أشدّ [منا غمّاً ولا] (1) خوفاً منّا أهل البيت (2).

ولا حاجة للبحث عن مصادر قديمة لهذا الخبر، ولا التدقيق في الأسانيد، فهو تعبيرٌ آخر عن تلاوة الآية علي لسان سيّد الشهداء (عليه السلام).

وقد أشارت الدلائل والشواهد الكافية علي هذا التوصيف في مواقف وتصريحات وبيانات الإمام (عليه السلام) قبيل خروجه من المدينة وفي الطريق وفي مكّة وغيرها من المواطن.

وقد ذكرنا في كتاب (الظروف) أنّ هذا الخوف لا يعني الخوف المذموم، إذ أنّ ساحة الإمام (عليه السلام) ومن معه من ذريّة أبي طالب (عليهم السلام) ومواليهم مبرّاة

ص: 84

1- أسرار الشهادة للدريندي: 209، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 223.

2- المنتخب للطريحي: 2 / 421، مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف (المشهور): 14، وفيه: لمّا خرجنا من المدينة ما كان من أهل بيتٍ أشدّ خوفاً عليه منّا أهل بيت رسول الله (صلي الله عليه وآله).

من هذا النوع من الخوف، كما أنه لا يُعدّ هروباً في ساحة القتال، وإنّما هي حركةٌ انتقاليّةٌ وعملٌ بالتكليف في حماية النفس والأهل والمال، وتجنّب هتك حرمة الحرم، وما شاكل من أغراض ومسوّغات، تماماً كما فعل الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) من قبل، وكما فعل النبيّ موسى (عليه السلام) حينخرج إلى مَدِين، وكما فعل رسول الله (صلي الله عليه وآله) في هجرته من مكّة إلى المدينة، وقد استوعبنا الحديث في كتاب (الظروف)، فلا نعيد هنا.

- وخرج الحسين إلى مكة في بنيه وإخوته وبني أخيه وجُلَّ أهل بيته، غير محمد ابن الحنفية (1).
- ومعه أختاه: أم كلثوم وزينب، وولد أخيه، وإخوته: أبو بكر وجعفر والعبّاس، وعمّته من كان بالمدينة من أهل بيته، إلا أخاه محمد ابن الحنفية فإنه أقام (2).
- وخرج في جوف الليل يريد مكة بجميع أهله (3).
- فتوجّه إلى مكة بأهله وولده (4).
- وحمل أخواته علي المحامل، وابنته، وابن أخيه القاسم بن

ص: 87

1- جُمَلُ مِنْ أُنْسَابِ الْأَشْرَافِ لِلْبِلَادِرِيِّ: 317 / 5.

2- الْأَخْبَارُ الطَّوَالُ لِلدِّينُورِيِّ: 230.

3- الْفَتْوحُ لِابْنِ أَعْتَمٍ: 34 / 5.

4- شَرْحُ الْأَخْبَارِ لِلْقَاضِيِ النُّعْمَانِ: 143 / 3.

الحسن بن عليّ، ثمّ سار في أحد وعشرين رجلاً من أصحابه أهل بيته، منهم: أبو بكر بن عليّ، ومحمّد بن عليّ، وعثمان ابن عليّ، والعبّاس بن عليّ، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وعليّ بن الحسين الأكبر، وعليّ بن الحسين الأصغر (1).

• ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجُلّ أهل بيته، إلّا محمّد ابن الحنفية (رحمة الله عليه) (2).

• فخرج من الليل ببنيه وإخوته وبنو أخيه وأهل بيته (3).

• وخرج الحسين بأهله (4).

• وأخذ معه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجُلّ أهل بيته، إلّا محمّد ابن الحنفية (5).

• وخرج الحسين في الليلة الآتية بأهله وفتيانه (6).

ص: 88

1- الأماي للصدوق: 152، بحار الأنوار: 44 / 312 بسند عن الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام).

2- الإرشاد للمفيد: 2 / 32، روضة الواعظين للفتال: 147، بحار الأنوار: 44 / 326، العوالم للبحراني: 17 / 176، نفس المهموم للقمي:

71.

3- المنتظم لابن الجوزي: 5 / 324.

4- الردّ عليّ المتعصّب العنيد لابن الجوزي: 35.

5- الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 265، نهاية الإرب للنويري: 20 / 380.

6- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 135.

• ثم خرج الحسين من عنده، وجمع أصحابه وخرج من المدينة (1).

• وأما الحسين (عليه السلام)، فإنه أخذ معه بنيه وإخوته وبنو إخوته وجميع أهله وحاشيته (2).

ذكرت المتون التاريخية من خرج مع الإمام (عليه السلام) بالنص علي أسماء البعض، وذكرت آخرين بعناوين عامة، من قبيل الإخوة والأخوات والأولاد وما شاكل، ويمكن استقصاء ما وقع بأيدينا من المصادر ونظمها تحت مجاميع:

المجموعة الأولى: العناوين العامة

وردت جملة من العناوين التي يمكن أن تشمل من يصدق عليه العنوان، من قبيل:

(1) بنوه.

(2) إخوته.

(3) أخواته.

ص: 89

1- كتاب الفخري لابن الطقطقي: 104.

2- الفصول المهمة لابن الصباغ: 183.

(4) ابنته.

(5) بنو إخوته.

(6) بنو أخيه.

(7) عامّة مَنْ كان بالمدينة من أهل بيته.. بجمع أهله.. بأهله ووُلده.

(8) فتيانه.

(9) حاشيته.

(10) جمع أصحابه وخرج من المدينة.

(11) أحد وعشرون رجلاً من أصحابه وأهل بيته.

المجموعة الثانية: المنصوص علي أسمائهم

(1) أخوه العباس.

(2) أخته زينب.

(3) أخته أمّ كلثوم.

(4) أخوه أبو بكر بن عليّ.

(5) أخوه جعفر.

(6) محمّد بن عليّ.

(7) عثمان بن عليّ.

(8) عليّ بن الحسين الأكبر.

(9) عليّ بن الحسين الأصغر.

(10) ابن أخيه القاسم بن الحسن بن عليّ.

(11) عبد الله بن مسلم بن عقيل.

هؤلاء من صرّحت المصادر بخروجهم مع الإمام (عليه السلام)، ويمكن أن تُستقصى الأسماء من خلال متابعة النصوص التي ذكرت المستشّهدين من آل البيت وآل أبي طالب في الكتب التاريخيّة وكتب الزيارات وزيارة الناحية المقدّسة وما شاكل، واقتصرنا هنا علي المصادر التي تحدّثت عن ليلة الخروج، وترك الباقي إلي محلّه إن شاء الله (تعالى).

المجموعة الثالثة: المستثني

إشارة

نذكر هنا نماذج أفاد المؤرّخ أنّهم تخلّفوا عن ركب سيّد الشهداء (عليه السلام)، ولا نريد معالجة المواقف والبحث عن المسوّغات التي سمحت لهم بالتخلّف، كما لا نريد الاستقصاء، ونرجو من الله التوفيق لذلك لنجمع من تخلّف عن الركب من بني هاشم عموماً، وغيرهم من كبار الشيعة ورجالهم وجماعهم وشخصيّاتهم ووجوههم إن كانوا في المدينة أو في غيرها، ومحاولة استكشاف المسوّغات والأسباب والأعدار، إذ أنّ بعضهم لا يمكن أن نظنّ به إلاّ خيراً، سيّما أنّه نال رضي الأئمة من بعد سيّد الشهداء (عليهم السلام) ..

ص: 91

تخلف المولي محمد ابن الحنفية عن سيد الشهداء (عليه السلام) ولم يخرج معه (1)، ولم يأذن لولده أن يخرجوا فتخلفوا معه (2).

النموذج الثاني: عمر بن علي

إختلفوا في خروجه..

فقال جماعة أن سيد الشهداء (عليه السلام) دعاه للخروج معه إلى العراق فتخلف عنه (3).

ص: 92

1- جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 317، الأخبار الطوال للدينوري: 230، الإرشاد للمفيد: 2 / 32، روضة الواعظين للفتال: 147، بحار الأنوار: 44 / 326، العوالم للبحراني: 17 / 176، نفس المهموم للقمي: 71. الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 265، نهاية الإرب للنويري: 20 / 380.

2- أنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 61، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ دمشق: 204 ط المحمودي، تهذيب ابن بدران: 4 / 331، مختصر ابن منظور: 7 / 143، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2612، تهذيب الكمال للمزي: 6 / 421، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 343، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 165.

3- أنظر: سر السلسلة لأبي نصر: 96، الأصيلي لابن الطقطقي: 332، عمدة الطالب لابن عنبه: 362، تنقيح المقال للمامقاني: 1-2 / 346، نفس المهموم للقمي: 328.

وقال آخرون أنه خرج معه واستشهد بين يديه. قال المامقاني: وقد نصّ أبو مخنف وابن شهر آشوب وفاضل البحار وغيرهم من أرباب المقاتل من العامّة والخاصّة أنّه خرج مع أخيه الحسين (عليه السلام) من المدينة إلي العراق، وكانت معه أمّه وأخته رقية وولداها عبد الله ومحمد ابنا مسلم بن عقيل (1).

النموذج الثالث: فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام)

روي الخوارزمي وابن عساكر وغيرهما مسنداً عن المفضّل بن عمر الجعفي قال: سمعتُ جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول: «حدّثني أبي محمد بن عليّ: حدّثني أبي عليّ بن الحسين (عليهما السلام) قال: لما قُتِل الحسين (عليه السلام)، جاء غرابٌ فوقع في دمه، ثمّ تمرّغ ثمّ طار، فوقع بالمدينة علي جدار دار فاطمة بنت الحسين (عليه السلام)، وهي الصغرى، فرفعت رأسها إليه فنظرته، فبكت وقالت:

نعب الغراب، فقلت مَنْ

تنعاه؟ ويلك من غراب!

قال: الإمام، فقلت:

مَنْ؟

قال: الموقّق للصواب

إنّ الحسين بكر بلا

بين المواضي والجِراب

[فابك الحسينَ بعبرة

تُرضي الإله مع

الثواب]قلت: الحسين؟ فقال لي:

مُلقِيّ علي وجه

التراب

ص: 93

ثم استقلَّ به الجناح

ولم يُطق ردَّ الجواب

فبكيَتْ منه بعبرة

تُرضي الإله مع

الثوب»

قال محمد بن عليّ (عليه السلام): «فنعته لأهل المدينة، فقالوا: جاءت بسحر بني عبد المطلب. فما كان بأسرع من أن جاءهم الخبر بقتل الحسين (عليه السلام)» (1).

لكِ الله يا سيّدي الغربية، لكِ الله يا سيّدي المظلومة بنت المظلوم، لكِ الله يوم فارقتِ ركبُ أبيك وإخوتك وأخواتك وعمّاتك وأهل بيتك، وبقيتِ في المدينة، لا ندري كيف حصل الوداع، وكيف استقبلتِ الفراق! لكِ الله يوم جاءك الخبر، لكِ الله ساعة نظرتِ إليّ دم أبيك علي جناح الطائر!

وصلّي الله عليّ أبيك رحمة الله الواسعة ومعدن الرأفة الذي أبيّ إلا أن يُخبرك بخبره ولو بدمه الذي ضرح الطائر جناحه به.

النموذج الرابع: عبد الله بن جعفر

لم يخرج عبد الله بن جعفر وحده مع سيّد الشهداء (عليه السلام)، وأرسل معه

ص: 94

1- أنظر: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 2 / 92، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 74 / 19، تراجم النساء: 286، مختصر ابن منظور: 20 / 358، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2646، فرائد السمطين للحموي: 2 / 163، بحار الأنوار: 45 / 171، العوالم للبحراني: 17 / 490، نور الأبصار للشبلنجي: 384.

زوجته السيّدة الصديقة الصغرى زينب الكبرى (عليها السلام) وأولاده، فلازموا ركاب إمامهم حتّى استشهدوا بين يديه بأمر أبيهم.

هؤلاء علي العموم من لم يخرجوا مع سيّد الشهداء (عليه السلام) من آل أبي طالب، ولم نحصهم ونستقصي المصادر بحثاً عنهم، واكتفينا بهذا القدر.

النموذج الخامس: أمّ البنين (عليها السلام)

يبدو أنّ وجود أمّ البنين (عليها السلام) أيام الطفّ علي قيد الحياة ممّا لا يعتريه الشكّ، أمّا ما ذكر في إحدى كتب المحقّق المرحوم السيّد المقرّم فلا يغيّر من الواقع التاريخي شيئاً؛ وذلك:

لأنّ السيّد المقرّم (رحمة الله) نفسه اختلف في موقفه من القضية في كتبه الأخرى، ولم يكن يبتّ فيها بضرٍ قاطع، وما ذكره من أدلّة قابلة للمناقشة، بل لا تصمد أمام النقد، وقد ناقشه بعض المحقّقين وأثبتوا خلاف قوله (رحمة الله)، هذا كلّه إن كان ما جاء في بعض طبعات كتابه كان من تحرير قلمه الشريف نفسه!

قال محمّد علي السالكي في كتابه (أمّ البنين (عليها السلام)):

إنّ السيّد المقرّم بعد ما نقل نياحة أمّ البنين (عليها السلام) في المدينة علي أولادها وعلي العباس (عليه السلام) بالأخصّ في كتابه (قمر بني هاشم)، الذي طبع مرّةً بهذا الاسم وتارةً باسم (العبّاس (عليه السلام))،

ص: 95

مع ذكر الأشعار المنسوبة إليها، وفي كتابه (مقتل الحسين (عليه السلام)) الذي طُبع سابقاً قبل الطبعة الأخيرة المنمّقة بمقدّمة ولده، فإنّه بعد هذا وذاك شكّك في الطبعة الأخيرة الخامسة الجديدة من (مقتل الحسين (عليه السلام)) المطبوع مع مقدّمة ولده.

وقال أيضاً في الهامش:

إنّما قيّدناه بالخامسة الجديدة، لأنّ الكتاب طُبع الطبعة الخامسة سابقاً وليست فيه هذه التشكيكات، ثمّ طُبع طبعةً خامسةً مع مقدّمة كتبها ابنه السيّد محمّد حسين المقرّم، وفيه هذه التشكيكات المُشار إليها (1).

فهي إذن موجودةٌ حين خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة، ولم تخرج مع الركب الحسينيّ إلي كربلاء، ولكنّها سرّحت قلبها معهم، وبقيت ترفرف بروحها علي ساحة المعركة، وتتسقط أخبارهم من القادمين.

ويا ليتها كانت حاضرة، فترى مفاخرهم وبطولاتهم بأعينها، فتكون لها سلوة.

وربّما بقيت في المدينة لأنّها أصغت باذن المؤمن المطيع لقوله (تعالى):

ص: 96

1- أمّ البنين للسالكى: 116، ثمّ ناقش المؤلّف الشبهة مناقشةً مفصّلة، ويبدو من مقدّمته أنّ غرضه من تأليف الكتاب إنّما هو ردّ هذه التشكيكات.

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) (1)، وهي تعتقد أنّ الله أمرها من خلال هذه الآية -- باعتبارها زوجة سيّد الوصيّين (عليه السلام) -- بما أمر به نساء سيّد المرسلين (صلي الله عليه وآله)، لأنّهنّ في حكمٍ واحد، وقد روي عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) أنّه قال: «لا يجوز لأزواج النبيّ (صلي الله عليه وآله) والوصيّ (عليه السلام) أن يتزوّجن بغيره بعده» (2). فقعدت عن الخروج كما قعدت أمّ سلّمة عن الخروج مع أمير المؤمنين (عليه السلام) في حرب الجمل، والخروج مع سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام).

ولعلّها لم تخرج لكبر سنّها، وهو سفرٌ لا كباقي الأسفار.

أو أنّها كانت مأمورةً من قبل إمام زمانها بأمرٍ خاصّ يقتضي أن لا تخرج معهم، فيما أمر غيرها بالخروج معه.

وكيف كان، فهي لا تتخلّف عن إمام زمانها الحسين (عليه السلام) لولا رضاه وأمره.

إنّ التاريخ لم يسجّل لنا -- حسب الفحص -- أيّ مؤشرٍ مهما كان سريعاً وخاطفاً ومقتضياً عن لحظة الوداع بين أمّ البنين (عليها السلام) وأولادها الكرام البررة، أو بينها وبين إمامها وسيّدتها الحسين (عليه السلام)، أو بينها وبين السيّدّة زينب (عليها السلام)، أو بينها وبين غيرهم من الركب الذي يقوده الكرب والبلاء إلي

ص: 97

1- سورة الأحزاب: 33.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 3 / 305.

كربلاء، إلا أنّ معرفتنا بأُمّ العباس (عليه السلام) الأبيّة يكشف لنا عن عمق التسليم، وشدّة الوقار والاتزان، وقوّة اليقين والضبط الحازم للعواطف التي امتازت به هذه الحرّة المضحيّة.

فالوداع والفراق بين الأُمّ وولدها ثقيلٌ عسير، تلتهب فيه العواطف، وتتكرّر فيه الجُمْلُ والعبارات، وتموت فيه الكلمات، وتتفجّر فيه الدموع تحسّباً لهواجس البعاد، هذا لو كان الفراق والوداع لسفرٌ يُنتظر بعده اللقاء القريب، فماذا لو كان الوداع لفراقٍ لا لقاء بعده إلا في الآخرة؟

وماذا لو كان الفراق يغيّب وجه الحسين الحبيب (عليه السلام)، ووجه أبي الفضل العباس (عليه السلام)، وزينب بنت الزهراء (عليها السلام)، وغيرها من الوجوه التي تشناق لها سكّان السماوات قبل سكّان الأرض؟

وكأني بأُمّ البنين (عليها السلام) تشهد هذا الموقف الذي تتألّم له صمّ الصخور، وتشارك نساء بني عبد المطلب في النياحة والبكاء، وتتنقل من دارٍ إلى دار، وهي تودّع ريحانة النبيّ (صلي الله عليه وآله) وحرمة وأبناءها البررة، وتوصي أولادها بأخواتهم وسيدهم ومولاهم الحسين (عليه السلام)، وتقول لهم: كونوا فداءً لسيدكم، وكونوا له عيناً ودرعاً، واجعلوا قلوبكم دروعكم للدفاع عنه وعن حرمة، ولا تقصّروا في الذبّ عنه، ويضوا وجهي عند أمّة فاطمة وأبيه وجدّه وأخيه وعنده (صلوات الله عليهم أجمعين) (1).

ص: 98

1- ما تحت العنوان كلّهُ اقتباسٌ من كتاب (زوجة سيّد الوصيّين أمّ البنين والدة حامل لواء الحسين (عليه السلام)) للسيّد علي السيّد جمال أشرف.

روي العلامة الدربندي في كتابه (أسرار الشهادة) قائلاً:

حدّثني بعض الثقات من تلامذتي من العرب، قال: قد ظفرتُ بهذه الرواية في مجموعةٍ كانت تُنسبُ إلي الفاضل الأديب المقري، فنقلتها عنه، وهي أن روي عبد الله بن سنان الكوفي، عن أبيه، عن جدّه أنّه قال:

خرجتُ بكتابٍ من أهل الكوفة إلي الحسين (عليه السلام) وهو يومئذٍ بالمدينة، فأتيته، فقرأه فعرف معناه، فقال: «أنظرنِي إلي ثلاثة أيّام»، فبقيتُ في المدينة.

ثمّ تبعته إلي أن صار عزمه بالتوجه إلي العراق، فقلت في نفسي: امضي وأنظر إلي ملك الحجاز كيف يركب، وكيف جلالته وشأنه؟ فأتيتُ إلي باب داره، فرأيتُ الخيل مسرجة، والرجال واقفين، والحسين (عليه السلام) جالسٌ علي كرسي، وبنو هاشم حافون به، وهو بينهم كأنه البدر ليلة تمامه وكماله، ورأيتُ نحواً من أربعين محملاً، وقد زُيّت المحامل بملابس الحرير والديباج.

قال: فعند ذلك أمر الحسين (عليه السلام) بني هاشم بأن يُركبوا محارمهنّ علي المحامل.

فبينما أنا أنظر وإذا بشابّ قد خرج من دار الحسين (عليه السلام) وهو طويل القامة وعلي خدّه علامة، ووجهه كالقمر الطالع، وهو يقول: تنحّوا يا بني هاشم! وإذا بامرأتين قد خرجتا من الدار وهما تجرّان أذيالهما علي الأرض حياءً من الناس، وقد حفّت بهما إماؤهما، فتقدّم ذلك الشابّ إلي محملٍ من المحامل، وجثي علي ركبتيه وأخذ بعضديهما وأركبهما المحمل، فسألّت بعض الناس عنهما، فقيل: أمّا إحداهما فزينب، والأخري أمّ كلثوم، بنتا أمير المؤمنين. فقلت: ومن هذا الشابّ؟ فقيل لي: هو قمر بني هاشم العباس بن أمير المؤمنين.

ثمّ رأيت بنتين صغيرتين، كأنّ الله (تعالى) لم يخلق مثلهما، فجعل واحدةً مع زينب والأخري مع أمّ كلثوم، فسألّت عنهما، فقيل لي: هما سكينه وفاطمة بنتا الحسين (عليه السلام).

ثمّ خرج غلامٌ آخر كأنّه البدر الطالع، ومعه امرأةٌ وقد حفّت بها إماؤها، فأركبها ذاك الغلام المحمل، فسألّت عنها وعن الغلام، فقيل لي: أمّا الغلام فهو عليّ الأكبر ابن الحسين (عليه السلام)، والامراة أمّه ليلي زوجة الحسين (عليه السلام).

ثم خرج غلامٌ ووجهه كفلقة القمر، ومعه امرأة، فسألت عنهما، فقيل لي: أمّا الغلام فهو القاسم بن الحسن المجتبي، والامرأة أمّه.

ثم خرج شابٌّ آخر وهو يقول: تنحوا عني يا بني هاشم، تنحوا عن حرم أبي عبد الله. فتنحى عنه بنو هاشم، وإذا قد خرجت امرأة من الدار وعليها آثار الملوك، وهي تمشي علي سكينه ووقار، وقد حفت بها إماؤها، فسألت عنهما، فقيل لي: أمّا الشاب فهو زين العابدين ابن الإمام، وأمّا المرأة فهي أمّه شاه زنان بنت الملك كسري زوجة الإمام. فأتي بها وأركبها علي المحمل.

ثم أركبوا بقيّة الحرم والأطفال علي المحامل، فلمّا تكاملوا نادي الإمام (عليه السلام): «أين أخي؟ أين كبش كتيبي؟ أين قمر بني هاشم؟»، فأجابه العباس: لبيك لبيك يا سيدي! فقال له الإمام (عليه السلام): «قدّم لي يا أخي جوادي»، فأتي العباس بالجواد إليه، وقد حفت به بنو هاشم، فأخذ العباس بركاب الفرس حتّى ركب الإمام، ثم ركب بنو هاشم، وركب العباس، وحمل الراية أمام الإمام.

قال: فصاح أهل المدينة صيحةً واحدة، وعلت أصوات بني

هاشم بالبكاء والنحيب، وقالوا: الوداع، الوداع، الفراق، الفراق! فقال العباس: هذا والله يوم الفراق، والمملتي يوم القيامة. ثم ساروا قاصدين الكوفة (1).

وقفه عجلي

إشارة

يمكن أن نقف عند هذا الخبر ووقفه عجلي تتلخص في عدة مشاكل تعترضها:

المشكلة الأولى: تفرد العلامة الدربندي

هذه الرواية يرويها العلامة الدربندي وفق إخبار أحد تلاميذه، وجادةً (عن مجموعة كانت تُسبب إلي الفاضل الأديب المقري)، فلا يبدو أنّ فيها شيء يمكن أن يظنّ به القارئ فضلاً عن الاطمئنان والجزم، وقد تفرد بروايتها الدربندي، ولم نقف علي شاهدٍ لها في كتب التاريخ الأخرى ممّن سبقه أو عاصره.

المشكلة الثانية: اختلال التوقيت

أفاد الخبر أنّ الراوي كان يحمل كتاباً من أهل الكوفة إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) ..

ص: 102

1- أسرار الشهادة للدربندي: 367، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 220، وسيلة الدارين للزنجاني: 53.

فإن كان الكتاب قد أرسله أهل الكوفة بعد هلاك معاوية فالخبر لا يكاد يستقيم؛ إذ أن معاوية هلك في الثاني عشر أو الخامس عشر من رجب -- علي اختلاف الأقوال --، وكان خروج الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة -- وفق المشهور -- في الثامن والعشرين من رجب، فستكون المدّة بين هلاك معاوية وخروج سيّد الشهداء (عليه السلام) علي أقصى التقادير ستّة عشر يوماً، وهي مدّة غير كافية لبلوغ الخبر إلي الكوفة ثمّ اجتماع أهل الكوفة واتّخاذهم القرار وإرسال الراوي ليبلغ من الكوفة إلي المدينة.

وإن كان الرسول قد أرسل قبل هلاك معاوية، فإنّ الحوادث التاريخيّة تشير بوضوح إلي ضعف هذا الاحتمال إلي حدّ الخمود، إذ أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) قد أمر المكاتبين أيّام معاوية أن يكفّوا ويلبّدوا حتّي يهلك معاوية.

المشكلة الثالثة: اتّفاق المصادر علي وصول الكتب في مكّة

تكاد تكون المصادر التاريخيّة مُجمعةً علي أنّ كتب الكوفيّين ورسلمهم وصلت إلي الإمام (عليه السلام) في مكّة، ولم تصله منهم دعوةً قبل وصوله إلي مكّة المكرمة.

المشكلة الرابعة: مضامين غريبة

إشارة

يلاحظ أنّ صياغة الخبر صياغةً قصصيّة، وقد احتوي مضامين غريبة، لا نريد مناقشتها ووضع اليد عليها بالتفصيل، ونكتفي بذكر نماذج

النموذج الأول:

خروج الإمام زين العابدين (عليه السلام) مع أمّه شاه زنان بنت كسري، والحال أنّها كانت قد ماتت نفسها في ولادته (عليه السلام)، كما نصّ علي ذلك الإمام الرضا (عليه السلام) في حديث (عيون الأخبار) (1).

النموذج الثاني:

إنّ أهل المدينة صاحوا صيحةً واحدة، وارتفعت أصوات بني هاشم بالبكاء والنحيب، والحال أنّ المدينة كانت حين خروج الإمام (عليه السلام) تغطّ في نوم عميق، ولم يكن من بني هاشم قد حضر مشهد الخروج إلاّ من خرج مع الإمام (عليه السلام)، كما أفادت المصادر التاريخية.

والخبر يحكي مشهداً مزدحماً يضحّ ويعجّ، ومؤدّيات المتون التاريخية تفيد أنّه (عليه السلام) خرج في هدوء الليل خائفاً يترقّب، وقد فاجأ السلطة وغيرها بخروجه.

النموذج الثالث:

تصوير الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) جالساً علي كرسيّ وبنو هاشم حافّين به، ونداء المنادي مخاطباً بني هاشم: غصّوا أبصاركم.. والحال أنّ خروج

ص: 104

1- أنظر: عيون أخبار الرضا (عليه السلام): 2 / 135 ح 6 -- عنه: بحار الأنوار: 46 / 8 ح 19.

الإمام (عليه السلام) كان في الليل، وبنو هاشم الحاضرون ساعتئذ كانوا من ذرية أبي طالب غالباً، وهم أكثرهم محارم للسيدة الصديقة الصغرى زينب وأم كلثوم.

النموذج الرابع:

إن الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) استمهله ثلاثة أيام، ثم لم يردّ عليه جواباً. إلا أن يقال: كان خروجه (عليه السلام) من المدينة جواباً عملياً علي الكتب، وهو غريب!

المشكلة الخامسة: نصريه بالتوجه إلى الكوفة

بدأ كلامه بالتصريح بقصد الإمام (عليه السلام) إلى العراق، ثم ختمه بالتصريح بحركة الإمام (عليه السلام) قاصداً الكوفة، وقد تبين لنا بما لا يحتاج إلى مزيد استدلال في كتاب (الظروف) أن الإمام (عليه السلام) لم يُخبر أحداً، ولم يصرّح لأحد في المدينة المنورة بقصد العراق ولا الكوفة، وإنما أعلن لأخيه محمد ابن الحنفية وبعض خواصه الذين كانوا عليّ نبيته وعزمه أنه متوجهٌ إلى مكة المكرمة.

فائدة الخبر

يمكن أن يكون في الخبر تصحيّف أو سهوٌ أو خطأ فيما يخصّ بلد اللقاء، فلو كان قد حصل اللقاء في مكة ربّما كان مجالاً للبحث حينئذ، إذا استطعنا إيجاد حلولٍ للمشاكل الآتفة الذكر.

كيف كان، إذا تَمَّت المشاكل المذكورة يكون الخبر عاجزاً عن النهوض، ولا يمكن الارتكان إليه والاعتماد عليه لإثبات مشهدٍ تاريخيٍّ أو حقيقةٍ ناهضةٍ تكشف عن الحدث.

غير أن الخبر يمكن توظيفه في رسم صورةٍ في ذهن المتلقي عن خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) وعائلته من المدينة، وكيفية خروج حرّات الله ومخدّرات العقائل معزّزاتٍ مكرّماتٍ بحضورٍ وليهنّ الإمام (عليه السلام)، وتحت راية أبي الفضل العباس (عليه السلام)، مع باقي حماتهنّ وولاتهنّ من أبطال العلويين وليوث الهاشميين وأسود غالب وشجعان مضر وعدنان..

فالخبر إن كان غير ناهضٍ لإثبات الحقيقة التاريخية، لا يمنع أن يوظّف بمقدار البكاء والإبكاء والنعي وذكر المصائب، إذ يكون الناعي والمتلقي كلاهما متفقين علي الاكتفاء بالبكاء للمصيبة من دون الاسترسال مع الخبر إلى مستوى التحقيق والاستدلال به (1)، ولعلّ هذا هو المسوّغ الذي دعا العلامة الدربندي لنقله وروايته في كتابه.

تصوير المازندراني لهيئة الركب ومكوّناته

إشارة

قال العلامة المتتبع الشيخ محمّد مهدي المازندراني الحائري:

ص: 106

1- أتينا علي تفصيل طرق الوصول إلي مصائب سيّد الشهداء (عليه السلام) في مقدّمة كتاب (أنوار الشهادة)، فمن أحبّ التفصيل فليراجع.

قد وجدتُ في بعض الكتب: إنّه لمّا أراد الحسين (عليه السلام) الشخوص من المدينة، اجتمع عنده أولاده وزوجاته وأخواته وإخوته وبنو عمومته وأولاد أخيه الحسن (عليه السلام) وبناته ومواليه والجواري والخدم وكثيرٌ من أقربائه من بني هاشم، ذكوراً وإناثاً ورجالاً ونساءً، وهم من حيث المجموع مع الطفل الرضيع عليّ الأصغر متان واثان وعشرون... وهم الذين خرجوا مع الحسين بن عليّ (عليه السلام) من المدينة إلي مكّة، ثمّ إلي العراق.

الخيّل أو النياق والتجهيزات

فلمّا تهيّأ للمسير من المدينة إلي مكّة ثمّ إلي العراق، أمر (عليه السلام) بإحضار مئتين وخمسين من الخيل للركوب، وفي خبر: مئتين وخمسين ناقة.

فلمّا أحضرت عنده أمر بحمل سبعين ناقة للخيم، وأربعين ناقة لحمل القدور والأواني وأدوات الأرزاق وما يتعلّق بها، وثلاثين ناقة لحمل الراوية للماء، واثني عشر لحمل الدراهم والدينانير والحلّي والحلّل والبدرات والزعفران والعطريّات والورس والأثواب والبرود اليمانيّة والتركاء وما يتعلّق بهذه الأشياء، وأمر (عليه السلام) بخمسين شقّة من الهودج علي ظهور المطايا

للعيال والأطفال والذراري والخدم والجواري والعييد، وبقية المطايا لحمل الأثقال والأدوات اللازمة في الطريق.

فلما أحضرت هذه الأشياء عنده، ودّع قبر جدّه وأُمّه وأخيه وجدّته فاطمة بنت أسد وسائر أقربائه ...

فرس رسول الله (صلي الله عليه وآله)

فلما تهيأ (عليه السلام) للركوب من المدينة إلى مكّة، أمر بإحضار فرس رسول الله (صلي الله عليه وآله)، يُدعى: المرتجز، فركبه، وهو الفرس الذي شهد به خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وكان صاحبه رجلاً من بني مُرة، اشتراه (صلي الله عليه وآله) بالمدينة بعشرة أواق، وأول غزوة غزا به (صلي الله عليه وآله) غزوة أُحُد، وكان من جياد خيل رسول الله (صلي الله عليه وآله)، علي ما رواه ابن قُتيبة في (المعارف)، ثم انتقل بعده إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو ركه يوم صفّين، علي ما رواه نصر بن مزاحم في (كتاب صفّين)، ثم انتقل بعده إلى ابنه الحسين (عليه السلام)، فركبه يوم الطفّ، ووعظ القوم فلم يتّعضوا، ثم قتلوه عطشاً ظمأناً، وقال السمعاني في (كتاب الفضائل): اشتراه (صلي الله عليه وآله) بأربعين ألف درهم.

سيف رسول الله (صلي الله عليه وآله)

ثم أمر (عليه السلام) بإحضار سيف رسول الله (صلي الله عليه وآله) فتقلّد به، وكان اسمه:

البتار، وقيل: الرسوب، وقيل: العضب، وقيل: الحتف، وكان مكتوباً عليه هذا البيت:

في الجبن عارٌ، وفي الإقدام مكرمةٌ

والمرءٌ بالجبن لا ينجو من القدرِ

وهو الذي أعطاه رسول الله (صلي الله عليه وآله) علياً يوم أُحد، علي ما ذكره السمعاني في كتاب (الفضائل)، وكان بعد رسول الله (صلي الله عليه وآله) مع عليّ (عليه السلام) في حروبه الثلاثة، ثم انتقل بعده إلي ابنه الحسن (عليه السلام)، ثم إلي الحسين (عليه السلام)، وكان يحارب معه يوم الطفّ مع أعداء الدين إلي أن قُتل (عليه السلام).

درع رسول الله (صلي الله عليه وآله)

ثم أمر (عليه السلام) بإحضار درع رسول الله (صلي الله عليه وآله) فلبسه، وكان اسمه: السعدية، وقيل: فضة، وقيل: ذات الفضول، وقيل: ذات الوشاح، فأعطاه رسول الله (صلي الله عليه وآله) علياً، وكان يلبسه ويجاهد بين يدي رسول الله (صلي الله عليه وآله) في غزواته، وبعد رسول الله (صلي الله عليه وآله) لبسه عليّ (عليه السلام) في حروبه الثلاثة، ثم بعده انتقل إلي ابنه الحسن (عليه السلام)، ثم إلي ابنه الحسين (عليه السلام)، وكان لابسهُ يوم الطفّ لَمَّا وعظ القوم، وقال: «أُنشدكم الله، هل تعلمون إنَّ هذا درع رسول الله أنا لابسهُ؟»، قالوا: اللهم نعم.

عمامة رسول الله (صلي الله عليه وآله)

ثم أمر بإحضار عمامة رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وكان اسمها: السحاب، وكانت من الخزّ الدكناء الذي تعمّم بها (صلي الله عليه وآله) يوم بدر وحُنين، ثم بعده تعمّم بها عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يوم صفّين، علي ما رواه نصر بن مزاحم في (كتاب صفّين)، ثم انتقلت إلي ابنه الحسين (عليه السلام)، وتعمّم بها وكانت علي رأسه يوم الطفّ لَمّا وعظ القوم.

حربة رسول الله (صلي الله عليه وآله)

ثم أمر (عليه السلام) بإحضار حربة رسول الله (صلي الله عليه وآله)، وكانت حربةً صغيرةً تشبه العكّاز، يقال لها: العنزة -- بفتح العين المهملة والنون والزاي --، كانت تُحمَل بين يديه يوم العيد وتُركّز بين يديه، ويصلّي إليها في أسفاره، وفي كتاب (أسد الغابة) لعزّ الدين الجزري: وكانت تُحمَل معه في العيد، تُجَعَل بين يديه يصلّي إليها، ثم بعده انتقلت إلي عليّ (عليه السلام)، وكانت معه يوم صفّين تحارب معه، كما ذكره نصر بن مزاحم في كتابه، ثم بعده انتقلت إلي ابنه الحسين (عليه السلام)، وكانت معه يوم الطفّ يحارب بها مع القوم، ثم يرجع إلي مركزه ويتكى عليها، وهو يقول: «لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم»، ولم يزل يقاتل حتّى

قُتِلَ (عليه السلام) (1).

إحصائية المازندراني لأفراد الركب

إشارة

قال العلامة الخطيب محمّد مهدي المازندراني الحائريّ في كتابه (معالي السبطين):

[أخواته]

إشارة

إعلم أنّه خرج مع الحسين (عليه السلام) من المدينة إليّ كربلاء من أخواته اثنتا عشر منهن:

1. زينب الكبرى (عليها السلام)

زينب الكبرى بنت عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، بنت فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله)، الملقّبة بالعقيلة.

2. زينب الصغرى

ومنهنّ: زينب الصغرى بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة (عليه السلام)، المكنّاة بأُمّ كلثوم (عليها السلام).

3. خديجة

ومنهنّ: خديجة، أمّها أمّ ولد، فكانت عند عبد الرحمان بن عقيل بن

ص: 111

أبي طالب، فولدت له سعداً وعقياً، كما ذكره الطبرسي في (إعلام الوري)، وقال الشيخ حسن سليمان بن محمد بن الحسن الشويكي في (مقتله) نقلاً من الجزء العاشر من كتاب (المنن) لعبد الوهاب الشعراني، قال: وعبد الرحمان بن عقيل بن أبي طالب، قُتِل مع الحسين بن عليّ بالطفّ، وأبناؤه: سعد وعقيل، كانا معه، وماتا من شدّة العطش، ومن الدهشة والذعر بعد شهادة الحسين (عليه السلام) لما هجم القوم علي المنخيم للسلب، وأمهما خديجة بنت عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، تُوفيت بالكوفة.

4. رقية الكبرى

ومنهنّ: رقية الكبرى، وكانت عند مسلم بن عقيل، فولدت منه عبد الله بن مسلم ومحمد بن مسلم اللذين قُتلا يوم الطفّ مع الحسين (عليه السلام)، وعاتكة، ولها من العمر سبع سنين، التي سُحقت يوم الطفّ بعد شهادة الحسين لما هجم القوم علي المنخيم للسلب، علي ما رواه الشيخ حسن بن سليمان الشويكي في (مقتله).

وأُمها -- أي: رقية -- : الصهباء الثعلبية، تُكنّى أمّ حبيب، من سبي عين التمر التي اشتراها أمير المؤمنين (عليه السلام) من خالد بن الوليد بأربعين ديناراً!!! فولدت منه رقية الكبرى، وعمر الأطف توأمين.

5. أمّ هانئ

ومنهنّ: أمّ هانئ، أمّها أمّ ولد، وكانت عند عبد الله الأكبر بن عقيل بن

أبي طالب (عليه السلام)، فولدت له محمّد الأوسط [بن عبد الله] بن عقيل.

6. زينب الصغرى

ومنهنّ: زينب الصغرى، أمّها أمّ ولد، وكانت عند محمّد بن عقيل بن أبي طالب، فولدت له عبد الله، وفيه العقب.

7. رملة الكبرى

ومنهنّ: رملة الكبرى، أمّها أمّ مسعود بنت عروة الثقفي، وكانت عند عبد الرحمان الأوسط بن عقيل بن أبي طالب، فولدت له أمّ عقيل.

8. رقية الصغرى

ومنهنّ: رقية الصغرى، أمّها أمّ ولد، وكانت عند صلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولا عقب له.

9. فاطمة

ومنهنّ: فاطمة، أمّها أمّ ولد، وكانت عند أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب الأحول، فولدت له حميدة ومحمّد بن أبي سعيد، له من العمر سبع سنين، فإنه لما صرّع الحسين (عليه السلام) وتصارخت العيال والأطفال، خرج مذعوراً بباب الخيمة ممسكاً بعمودها، وأمّه واقفة تراه تنظر إليه، وجعل الطفل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان، قتله لقيط بن أياس الجهنيّ، أو هانئ بن ثبيت الحضرميّ، رماه بسهم علي خاصرته.

10. خديجة الصغرى

ومنهنّ: خديجة الصغرى، أمّها أمّ ولد، وكانت عند عبد الله الأوسط ابن عقيل بن أبي طالب، ولا عقب له.

11 و12. أمّ سلمة وأختها ميمونة

ومنهنّ: أمّ سلمة، وأختها ميمونة، أمّها أمّ ولد.

13. جمانة

وزاد بعض النسابة وعلماء التراجم: جمانة، المكتناة بأمّ جعفر، أمّها أمّ ولد.

فهؤلاء ثلاثة عشر من أخواته، خرجن معه من المدينة حتّى أتين كربلاء.

[زوجات أمير المؤمنين (عليه السلام)]

إشارة

وخرج مع الحسين (عليه السلام) من زوجات عليّ (عليه السلام) ثمان:

1. الصهباء الثعلبية

الصهباء الثعلبية، خرجت مع بنتها رقية الكبرى، زوجة ابن عمّها مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ومعها بنتها عاتكة، وابناها: عبد الله ومحمّد أولاد مسلم، اللذان قُتلا يوم الطفّ.

ص: 114

2. أم مسعود بنت عروة

ومنهنّ: أم مسعود بنت عروة الثقفي، جاءت مع بنتها رملة.

3. ليلى بنت مسعود

ومنهنّ: ليلى بنت مسعود الدارميّة، خرجت مع ولديها: أبي بكر اسمه عبد الله، ومحمّد الأصغر.

4. أم زينب الصغري

ومنهنّ: أم زينب الصغري، جاءت مع بنتها زينب.

5. أم خديجة

ومنهنّ: أم خديجة، جاءت مع بنتها خديجة.

6. أم رقية الصغري

ومنهنّ: أم رقية الصغري، جاءت مع بنتها رقية.

7. أم فاطمة

ومنهنّ: أم فاطمة، خرجت مع بنتها فاطمة.

8. أمامة بنت أبي العاص

ومنهنّ: أمامة بنت أبي العاص العبشميّة. فهؤلاء ثمان من زوجات عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، خرجن من المدينة مع بناتهن حتّى أتبن كربلاء.

1. أم كلثوم الصغري بنت زينب الكبرى

وخرجت من المدينة: أم كلثوم الصغري بنت زينب الكبرى، زوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب، حتى أتت كربلاء.

2. جمانة عمّة الإمام (عليه السلام)

وخرجت من المدينة عمته معه، اسمها: جمانة -- بضمّ أوله وتخفيف الميم وبعد الألف نون -- بنت أبي طالب، وهي أمّ عبّيد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، تزوّجها أبو سفيان بن الحارث، فولدت له عبد الله، وهي أخت أمّ هانئ بنت أبي طالب، وعبد الله كان مع خاله عليّ بن أبي طالب بصفّين، وقاتل حتى قُتل بين يديه، كما ذكره نصر بن مزاحم المنقري الكوفي في كتابه، وأمّه جاءت مع الحسين (عليه السلام) بكربلاء.

[الجواري]

إشارة

وخرجن من الجواري مع الحسين بن عليّ من المدينة تسع:

أربعٌ منهنّ لأخته زينب بنت عليّ وفاطمة، وواحدة له، وأربعٌ منهنّ لزوجاته.

[جواري السيّدة زينب]

إشارة

فأمّا اللواتي كنّ مع أخته زينب:

1. فضة

منهنّ: فضة النويّة، علي ما رواه العسقلانيّ في (الإصابة) في باب النساء، قال: فضة النويّة، جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله)، أخرج أبو موسى في الذيل والثعلبيّ في تفسير سورة (هَلْ أَتَى) من طريق عبد الوهّاب الخوارزميّ، عن ابن عبّاس في قوله: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) -- الآية، قال: مرض الحسن والحسين (عليهما السلام)، فعادهما النبيّ (صلي الله عليه وآله) جدّهما، وعادهما عامّة العرب، فقالوا لأبيهما: لو نذرت، فقال عليّ: إن عوفيا صام ثلاثة أيّام شكراً، وقالت فاطمة كذلك، وقالت جارية لها يُقال لها: فضة النويّة كذلك.. فذكر حديثاً طويلاً...

ولمّا ماتت فاطمة، انضمت إلى بنتها زينب، وكانت تخدمها في بيتها، وتارةً في بيت الحسن (عليه السلام)، وتارةً في بيت الحسين (عليه السلام).

فلمّا خرجت عقيلة قريش مع أخيها الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى العراق، خرجت فضة معها حتّى أتت كربلاء.

2. فقيرة

ومنهنّ: فقيرة، ويقال لها: مليكة بنت علقمة بن عبد الله بن أبي قيس، علي ما رواه أبو عليّ الغسانيّ في ذيله علي (الاستيعاب) أنّه قال: أهديت لجعفر بن أبي طالب في بلاد الحبش حين هاجر إليها مع المؤمنين جارية، قيمتها أربعة آلاف درهم، اسمها فقيرة، فلمّا قدم المدينة أهداها

لعلِّي تخدمه، وكانت الجارية في بيت عليّ تخدم فاطمة وأولادها، إلي أن تُوفيت فاطمة، ثم بعدها انضمت إلي بنتها زينب الكبرى، وكانت تخدمها في بيتها، إلي أن خرجت زينب مع أخيها الحسين (عليه السلام) من المدينة إلي العراق، فخرجت الجارية معها حتّي أتت كربلاء.

3. روضة

ومنهنّ: روضة، كانت مولاة رسول الله (صلي الله عليه وآله)، علي ما ذكره الطبري في تفسير سورة (النور) عند قوله (تعالى): (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْأَلُوا بِأَسْمَائِهَا وَتُسَلِّمُوا عَلَيْهَا)، فأخرج من طريق عمرو بن سعيد الثقفي أنّ رجلاً استأذن علي النبي (صلي الله عليه وآله) فقال: أألج؟ فقال النبي (صلي الله عليه وآله) لآمةٍ يُقال لها: روضة: «قومي إلي هذا فعلميه، فإنّه لا يُحسن أن يستأذن، فقولي له: يقول: السلام عليكم، أدخل؟». فسمعها الرجل، فقالها، فقال: «ادخل!».

وكانت الأمة تخدم رسول الله (صلي الله عليه وآله) إلي أن تُوفي (صلي الله عليه وآله)، وبعده انضمت إلي بنته فاطمة، وكانت تخدمها إلي أن تُوفيت فاطمة، ثم بعدها انضمت إلي علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكانت في بيت عليّ تخدم أولاده إلي أن زوج عليّ (عليه السلام) ابنته زينب من عبد الله بن جعفر، وكانت في بيت عبد الله تخدم زينب وأولادها إلي أن خرج الحسين (عليه السلام) من المدينة إلي العراق، فخرجت أخته معه، وخرجت الجارية معها، حتّي أتت كربلاء.

4. أم رافع

ومنهنّ: أم رافع، زوجة أبي رافع القبطي، واسمه هرمز مولي رسول الله (صلي الله عليه وآله)، علي ما ذكره الذهبي في كتاب (تجريد الأسماء والكني)، وأم رافع اسمها سلمة، مشهورةٌ باسمها وكنيتها، ويقال: إنّها مولاة صفيّة بنت عبد المطلب، علي ما رواه العسقلاني في (الإصابة)، ويقال لها أيضاً: مولاة النبي (صلي الله عليه وآله) وخادمة النبي (صلي الله عليه وآله)، تخدم في بيتها إلي أن تُوفّي رسول الله (صلي الله عليه وآله)، ثمّ انضمت بعده إلي بنته فاطمة، وكانت في بيتها إلي أن تُوفّيّت، وكانت في بيت علي (عليه السلام) إلي أن قُتِل، ثمّ انضمت إلي ابنه الحسن (عليه السلام)، ثمّ بعده انضمت إلي أخته زينب، وكانت في بيتها إلي أن خرجت مع أخيها الحسين (عليه السلام) من المدينة، فخرجت الجارية معها حتّى أتت كربلاء.

[جوارى الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام)]

إشارة

وأما التي كانت له:

5. ميمونة

فهي ميمونة أم عبد الله بن يقطر، وكانت حاضنةً للحسين (عليه السلام) في بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) إلي أن تُوفّيّت فاطمة، ثمّ بعدها انضمت إلي الحسين (عليه السلام)، وكانت تخدم في بيته إلي أن خرج الحسين (عليه السلام) من المدينة إلي العراق، فخرجت هي مع ابنها عبد الله بن يقطر، ثمّ بعثه الحسين (عليه السلام) إلي مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكّة في جواب كتاب مسلم إلي

ص: 119

الحسين (عليه السلام) ، يسأله القدوم ويخبره باجتماع الناس، فقبض عليه الحَصَّين ابن نمير التميمي وأرسله إلي عبيد الله بن زياد، فسأله عن حاله فلم يُخبره، فأمر بقتله، وكانت أمّه ميمونة مع الحسين (عليه السلام) حتّى أتت كربلاء.

[جوارى أزواج الإمام (عليه السلام)]

إشارة

وأما الأربع اللواتي لأزواجه من الجوارى، منهنّ:

6. فاكهة

فاكهة كانت جاريةً للحسين (عليه السلام) ، وهي تخدم في بيت الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين (عليه السلام) ، تزوّجها عبد الله بن اريقط الدثلي الليثي، فولدت منه قارباً، فهو مولي الحسين (عليه السلام) الذي ذكره الحجّة (عليه السلام) في الناحية: «السلام علي قارب مولي الحسين (عليه السلام)»، خرجت هي مع ولدها حتّى أتت كربلاء.

7. حسنية

ومنهنّ: حسنية، علي ما رواه صاحب (ضياء العالمين) عن كتاب (ربيع الأبرار) للزمخشري، قال: حسنية جاريةٌ للحسين، اشتراها من نوفل ابنالحارث بن عبد المطلب، ثمّ تزوّجها سهم، فولدت منه منجحاً، فهو مولي الحسين (عليه السلام) ، له ذكرٌ أيضاً في الناحية: «السلام علي منجح مولي الحسين (عليه السلام)».

وهي كانت تخدم في بيت عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ، إلي أن

خرج الحسين من المدينة إلى العراق فخرجت الجارية معه، وابنها منجح معها، حتّى أتت كربلاء.

8. كبشة

ومنهنّ: كبشة، كانت جاريةً للحسين (عليه السلام)، اشتراها بألف درهم، وكانت تخدم في بيت أمّ اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيميّة زوجة الحسين (عليه السلام)، ثمّ تزوّجها أبو رزين، فولدت منه سليمان، فهو مولي الحسين (عليه السلام)، له ذكرٌ أيضاً في الناحية: «السلام علي سليمان مولي الحسين»، وسليمان هذا الذي أرسله الحسين بكتبٍ إلي رؤساء الأخماس والأشراف بالبصرة حين كان بمكّة، كما ذكره أرباب المقاتل والسير، فجاء بالكتاب بنسخةٍ واحدةٍ إلي جميع أشرافها، فكلّ من قرأ ذلك الكتاب كتّمه، إلا منذر بن الجارود، فإنّه خشي -- بزعمه -- دسيساً من قبل عبيد الله بن زياد (لعنه الله)، فأخذ الكتاب والرسول فقدمهما إلي عبيد الله بن زياد، فلمّا قرأ الكتاب قدّم الرسول وأمر بضرب عنقه، وأمّه كبشة جاءت مع الحسين (عليه السلام) حتّى أتت كربلاء.

9. مليكة

ومنهنّ: مليكة، زوجة عقبة بن سمعان، كانت تخدم في بيت الحسن ابن عليّ (عليهما السلام)، ثمّ بعده انضمت إلي الحسين (عليه السلام) وكانت في بيوته، وتارةً في بيت عبد الله بن جعفر هي مع زوجها عقبة، لأنّه كان عبداً مملوكاً للرباب

بنت امرئ القيس زوجة الحسين.

ولمّا خرج الحسين من المدينة إلى العراق، خرجت هي مع زوجها عقبة مع الحسين حتّى أتت كربلاء، فلمّا قُتل الحسين وأصحابه وأُسر الباقون، أخذ عمر بن سعد (لعنه الله) عقبة بن سمعان، فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا عبدٌ مملوكٌ. فخلّى سبيله، ونجى ...

فهؤلاء تسعٌ من الجوّاري اللواتي خرجن مع الحسين (عليه السلام) حتّى أتت كربلاء.

الموالي

إشارة

وخرج من الموالى والعبيد مع الحسين بن عليّ (عليهما السلام) من المدينة إلى مكّة ثمّ إلى العراق ثمانية عشر، منهم قُتلوا مع الحسين (عليه السلام)، ونجى منهم اثنان، فأما الذين قُتلوا، منهم:

1. سليمان بن أبي رزين

سليمان بن أبي رزين مولى الحسين (عليه السلام) قُتل بالبصرة، وكان رسولاً لحسين (عليه السلام) إلى رؤساء الأخماس والأشراف، قتله عبّيد الله بن زياد كما مرّ.

2. قارب بن عبد الله الدؤلّي

ومنهم: قارب بن عبد الله الدؤلّي اللّيثي مولى الحسين بن عليّ (عليه السلام).

ص: 122

3. منجح بن سهم

ومنهم: منجح بن سهم مولي الحسين بن عليّ.

4. سعد بن الحارث الخزاعي

ومنهم: سعد بن الحارث الخزاعي مولي عليّ بن أبي طالب، وكان من عمّاله بأخذ الزكاة.

5. نصر بن أبي نيزر

ومنهم: نصر بن أبي نيزر مولي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي كان من أولاد ملوك العجم، رغب في الإسلام صغيراً.

6. الحارث بن نبهان

ومنهم: الحارث بن نبهان مولي حمزة بن عبد المطلب.

7. جون بن حويّ

ومنهم: جون بن حويّ النوبيّ مولي أبي ذرّ الغفاريّ، كان جون عبداً أسود للفضل بن العباس بن عبد المطلب، اشتراه أمير المؤمنين بمئة وخمسين ديناراً، ووهبه لأبي ذرّ الغفاريّ ليخدمه، وكان العبد عند أبي ذرّ إلى أن أمر عثمان بن عفّان بنفي أبي ذرّ من المدينة إلى الربذة، ولمّا خرج أبو ذرّ من المدينة خرج العبد معه، وكان هناك إلى أن تُوفيّ أبو ذرّ (رضي الله عنه) في سنة اثنتين وثلاثين، وقيل -- والقائل ابن الأثير في (الكامل) --: تُوفيّ في سنة إحدى وثلاثين، ثمّ رجع العبد إلى المدينة وانضمّ إلي عليّ بن أبي طالب،

ثمّ بعده انضمّ إلي ابنه الحسن، ثمّ إلي الحسين، وكان في بيت عليّ ابن الحسين (عليهما السلام) زين العابدين إلي أن خرج الحسين من المدينة إلي العراق، فخرج العبد معه حتّي أتى كربلاء، وقُتِل معه كما ذكرنا، وعمره يوم قُتِل سبعٌ وتسعون سنة.

8. أسلم بن عمرو

ومنهم: أسلم بن عمرو، قال أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد القرشيّ الكنجيّ الشافعيّ في كتاب (الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب): ذكر غير واحدٍ من أهل السير والتواريخ، وذكره الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء)، قال: كان أسلم من موالي الحسين بن عليّ بن أبي طالب، والمعروف: أنّ الحسين اشتراه بعد وفاة أخيه الحسن (عليه السلام)، ووهبه لابنه عليّ ابن الحسين، وكان أبوه عمرو تركيّاً، وكان ولده أسلم كاتباً عند الحسين (عليه السلام) في بعض حوائجه، فلمّا خرج الحسين (عليه السلام) من المدينة إلي مكة كان أسلم مُلازماً له، حتّي أتى معه كربلاء وقُتِل بين يديه. فهؤلاء قُتلوا كلّهم مع الحسين يوم الطفّ، إلا سليمان بن أبي رزين قُتل بالبصرة..

وأما اللذان لم يُقتلا مع الحسين فهما:

9. عقبة بن سمعان

عقبة بن سمعان مولي الرباب بنت امرؤ القيس، علي ما رواه الطبري في

10. علي بن عثمان الحضرمي

وعلي بن عثمان بن الخطاب الحضرمي المغربي، من موالى أمير المؤمنين، علي ما رواه الصدوق في (الإكمال).

قال: قال علي بن عثمان: كنتُ مع علي بن أبي طالب أخدمه، فحضرتُ معه الجمل وصفين، فكنْتُ في صفين واقفاً علي يمينه إذ سقط سوطه من يده، فأكبت أخذه وأدفعه إليه، وكان لجام دابته حديداً مدملجاً، فرفع الفرس رأسه فشجني هذه الشجة التي في صدغي، فدعاني أمير المؤمنين فتفل فيها، وأخذ حفنةً من ترابٍ وتركه عليها، فوالله ما وجدتُ لها ألماً ولا وجعاً، ثم قمْتُ معه (عليه السلام) حتَّى قُتل، ثمَّ صحبت الحسن ابن علي حتَّى ضُرب بساباط المدائن، ثمَّ بقيتُ معه بالمدينة أخدمه، وأخدم الحسين (عليه السلام) حتَّى مات الحسن مسموماً، سمته جعدة بنت الأشعث ابن قيس الكندي (لعنها الله) دساً من معاوية بن أبي سفيان، ثمَّ خرجتُ مع الحسين بن علي من المدينة إلي العراق حتَّى حضرت معه كربلاء، وحارب حتَّى قُتل، ثمَّ خرجتُ بعد قتله هارباً من بني أمية بديني، وأنا مقيمٌ أنتظر خروج المهدي وعيسي ابن مريم (عليهما السلام).

فهؤلاء العشرة من الموالى والعبيد الذين خرجوا من المدينة مع الحسين ابن علي حتَّى جاؤوا معه كربلاء.

وخرج مع الحسين (عليه السلام) تسعةً من إخوته حين خرج من المدينة إلى العراق:

1 _ 4. العباس (عليه السلام) وإخوته

العباس بن عليّ بن أبي طالب.

وأخوه عثمان بن عليّ بن أبي طالب.

وأخوه جعفر بن عليّ بن أبي طالب.

وأخوه عبد الله بن عليّ بن أبي طالب.

أمّهم أمّ البنين فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر -- المعروف بالوحيد -- بن كلاب بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

5 و6. محمّد الأصغر وأبو بكر

ومحمّد الأصغر بن عليّ بن أبي طالب. وأخوه أبو بكر بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

أمّهما ليلى بنت مسعود الدارميّة، خرجت مع ولديها.

7. عمر بن عليّ

وعمر بن عليّ الملقّب بالأطرف، أمّه الصهباء الثعلبيّة، المكناة أمّ حبيب، جاءت مع ولدها.

8. عون بن عليّ

وعون بن عليّ بن أبي طالب، أمّه أسماء بنت عميس الخثعميّة، تخلّفت بالمدينة عند مجيء الحسين إلى العراق.

9. محمّد الأوسط

ومحمّد الأوسط بن عليّ بن أبي طالب، أمّه أمّامة بنت أبي العاص العبشميّة، خرجت مع ولدها.

فهؤلاء تسعة من إخوته الذين قُتلوا معه يوم الطفّ بأجمعهم، ومعهم ثلاث من الأمّهات.

أولاد جعفر بن أبي طالب

إشارة

وخرج مع الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى العراق من أولاد عمّه جعفر بن أبي طالب خمسة:

1. عون الأكبر بن عبد الله بن جعفر

عون الأكبر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أمّه زينب الكبرى بنت عليّ بن أبي طالب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله) ، كانت معه.

2 و3. محمّد وعبيد الله ابنا عبد الله بن جعفر

ومحمّد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) ، اختلفت الأقوال فيه عند أهل النسب، قيل: إنّ أمّه زينب العقيلة، وقيل: هو وأخوه عبيد الله

ص: 127

ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أمهما الخوصاء بنت حفصة بن بكر ابن وائل، خرجت مع ولديها إلي العراق، والله العالم.

4. عون بن جعفر

وعون بن جعفر بن أبي طالب، أمه أسماء بنت عميس التي خلفها الحسين بالمدينة عند بنته فاطمة الصغرى حين مجيئه إلي العراق.

5. القاسم بن محمد بن جعفر

والقاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب، أمه أم ولد، خرجت مع ولدها حتى أتت كربلاء.

فهؤلاء خمسة من أولاد جعفر بن أبي طالب الذين قُتلوا بأجمعهم يوم الطفّ مع الحسين بن عليّ، ومعهم ثلاث من الأمّهات.

أولاد عمّه عقيل

إشارة

وخرج من المدينة مع الحسين من أولاد عمّه عقيل بن أبي طالب اثنا عشر:

1. جعفر بن عقيل

جعفر بن عقيل بن أبي طالب، وأمّه أم الثغر، ويقال: أم الخوصاء العامريّة، خرجت مع ولدها.

2. عبد الرحمان بن عقيل

وعبد الرحمان بن عقيل بن أبي طالب، وأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ، خَرَجَتْ مَعِ وَلَدِهَا.

وعبد الله بن مسلم بن عقيل وأخوه محمد بن مسلم بن عقيل أُمُّهُمَا رَقِيَّةُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، خَرَجَتْ مَعِ وَلَدِيهَا.

3. محمد بن أبي سعيد

ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل الأحول، أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ، كَانَتْ مَعَهُ.

4. عبد الله الأصغر

وعبد الله الأصغر بن عقيل بن أبي طالب، أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ.

5. موسى بن عقيل

وموسى بن عقيل بن أبي طالب، وأُمُّهُ أُمُّ الْبَنِينِ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابِ الْعَامِرِيَّةِ، جَاءَتْ مَعِ وَلَدِهَا.

6. علي بن عقيل

وعلي بن عقيل بن أبي طالب، أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ.

7. أحمد بن عقيل

وأحمد بن عقيل بن أبي طالب، أُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ، جَاءَتْ مَعِ وَلَدِهَا.

8. مسلم بن عقيل

ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، أمّه أمّ ولد!

9_12. صبيّان من آل عقيل

9_12. صبيّان من آل عقيل (1)

وصبيّان آخران: محمّد الأصغر بن مسلم بن عقيل، أو: محمّد بن عقيل، وأخوه إبراهيم بن مسلم بن عقيل، أو: إبراهيم بن محمّد بن عقيل، باختلاف الروايات فيهما.

فهؤلاء اثنا عشر من أولاد عقيل بن أبي طالب، تسعة منهم قُتلوا يوم الطفّ مع الحسين (عليه السلام)، ومعهم ستّة من الأمّهات، ومسلم بن عقيل (عليه السلام) قُتل بالكوفة.

وصبيّان آخران اللذان كانا معه أسراً يوم الطفّ بعد شهادة الحسين (عليه السلام)، وقُتلا بظهر الكوفة.

زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) وأولاده

إشارة

وخرج من المدينة مع الحسين (عليه السلام) من زوجات أخيه الحسن خمس، ومن أولاده ذكوراً وإناثاً ستّة عشر، فبين من قُتل منهم يوم الطفّ مع الحسين (عليه السلام)، وبين من سُحق منهم ومات لَمّا هجم القوم عليّ المخيم

ص: 130

1- ولمسلم بن عقيل (عليه السلام) ولدان استشهدا في كربلاء: عبد الله ومحمّد، ذكرهما المؤرّخون كالطبري وأبي الفرج وغيرهما.

للسلب، وبين مَنْ أُسِرَ منهم مع الأسري إلي الشام..

1. الحسن المثنى

الحسن بن الحسن المثنى، وأمه خولة بنت منصور الفزارية، التي تخلّفت بالمدينة عند مجيء الحسين إلي العراق.

2 _ 4. القاسم وعمرو وعبد الله

وعمر بن الحسن.

وأخواه: القاسم.

وعبد الله، ابنا الحسن.

أمهم أم ولد، وقيل: اسمها رملة ... جاءت معهم حتّى أتت كربلاء.

5 _ 7. أحمد وأختاه أم الحسن وأم الحسين

وأحمد بن الحسن، له من العمر ستّة عشر سنة، علي ما رواه المجلسي في (البحار).

وأختاه: أم الحسن، وأمّ الحسين، سجّقتا يوم الطفّ بعد شهادة الحسين لما هجم القوم علي المخيم للسلب. أمهما أم بشر بنت مسعود الأنصاري، وقيل: الخزرجي، جاءت معهم حتّى أتت كربلاء.

8 و9. محمّد وجعفر

وذكر الذهبي في كتاب (التجريد):

محمّد بن الحسن بن عليّ.

ص: 131

وأخوه جعفر بن الحسن بن عليّ.

أمّهما أمّ كلثوم بنت العباس بن عبد المطلب، ثمّ فارقتها الحسن، وتُوفيت بالكوفة.

10. أبو بكر

وأبو بكر بن الحسن.

أمّه أمّ ولد لا يُعرف اسمها، ذكرها المدائني، وجاءت مع ولدها حتّى أتت كربلاء.

11 _ 13. الحسين وطلحة وفاطمة

والحسين بن الحسن، الملقّب بالأثرم.

وأخوه طلحة بن الحسن.

وأختهما فاطمة بنت الحسن، وهي أمّ أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر.

أمّهم أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمي، جاءت معهم.

14 _ 16. زيد وعبد الرحمان وأمّ الحسين

وزيد بن الحسن.

وأخوه عبد الرحمان بن الحسن.

وأختهما أمّ الحسين.

أمّهم أمّ ولد، جاءت معهم.

فهؤلاء ستة عشر.

ص: 132

وأولاد الحسن بن عليّ (عليهما السلام) اثنا عشر، منهم ذكوراً وأربع إناث، ومعهم من الأمّهات خمس..

فهؤلاء كلّهم من أولاد أبي طالب (عليهم السلام)، ومن الموالى والعبيد عشرة، ثمانية منهم قُتلوا، ونجا منهم اثنان كما ذكرنا سابقاً، ومن الجوّاري تسع، فكلّ هؤلاء الذين ذكرناهم من النساء والرجال والأطفال والذكور والإناث والعبيد والموالى والجوّاري من حيث المجموع مع الطفل الرضيع عليّ الأصغر مئةً واثنان وعشرون (1)، الذين خرجوا مع الحسين بن عليّ من المدينة إلى مكّة ثم إلى العراق.

أقول: فهؤلاء الذين ذكرناهم غير أولئك الذين صحبوا الحسين (عليه السلام)

ص: 133

1- يلاحظ أنّه (رحمة الله) ذكر العدد في أوّل كتابه في المجلس الثالث من الفصل الرابع في وداع الإمام وخروجه من المدينة: 1 / 223: (250)، وجمعهم في آخر الكتاب في المجلس الثاني من الفصل الخامس عشر في ذكر من خرج مع الحسين إلى كربلاء: 2 / 223: (122)، ولو أحصينا ما ذكره فهو أقلّ من هذا العدد أيضاً. وممّا شكّ فيه أنّه لم يُحص بدقّة، إذ أنّ الكثير من الأطفال والنساء لم ترد أسماءهم هنا، والحال أنّ من خرج من آل أبي طالب من الرجال خرج بأهله وعياله وأطفاله، بل حتّى الشباب والفتيان، ومن جرد كتب المقاتل وتتبع المستشهدين في كربلاء يجد من لم يذكر عند الخروج.

بمكّة من الرجال والنساء حين إقامته هناك، والله العالم (1).

لم ندقق فيما أحصاه العلامة المازندراني؛ اعتماداً عليّ تتبّعه من جهة، ولأنّنا أردنا أن تتكوّن صورةٌ ولو إجماليةً عن عدد الركب وهيئته حين خروجه من المدينة، ونترك التحقيق والتدقيق للإضافة أو النقصان عمّا ذكره المازندرانيّ لذوي الاختصاص، ونرجو من الله التوفيق عند متابعة المقتل ومصائب يوم عاشوراء لجمع هذه الأسماء المقدّسة التي خرجت مع الإمام (عليه السلام) من المدينة المنورة، فهم قد يذكرون معلومةً عند شهادة الشهيد الطالبيّ مثلاً من قبيل قولهم: (وأُمّه واقفةٌ تنظر إليه)، وما شابهها ممّا يُستفاد منه حضور بعض الأشخاص، وإن لم ينصّ عليهم المؤرّخ عند استعراضه لحوادث الخروج من المدينة، ولا- نشكّ أنّ أسماء مجموعةٍ كبيرةٍ من البنات والأطفال يمكن حصرها واكتشافها في المقاتل، من قبيل بنات سيّد الشهداء (عليه السلام) (رقيةً وفاطمة)، وأحفاد أبي طالب من ذرية عقيل وجعفر وأمير المؤمنين، وأولاد وبنات وأطفال بعض الأنصار الذين قدموا كربلاء مع عوائلهم.

ص: 134

1- معالي السبطين للمازندراني: 2 / 226-237. تصرّفنا بإضافة العناوين وأرقامها.

خروج ليلى زوجة الإمام (عليه السلام)

سمعنا تعبير المؤرخين حينما أخبروا عن عيال الإمام (عليه السلام) وأهل بيته، فإنها جاءت بلفظ العموم والشمول، وليلى أم المولي الأمير عليّ الأكبر (عليه السلام) واحدة من زوجاته، ولا شك أنّ العموم يشملها، ولو كانت قد تخلّفت هي أو أيّ واحدة من أزواج الإمام (عليه السلام) لأيّ سببٍ عن ركب الإمام (عليه السلام) لذكرها المؤرخ أو أشار إليها ولو بلفظٍ موجز، ولو لم يصرّح باسمها.

ولم نسمع من يشكّك بوجود إحدى زوجات الإمام (عليه السلام) في كربلاء وحضورها فاجعة عاشوراء، إلا في العصر الراهن، وقد صدرت من غير المتخصّصين في تاريخ سيّد الشهداء (عليه السلام).

ومن الغريب أن يستسلم أحدٌ لهذا التشكيك الباهت البارد الذي لا يدعمه أيّ شاهدٍ أو دليلٍ تاريخيٍّ أو متنٍ مقدّس، فهي داخلةٌ في عمومات تعبير المؤرخ، ولو كانت قد تخلّفت لوردت الإشارة إليها كما وردت إلي فاطمة الصغرى، فعليّ من أنكر وجودها أو شكّك في ذلك أن يُورد ما يستدلّ به لقوله، لأنّ الأصل وجودها إلا ما خرج بالدليل، ولا دليل!

أدمي أخت الإمام الحسين (عليه السلام)

كان للإمام الحسين (عليه السلام) -- كما ورد في بعض الكتب الفارسيّة -- أختٌ يُقال لها: أدمي بنت الساعديّة، وكانت عمياء بكماء لا تسمع إلا قليلاً،

فجعلوا يسلبونها، فنادت: وا أباه، وا أخاه، وا حسينا، يا ربيع الأرامل والأيتام، يا أباه يا عليّ، يا خليفة الماضين، يا ثمال الباقيين! فلم يغيثها أحد، بل عمدوا إلي أذاها. فقالت: هل فيكم من في جسده شعرة من الإسلام؟ فلم يسمع لها أحد. فقالت: يا قوم، هل فيكم رجل قرشي؟ فجاءها زجر بن قيس وقال لها: أنا من قريش، فما حاجتك؟ قالت: لي إليك حاجة وأريد قضاءها. قال: قولي ما تريدين يا عمياء! قالت: أريد من الله أن توصلني إلي جسد أخي الحسين (عليه السلام)، لأتي عمياء لا أهتدي إلي الطريق. فقال لها زجر: وما تريدين من جسد أخيك الحسين؟ قالت أدمي: أريد أن أذهب إليه، فإنه أخي، وكان يحبني كثيراً، ويوصي بي، وكان يشمّني كل يوم، ويقبل ما بين عيني ثلاث مرّات، إنّي أريد أن أتزوّد منه وأقبل منحره وأودّعه قبل الرحيل وقبل الموت، وهو جثة بلا رأس ولا حركة ولا أنفاس.

فأخذها إلي المصرع، ووضع يدها علي جسد أخيها، فجلست عنده ومدّت يدها علي منحره الشريف، وصاحت: جعلتُ فداك، ما لي أراك جثة بلا رأس؟ وا أخاه! أما تنظر إليّ وإلي أخواتي وعمّاتي وبنات أخي، وقد سلبنّ الأعداء، وصرنّ من بعدك هائمات يتراكن علي الرمضاء؟ أخي، من الذي سيغيث أختك العمياء في هذه الببغاء؟ ومن الذي سيدلّها علي الطريق؟ وا محنتاه، وا قلّة حيلتاه! كيف سأركب الناقة وأنا

عمياء صمّاء؟ يا أخي، ما خِلْتُ أنّك تُقتل وأبقي بعدك، فديتك يا حسين، يا ابن محمّد المصطفى، ويا قرّة عين علي المرتضى وفاطمة الزهراء، فأين عنك أبوك حيدر الكرار؟ وأين ليوث الهاشميّة؟ وأين عنك مسلم وعقيل؟ وأين أبطال بني هاشم حتّي يروا ما حلّ بولدهم؟ يا أخي، إلي من وکلتنا؟ وإلي من أوصيت بنا من بعدك؟ ومن يكن كافلاً غيرك؟ يا أخاه، ليت الموت أعدمني الحياة.

ثم صرخت صرخةً وأنشأت تقول:

أسأت بقوم أسسوا كلّ رحمة

وأسررت قوماً أبدعوا كلّ بدعة

وأبكيت عمداً عين آل محمّد

وأضحكت جهلاً سنّ آل أميّة

بروحي الذي أضحي بعرضة كربلا

صريعاً جريحاً باكتئابٍ وغصّة

وأنصاره صرعي لديه وآله

سبايا عرايا في ملاعين كفرّة

يُساقون عنفاً بين صرخي وثاكلٍ

إلي ابن أبي سفيان شرّ البريّة

ثم صاحت صيحةً بعالي صوتها، وألقت روحها علي جسد أخيها الحسين (عليه السلام) واحتضنته طويلاً، فغُشي عليها ساعة، فلمّا أفاقت نادت: وا عليّاه، وا محمّدها، وا أخاه، وا حسيناها، وا قلّة ناصراها! فلطمّت وجهها، وحثت التراب علي رأسها، وبكت بكاءً عظيماً، فرأت نفسها مُبصرةً -- ياذن الله (تعالى) -- أحسن ما تكون من النساء، فرأت أخاها مطروحاً، ورأت زجر ابن قيس واقفاً علي رأسها، فقالت أدمي: أما تخاف الله؟ أما تستحي من

رسول الله (صلي الله عليه وآله)، ترفع علي الرمح رأساً كانت وسادته صدر فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وطالما سجد خاضعاً لله (تعالى)؟

ثم رفعت صوتها بالبكاء والنحيب وهي تنادي: وا غربتاه، وا قلة ناصراه، وا حيرتاه، وا وحدتاه!

ثم أنشأت تقول:

لا يشتفي القلب من لطمٍ ومن

شجنٍ

ومن نحيبٍ ومن نوحٍ ومن حزّنٍ

ولو رأيت الذي فينا العدي صنعَت

رأيت ما يحرق الأشياء في البدن (1)

لا نريد هنا الإثبات أو النفي، وربما كانت الكتب التي ذكرتها غير ناهضة للإثبات التاريخي، بيد أننا أحببنا أن نذكرها، لورودها في بعض الكتب.

ص: 138

1- أنظر: أنوار الشهادة للشيخ حسن اليزدي -- بترجمة السيّد علي أشرف، ناسخ التواريخ (حياة زينب الكبرى (عليها السلام)) لسپهر: 1 / 13، تذكرة الشهداء للكاشاني: 425 -- بترجمة: السيّد علي أشرف.

هل التحق بالإمام (عليه السلام) أحد في طريق المدينة؟!

إشارة

(يروي لنا التاريخ من وقائع الطريق من المدينة إلى مكة أيضاً أنّ جماعةً من الأعراب كانوا يلتحقون بالركب الحسينيّ عند مروره بمنازلهم، ومن تلك المنازل منازل جُهينة (مياه جهينة)، وقد التحق بالإمام (عليه السلام) منها جماعة، منهم ثلاثة رجالٍ لم ينفصوا عنه فيمن انفصّ من الأعراب عنه بعد ذلك، بل أقاموا معه ولازموه ولم يتخلّوا عنه، حتّى فازوا بأسمي مراتب الشرف في الدنيا والآخرة، حيث استشهدوا بين يديه في الطّفّ يوم عاشوراء، وهم:

1. مجمع بن زياد بن عمرو الجُهنيّ.

2. عبّاد بن المهاجر بن أبي المهاجر الجُهنيّ.

3. عقبة بن الصلت الجُهنيّ (1).

ص: 139

1- مع الركب الحسينيّ: 1 / 415.

ويمكن أن يناقش هذا من خلال عدّة وقفات:

الوقفة الأولى: مصدر الكلام

يبدو أنّ مصدر الكلام إنّما هو الشيخ السماويّ (رحمة الله) في كتابه (إبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام))، فهو يقول في ترجمة مجمع بن زياد:

كان مجمع بن زياد في منازل جُهينة حول المدينة، فلَمّا مرّ الحسين (عليه السلام) بهم تبعه فيمن تبعه من الأعراب، ولَمّا انفضوا من حوله أقام معه، وقُتل بين يديه في كربلاء، كما ذكره صاحب (الحدائق) وغيره (1).

وذكر قريباً من ذلك باختصار في الشهيدين الجُهنيين الآخرين.

وربّما اعتمد البعض عليه، فنسب ما قاله الشيخ السماويّ (رحمة الله) إلي (الحدائق الوردية) مباشرة، والحال أنّ الشيخ (رحمة الله) لم يوثق التحاقهم بالإمام (عليه السلام) من خلال (الحدائق)، وإنّما وثّق استشهادهم بين يدي سيّد الشهداء (عليه السلام) في كربلاء بالنصّ عليهم في كتاب (الحدائق الوردية)، لأنّه منمصادره التي يرجع إليها كثيراً في كتابه (الإبصار).

ص: 140

فتبقي معلومة الالتحاق خاصة بالشيخ (رحمة الله) ، وقد راجعنا كتاب (الحدائق الوردية) للمحلي بنسخته الحجرية المتوفرة لدينا والنسخ المطبوعة علي اختلاف طبعتها، فلم نقف علي ما ذكره الشيخ (رحمة الله) ، ويبدو أن عبارة الشيخ (رحمة الله) واضحة في توثيق الاستشهاد فقط.

الوقفه الثانية: علي فرض الوقوف علي نسخة خاصة

لو افترضنا أن الشيخ (رحمة الله) توقر علي نسخة من (الحدائق) لم نقف عليها تحتوي هذه الزيادة، ثقةً منا بالشيخ (رحمة الله) ، فإن (الحدائق الوردية) هو من مصادر الزيدية، وهو من أبناء القرن السابع الهجري، فهو متأخر، بالإضافة إلي تفرده في ذلك، علاوةً علي ما سنسمع من إشكالاتٍ أُخري علي النصّ.

وعلي فرض أنه قد اصطاد المعلومة من كتابٍ آخر غير (الحدائق)، فإننا لم نقف علي شيءٍ من ذلك مع كثرة المصادر المتوفرة لدينا، فهو -- رحمه الله وحشره مع سيّد الشهداء (عليه السلام) -- أعلم وأعرف بما رأي وروي، ونحن نثق به ونعتمد عليه، بيد أننا مضطرون للترتّب مع الإشكالات التي تواجه هذا القول، كما سنري في الوقفات اللاحقة.

الوقفه الثالثة: سعة ديار جهينة

جهينة: قبيلةٌ حجازيةٌ كبيرةٌ واسعة الانتشار في زمانها، ويكثر ذكرها في

المعالم وكأنها اسم مكان، بحذف المضاف، فيقولون: (ذو العشيرة من جهينة)، ويريدون: بلاد جهينة.

ومن أشهر بلادهم: (بنيع)، ولكن المتقدمين قد وسّ عوا دائرتها، حتّى كانت تُطلَق بلاد جهينة علي كلّ أرضٍ من ساحل البحر قرب ميناء رابغ إلي (حقل) بجوار العقبة شمالاً، ومن الساحل غرباً إلي المدينة شرقاً، ولا شكّ أنّ جهينة كانت تحلّ أكبر جزءٍ من هذه البلاد، ومع ذلك كانت تشاركها قبائل أُخري في هذه المواطن، ومن جبالهم: الأشعر، الأجرد، وبواط، وآرة، وقدس (1).

والجُهنيّ -- بضمّ الجيم وفتح الهاء وكسر النون في آخرها -- : هذه النسبة إلي جهينة، وهي قبيلةٌ من قُضاعة (2).

فلا يبعد أن تُنسب مناطقهم إلي حوالي المدينة، وهي بعيدة عن المدينة وأقرب إلي مكّة، بل قد تكون ممّا يقع علي طريق العراق من مكّة، سيّما أنّ الشيخ (رحمة الله) لم يصرّح بالتحاقهم عند مرور سيّد الشهداء (عليه السلام) بهم في طريقه بين المدينة ومكّة. علاوةً علي ما مرّ، فإنّ (جهينة) لم يكن اسماً لمواضع حول المدينة فحسب، وإنّما كان اسماً لقريةٍ في العراق أيضاً، كما قال ياقوت:

ص: 142

1- المعالم الأثيرة: 93.

2- الأنساب للسمعاني: 134 / 2.

جُهينة: بلفظ التصغير، وهو علمٌ مرتجلٌ في اسم أبي قبيلة من قضاة، وتسمّى به قريةٌ كبيرةٌ من نواحي الموصل علي دجلة، وهي أول منزلٍ لمن يريد بغداد من الموصل، وعندها مرج، يقال له: مرج جهينة، له ذكر [...]، وجهينة أيضاً قلعة بطبرستان حصينة مكيّة عالية في السحاب (1).

الوقفه الرابعة: التحاق الأعراب في طريق المدينة!

تفيد عبارة الشيخ السماوي (رحمة الله) أنّهم التحقوا بسيد الشهداء (عليه السلام) مع جملة من الأعراب ممن التحق به في الطريق، وهذا قد يصدق علي الطريق من مكّة إلي العراق، إن صحّ ذلك، لوجود مؤشراتٍ في كتب التاريخ عليه، ومن البعيد جداً أن يكون هو بين المدينة ومكّة، ولو كان ثمة أعراب التحقوا بالإمام (عليه السلام) بين المدينة ومكّة وبقوا معه ولازموه أكثر من أربعة أشهر في مكّة حتّى خرج إلي العراق لشاع خبرهم، ولكان لهم صوتٌ يُسمَع، ولروي التاريخ لنا شيئاً من ذلك، وقديماً قيل: لو كان لبان.

الوقفه الخامسة: تصريح المامقاني

لقد صرّح الشيخ المامقاني -- رحمه الله وحشره مع سيد الشهداء (عليه السلام) --

ص: 143

أنّ الالتحاق إنّما حصل لما خرج الإمام (عليه السلام) من مكّة إلى العراق، مع التنصيص علي كونهم في منازل جُهينة حول المدينة. قال (رحمة الله) :

كان في منازل جُهينة حول المدينة، فلما خرج الحسين (عليه السلام) من مكّة إلى العراق مرّ بهم، كان الرجل ممّن تبعه ولزمه (1).

الوقفة السادسة: الأعراب!

في تعبير الشيخ السماوي (رحمة الله) رنة غير محبوبة، ولحنٌ مشوّشٌ غير متناسق، لا يليق بوصف سيوف سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فهو (رحمة الله) يقول:

فلما مرّ الحسين (عليه السلام) بهم تبعه فيمن تبعه من الأعراب، ولما انفضوا من حوله أقام معه وقُتل بين يديه في كربلاء..

وهو يفيد أنّهم كانوا من الأعراب تبعوا الإمام (عليه السلام) للطمع أولاً، ثمّ لازموه فيما بعد، ولم ينفصوا عنه كما انفصّ غيرهم من الأعراب!

لذا حاول بعض المتأخّرين اقتطاع هذه الصفة؛ لأنّها لا تليق بسيوف الإمام الحسين (عليه السلام) من جهة، ولأنّ أصل التحاقهم بالإمام (عليه السلام) مع الأعراب هو أوّل الكلام ويحتاج إلى إثباتٍ تاريخيٍّ، وهو غير متوفّرٍ حسب الفحص.

ص: 144

الوقفة السابعة: لم يدعهم الإمام (عليه السلام) !

لقد مشي سيّد الشهداء (عليه السلام) بين المدينة ومكّة مشياً سريعاً، وكان يطوي المراحل والمنازل سراعاً، حتّى قطع المسافة في نصف الفترة المعتادة، وليس عندنا ما يدلّ بوضوح أنّ الإمام (عليه السلام) كان ينزل في المنازل المعهودة المرسومة، أو يلتقي الناس ويكلّمهم ويحرّضهم.

فعلي فرض أنّهم التحقوا بالإمام (عليه السلام) في طريقه من المدينة إلى مكّة، وهو فرضٌ يصعب المصير إليه لما ذكرناه آنفاً، فإنّ الإمام (عليه السلام) لم يدعهم إلى الالتحاق، وإنّما هم تبعوه، كما هو مفاد عبارة الشيخ السماوي (رحمة الله)، فلا يمكن استفادة ممارسة العمل التبليغيّ والإعلاميّ والتعريفيّ بالقيام من التحاق هؤلاء الأبرار به!

تبين لنا من خلال بحث (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة) أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) كان مطلوباً مهدّداً في المدينة، الأمر الذي جعله يستعجل الخروج منها إلى مكّة.

ولم يأمن الركب الحسيني في طريقه من المدينة إلى مكّة، وإنّما كان مطلوباً أيضاً وهو يسير إلى حرم الله الآمن، كما أفادت النصوص التاريخية عبر ما روته من أحداث ترسم ظروف الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة وفي الطريق إلى مكّة، وهي تدلّ على أنّه كان مطلوباً للطواغيت والقردة وذئاب الغابة الأموية وعُسلان الفلوات الجائعة لتمزّقه وأهل بيته بأنيابها، فتملاً منه أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً، وتستخرج العلقة المقدّسة من جوفه المقدّس، وتلغ في دمائه الزاكية.

وقد غدا الناس علي البيعة ليزيد، وطُلب الحسين فلم

يوجد (1)؛ لأنه خرج في جوف الليل تحت جنح الظلام، ومعه عامّة من كان بالمدينة من أهل بيته، إلا أخاه محمّد ابن الحنفية (2).

فلاحقوه وطلبوه بعد أن خرج فلم يقدر عليه (3)، رغم أنّ الوالي يومها أمر أن يركبوا كلّ بعير بين السماء والأرض فيطلبوه، فطلبوه فلم يُدرِك (4).

فسار نحو مكة وهو يقرأ هذه الآية: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ

ص: 148

1- أنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات الكبرى لابن سعد: 56، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 207، تهذيب الكمال للمزي: 6 / 415، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2608، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 175، التهذيب لابن بدران: 4 / 328، المختصر لابن منظور: 7 / 138.

2- أنظر: الأخبار الطوال للدينوري: 230، تاريخ الطبري: 5 / 341، الفتوح لابن أعمش: 5 / 34، شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143، الإرشاد للمفيد: 2 / 32، بحار الأنوار: 44 / 326، روضة الواعظين للفتال: 147، نفس المهموم للقمي: 71، إعلام الوري للطبرسي: 223، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 189، الردّ علي المتعصّب العنيد لابن الجوزي: 35، الكامل لابن الأثير: 3 / 265، نهاية الإرب للنويري: 20 / 380.

3- أنظر: تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 268.

4- أنظر: الجوهرة للبري: 41.

قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (1) (2) (3).

وكتب ابن عباسٍ ليزيد كتاباً، قال فيه:

... وما أنسَ من الأشياء، فليستُ بناسٍ أطرادك الحسين بن عليٍّ من حرم رسول الله إلي حرم الله، ودسك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله إلي الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقب، وقد كان أعزَّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزَّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحلَّ بها قتالاً، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحلُّ حرمة البيت وحرمة رسول الله، فأكبر من ذلك ما لم تكبر، حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم ... (4).

ص: 149

1- سورة القصص: 21.

2- أنظر: تاريخ الطبري: 5 / 343، الفتوح لابن أعثم: 5 / 34، الإرشاد للمفيد: 2 / 32، روضة الواعظين للفتال: 147، بحار الأنوار: 44 / 332، نفس المهموم للقمي: 79، إعلام الوري للطبرسي: 223، الكامل لابن الأثير: 3 / 265، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: 135، نهاية الإرب للنويري: 20 / 380، الفصول المهمة لابن الصبأغ: 183.

3- أتينا علي تفصيل دلالات قراءة الآية الشريفة في بحث (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة).

4- تاريخ يعقوبي: 2 / 249.

روي الشيخ الطريحي:

عن سكينه بنت الحسين (عليهما السلام) قالت: لما خرجنا من المدينة، ما كان أحد أشدّ خوفاً منّا أهل البيت (1).

قال العلامة المازندراني:

وخرج في جوف الليل في غاية الخوف، كخروج موسى خائفاً يترقب، ولذا كان (عليه السلام) يتلو: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، ولكن شتان بينه وبين موسى؛ لأنّ موسى وإن خرج خائفاً هارباً ماشياً ورجلاً، ولكن لما ورد ماء مدين تبدل خوفه أمناً وزال عنه همّه وغمّه وخوفه، وأمّا الحسين (عليه السلام) خرج من المدينة خائفاً ودخل مكة خائفاً، ومكث في مكة خائفاً حزيناً كثيراً إلى أن خرج من مكة كذلك خائفاً، وفي طريقه كذلك، ونزل بكر بلاء كذلك، إلى أن قُتل (عليه السلام)، وموسى رجع إلى وطنه بعد عشر سنين مكراً منصوراً ورسولاً مؤيداً، والحسين (عليه السلام) ما رجع إلى المدينة، بل قُتل هو ومن معه، إلا ولده السجّاد (عليه السلام) رجع مع عمّاته وعيالات أبيه (2).

ص: 150

1- المنتخب للطريحي: 421 / 2، أسرار الشهادة للدريندي: 209، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 223، مقتل أبي مخنف (المشهور): 14.

2- معالي السبطين للمازندراني: 1 / 213.

ورد في المصادر أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) لما عزم علي الخروج، سلك الجادة ولزم الطريق الأعظم، فالتمس به بعض من كان معه في الراكب أن يتنكبّ الجادة العظمي كما فعل ابن الزبير؛ خوفاً من الطلب (1).

وقد صرّحت الأخبار أنّ العلة في التماس ترك الجادة العظمي وتنكبّ الطريق هو الخوف من أن يلحقهم الطلب، وإن وردت العبارات شتى بيد أنّها جميعاً تفيد معني واحداً.

(لا يلحقك الطلب) (2)، (نخاف أن يلحقنا الطلب) (3)، (كي لا يلحقك الطلب) (4)، (لأجل الطلب) (5).

ص: 151

1- نقصد الاستفادة هنا من الأخبار بغضّ النظر عمّا إذا كان لنا تحفّظ عليها أو علي بعضها.

2- تاريخ الطبري: 351 / 5.

3- الفتوح لابن أعثم: 34 / 5، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 189 / 1، المنتخب للطريحي: 421 / 2.

4- الإرشاد للمفيد: 33 / 2، بحار الأنوار: 332 / 44.

5- المنتظم لابن الجوزي: 327 / 5.

فأبي سيّد الشهداء (عليه السلام) أن يغيّر طريقه ويسلك غير السبيل العام الذي يسلكه كلّ من أراد التوجّه من المدينة إلى مكّة.

وفي هذا التوجّس والتوقّي والحذر الشديد الذي يشي به تعبير (خوفالطلب)، ما يفيد صراحةً أنّ الركب كان مُلاحقاً ومطارداً مطلوباً لأزلام السلطان، وهذه شهادة ممّن كان سائراً في الركب لا يسهل تجاوزها والمرور عليها سراعاً، وهم جميعاً أرباب الشجاعة ومعادن البطولة.

جواب الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام)

إشارة

لقد ردّ سيّد الشهداء (عليه السلام) التماس من التماس أن يتكبّب الطريق ردّاً رقيقاً، وجاء في المصادر في لفظين:

الجواب الأوّل: البقاء علي الجادة حتّي يقضي الله..

إنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) أجاب علي الملتمس بقوله:

«لا والله، لا أفارقه حتّي يقضي الله ما هو أحبّ إليه» (1)، في لفظ الطبري.

وفي لفظ ابن أعثم:

«لا والله.. لا فارقْتُ هذا الطريق أبداً، أو أنظر إلي أبيات مكّة أو

ص: 152

1- تاريخ الطبري: 351 / 5، ومثله عند ابن الجوزي في المنتظم: 327 / 5.

يقضي الله في ذلك ما يحبّ ويرضى» (1)، ثم جعل الحسين (عليه السلام) يتمثل بشعر يزيد بن المفرغ الحميريّ وهو يقول: لا سهرت السوام في فلق الصب-

-ح مضيئاً (2) ولا دعيت يزيدا

يوم أُعطي من المخافة صميماً

والمنايا يرصدني

أن أحيدا (3)

وفي لفظ الشيخ المفيد:

«لا والله، لا أفارقه حتّى يقضي الله ما هو قاض» (4).

الجواب الثاني: أكثر صراحة

إشارة

روي الطريحيّ في (المنتخب) عبارة (الفتوح) التي سمعناها في الجواب الأوّل:

«لا والله.. لا فارقت هذا الطريق أبداً، أو أنظر إلي أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحبّ ويرضى» (5).

بيد أنّه ذكر شعراً رواه عن (المقتل) المشهور لأبي مخنف بألفاظٍ فيها

ص: 153

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 189.

2- كذا في نسخ الفتوح، وفي المصادر: (مغيراً).

3- الفتوح لابن أعثم: 5 / 34.

4- الإرشاد للمفيد: 2 / 33، بحار الأنوار: 44 / 332.

5- المنتخب للطريحي: 2 / 421.

أدني تفاوت، كما سنسمع.

وفي (المقتل) المشهور لأبي مخنف جوابٌ مميّز لسيد الشهداء (عليه السلام)، يمكن أن يكون شرحاً وموضّحاً لما مرّ في النصوص السابقة..

قال (عليه السلام): «أتخافون الطلب؟»، قالوا: أجل. قال: «أخاف أن أحيد الطريق حذر الموت»، وأنشأ يقول: إذا المرء لا يحمي بنيه وعرضه

وعترته، كان اللئيم المسبباً

ومن دون ما يبغي يزيد بنا

غداً

نخوض بحار الموت

شرقاً ومغرباً

ونضرب ضرباً كالحرّيق مقدماً

إذا ما رآه ضيغم فرّ مهرباً (1)

نجد في هذه النصوص عدّة إفاداتٍ يمكن أن تشير إليها أو تصرّح بها:

الإفادة الأولى: عدم الإنكار علي الملتمس

إنّ النصوص التي سمعناها جميعاً لم تتضمن تكديماً لمن توفّع خوف الطلب، بل تفيد الأجوبة بجميع ألفاظها أنّ سيد الشهداء (عليه السلام) قد أقرّ ما تخوّفه الملتمس ولم يُنكر عليه، وقد أفادت الأجوبة ما يؤكّد تسويغ خوفهم من الطلب وعدم رده وتكذيبه كاحتمال متوفّع ومنطقيّ ومعقول، تشهد له مجريات الأحداث وعزم العدو ومؤشرات مواقفه ودلالات سلوكياته

ص: 154

وإنّما أراد أن يبقى في الجادة وإن أدّى ذلك إلي الشهادة، فالمطلوب بالموت بعزّ، أو لأغراض أُخري لسنا الآن بصدد التعرّض لها، وما فعله ابن الزبير إنّما كان فعل من يخاف المواجهة، ولا يرجو الشهادة، ولا يقوي علي القتال، ويطلب الحياة مهما كان الثمن..

الإفادة الثانية: التمثّل بشعر ابن المفرغ

أفاد نصّ ابن أعثم أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) تمثّل بشعر ابن المفرغ في هذا الموضع، وربّما انفرد ابن أعثم بذلك، إذ أنّ المشهور في المصادر تمثّله (عليه السلام) بها قبيل الخروج من المدينة، قالها وهو يدخل مسجد جدّه النبيّ (صلي الله عليه وآله) [\(1\)](#)، وقد نقل الخوارزميّ عبارة ابن أعثم، إلاّ أنّه غيّر موضع التمثّل بالبيتين إلي الموضع المشهور..

ص: 155

1- أنظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 368، تاريخ الطبري: 5 / 342، شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 144، الأمالي للشجري: 1 / 185، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 186، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لابن عساكر: 195 -- بتحقيق: المحمودي، التهذيب لابن بدران: 4 / 329، المختصر لابن منظور: 7 / 136، الكامل في التاريخ لابن الأثير: 3 / 265، نهاية الإرب للنويري: 20 / 381، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 135، بغية الطلب لابن عديم: 6 / 2605.

وكيف كان، فإننا قد تناولنا البيتين في ذلك الموضوع، وأشرنا إلى مغازيها ومداليلها، فلا نعيد.

ويبقى هنا أن نشير إلى أن ثمة احتمالاً يمكن أن نتصوره في المقام، وهو أن الإمام (عليه السلام) قد تمثل بشعر ابن المفرغ في الموضوعين، ولا مانع من ذلك، بل مجريات الأحداث ربّما أيّده، ودلالة الشعر علي أنه مطلوب واضحة.

الإفادة الثالثة: التصريح في شعر المقتل

يبدو أن الشيخ الطريحيّ ينقل الأبيات عن (المقتل) المشهور، وفي لفظ المقتل تصريح بعلة إباء الإمام (عليه السلام) عن تنكّب الطريق: «أخاف أن أحيد الطريق حذر الموت»، وفيه تأكيدٌ علي صحّة ما توقّعه الملتمس.

وزاد في التصريح بالأبيات التي أنشأها سيّد الشهداء (عليه السلام)، إذ صرّحت الأبيات أنه (عليه السلام) مطلوبٌ وأهل بيته وعرضه وعترته، وهو (عليه السلام) ومن معه سيحمونها، لأنهم كرامٌ أعزّةُ أباة، وترك الحماية لا يصدر إلا من اللئيم المذموم، إنهم سيخوضون بحار الموت في كلّ شارقٍ وفي كلّ غارب، ويضربون دون ذلك ضرباً كالحرّيق مُقبليين غير مدبرين، ويكرّون كراً يجبن الشجاع ويفرّ منه الضيغم هارباً..

وما دام العدو هو الذي يبدأ المواجهة والقتال فلا مانع، وإن كانت الأرض الموعودة بالانتظار، وهو (عليه السلام) يعلم أنّها حفرته التي ادّخرها الله له منذ أن خلّقت.

قالوا:

هنا قد يتساءل المتأمل عن سبب إصرار الإمام (عليه السلام) عن سلوك الطريق الأعظم إصرار من يرضي بمواجهة كل خطرٍ محتسبٍ وغير محتسب، ولا يرضي بالتخلي عن سلوك هذا الطريق الرئيس!

هل هي الشجاعة الحسينية من وراء كل هذا الإصرار؟

أم أنّ الإمام (عليه السلام) أراد من وراء ذلك أمراً إعلامياً وتبليغياً، للتعريف بقيامه ونهضته من خلال التقاء الركب الحسيني القاصد إلي مكة بكل المارة والقوافل علي الطريق الأعظم؟ لأنهم سيتساءلون عن سبب خروج الإمام (عليه السلام) من مدينة جدّه (صلي الله عليه و آله) مع جُلّ بني هاشم ومن معهم من أنصاره، ويتعرفون من الإمام (عليه السلام) مباشرة علي أهدافه التي نهض من أجلها، فينضم إليه من يوقفه الله (تعالى) إلي نصرته، وينتشر أمر هذا القيام المقدس بين الناس في مناطق عديدة، فيتحقق بذلك عملٌ إعلاميٌّ وتبليغيٌّ ضروريٌّ لتوسيع رقعة هذا القيام المبارك وكسب الأنصار له!

لا شك أنّ تعليل إصراره (عليه السلام) علي لزوم الطريق الأعظم

بالشجاعة الحسينية تعليلاً صحيحاً في نفسه، وكذلك تعليله بالهدف الإعلامي والتبليغي للتعريف بقيام الإمام (عليه السلام) ونهضته، ولا منافاة بين هذين التعليلين.

ولعلّ التعليل الأهمّ الذي يمكن أن يضاف إليهما، هو أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) في إصراره علي لزوم الطريق الأعظم أراد أن يعلن للأمة أنّه ليس من العصاة البغاة الخارجين علي حكومة شرعية كانوا قد اعترفوا بها ثمّ تمردوا عليها، أولئك الذين يلوذون بالطرق الفرعية خوفاً من رصد الحكام وفراراً من قبضتهم.

أراد (عليه السلام) أن يعلن للأمة أنّه هو ممثّل الشرعية، لا الحكم الأمويّ، وأنّه هو صاحب الحقّ بالطريق الأعظم، وبالخلافة! وبكلّ شؤون الأمة! وأنّه هو الأصل الشرعيّ! وأنّ يزيد هو الشذوذ والخلاف والانحراف والمتمرد علي الشرعية!!!

وهذا بُعدٌ تبليغيّ وإعلاميٌّ ثابتٌ في حركة الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو مفسّرٌ عام لجميع تفاصيل حركة نهضته المقدّسة (1).

ص: 158

1- مع الركب الحسيني: 1 / 402.

لقد أتينا علي مناقشة مثل هذه التعليقات المهمة و(التعليل الأهم) في أكثر من موضع، بيد أن ضرورة البحث تقتضي التوقف هنا والتريث، ولو علي عجل، لما لمثل هذه التصورات من آثار خطيرة، والحال أنها تبدو كأنها مجرد تأملات وحماسة توججها الشعارات وتبهرجها الكلمات، وسنقتصر علي جملة تأملات في هذه العلل الثلاثة التي جاءت كجواب علي السؤال المقدر.

التأمل الأول: السب المنصوص

ما ورد في النصوص التي سمعناها هو أن الإمام (عليه السلام) أصرّ علي ملازمة الطريق الأعظم، وقال أنه لا يفارقه حتى يقضي الله ما يحب في ذلك، وأنه يخاف أن يحيد عن الطريق حذر الموت، فالتعليل الأول بالشجاعة الحسينية مستقيم وناهض، لأنه مؤدي أجوبة الإمام (عليه السلام) علي اختلاف ألفاظها.

التأمل الثاني: التعليل الثاني

أما التعليل الثاني الذي يفيد أن الإمام (عليه السلام) أصرّ علي اختيار الطريق الأعظم من أجل التوظيف الإعلامي والتبليغي، فإنه لم يرد في كلام الإمام (عليه السلام) ولا علي نحو الإشارة والتلويح، وإذا حصلت المطاردة والمواجهة في أي منزل من المنازل، فإن الأمر سينتهي هناك ولا يتحقق الغرض.

أما علي فرض استمرار الركب وتسخير الطريق للتعريف بالقيام

والنهضة من خلال التقاء الركب الحسيني القاصد إلي مكة، فإنّ هذا لم يحصل في الطريق بتاتاً، ولم يلتق الإمام (عليه السلام) بأحدٍ إلاّ بابن مطيع علي فرض حصول اللقاء بين المدينة ومكة، ولم يحصل في اللقاء تبليغ، ولا إعلام، ولا دعوة، ولا استنهاض، وكان اللقاء قد حصل بمبادرة من ابن مطيع نفسه لغرضٍ شخصي.

التأمل الثالث: سرعة الحركة

لقد مرّ وسيأتي أنّ الركب قد جدّ في المسير، حتّى قطع المسافة في فترة تناهز نصف المدّة المقرّرة لقطع المسافة بين المدينة ومكة، وهذه السرعة في الحركة تخالف ما يقصد من الترويج والإعلام والاستنهاض وما شاكلها من النشاطات والفعاليات الإعلامية.

نرجو من القارئ الكريم أن يوسّع صدره ويضعف حلمه إذا واجه تكرار بعض المطالب، من قبيل التأكيد علي الإسراع في المسير، فإنّها قضية في غاية الأهمية، ولها دورٌ كبيرٌ ومؤثّرٌ في فهم الحركة وتفصيلها.

التأمل الرابع: اللقاء بكلّ المازّة والقوافل وتسأولهم!

لابدّ للفرض أن يقوم علي أساس، مهما كان ذلك الأساس مفترضاً أيضاً، أمّا إذا خالف الفرض الواقع فلا مجال للاسترسال معه!

لقد قرأنا التاريخ، وتبيّن بوضوح أنّ الإمام (عليه السلام) لم يلتق أحداً، وكانت

حركته عادية هادئة، كحركة أي ركبٍ آخر يسير في طريقه إلى بيت الله الحرام للحجّ أو العمرة أو المجاورة، ولم نسمع أيّ سؤالٍ من القوافل والمارة والقاطنين في المنازل والمدن الواقعة على الطريق الأعظم، وكان خروج شخصٍ عظيمٍ كالإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) بأهله وذويه وغلماؤه وحشمه قد لا يثير فضولاً ولا يقتضي سؤالاً، سيّما إذا كانت الحركة في أشهر الحجّ والعمرة، فقد يخرج العظيم بركبٍ ضخمٍ كبيرٍ كما فعل ولده الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وغيره، وقد لاحظنا الإمام (عليه السلام) يخرج بصورة ركبٍ عاديٍ بالأهل والعيال والنساء والأطفال، لا بصورة جيشٍ عسكريٍّ مدججٍ بالسلاح!

المهم! لا مجال لافتراض أنّ الناس سيسألون بعد أن رأيناهم معرضين قد اشتغل كلُّ بشغله، وكأنّه لم يرَ أحدٌ منهم خامسَ أصحاب الكساء (عليهم السلام) وسبط النبيّ (صلي الله عليه وآله) وريحانته، حتّى لم نسمع أنّ أحداً سأله مسألةً شرعيّة، أو طلب منه البركة، أو استوقفه لسماع حديثٍ عن جدّه (صلي الله عليه وآله)، سوي قصّة ابن مطيع.

إنّما يصحّ الافتراض إذا كنّا لا نعلم ما الذي حصل، أمّا وقد علمنا، فالفرض هو محصل العلم.

التأمل الخامس: ذمّة الافتراض

إذا علّنا إصرار الإمام (عليه السلام) على التزامه الطريق الأعظم بفرض توظيف العامل الإعلامي والتبليغيّ وغيرها، ينبغي أن نتابع الفرض لنري هل أثمر ما

افترضناه أو بقي عقيماً؟ ولا يصلح أن نصوّر ثماراً لم تحصل أبداً فضلاً عن تصوير اقتطافها.

وكمثالٍ علي ذلك:

فإنّ التاريخ لم يسجّل لنا تعرّف أحدٍ من الإمام (عليه السلام) مباشرةً علي أهدافه التي نهض من أجلها، ولا انضمام أحدٍ إليه، ولا توفيق أحدٍ إلي نصرته، ولا اكتساب الأنصار، ولا انتشار أمر هذا القيام المقدّس بين الناس في مناطق عديدة.. وهذا يعني أنّ هذا الغرض المفترض قد أخفق، ولم ينفذ، ولم يكن له تأثيرٌ ولا فاعليّة! وحاشا أن يُنسب ذلك للإمام سيّد الشهداء (عليه السلام).

التأمّل السادس: اختيار الطريق الأعظم والشرعيّة!

إختيار الطريق في رحلةٍ -- سواءً كانت ذات أهميّةٍ وخطر، أو كانت رحلةً عاديّةً -- إنّما يحدده الظرف والمصلحة ومقتضيات السفر، فقد سلك النبيّ الأعظم (صلي الله عليه وآله) -- وهو أشجع من خلق الله بلا استثناء -- طريقاً غير الطريق المعهود بين مكّة والمدينة في هجرته المباركة، فخرج ليلاً، واختفي في الغار، ولم يكن فعله يفيد أنّه أقرّ بالشرعيّة لطواغيت قريش.

وربّما كانت بعض الطرق الفرعيّة أطول، وربّما كانت تمرّ بمدن وحواضر أكثر، يمكن توظيفها في الغرض الإعلامي.

والسير في الطريق الأعظم هو حقّ الجميع، لا يُصدّد عنه ما، فإذا

ص: 162

سلكه الإمام (عليه السلام) كسائر مَنْ سلك فيه، فإنّه يكون قد اختار هذا الطريق علي سواه من الطرق للوصول إلي البلد الذي يقصده، أمّا أن يستفاد من مجرد اختيار طريقٍ أرضيٍّ سالك للجميع الأحقّيّة بالشرعيّة والخلافة وبكلّ شؤون الأُمّة، وأنّه الأصل الشرعيّ، فهذا من أعجب العجب!

إنّه فرضٌ يحمل في طيّاته شحنات السابقة الذهنيّة والبناء العقليّ الجاهز قبل الخوض في بحث المسألة، ويحمل المشهد ما لا يحتمل!

هل كان هذا الاصرار والاختيار قد أثر أثره وفعل مفعوله، حتّي تحوّل إلي حجّةٍ يمكن الاستناد إليها والارتكان عليها لإثبات حقّ الإمام (عليه السلام) بالخلافة والشرعيّة وشؤون الأُمّة؟!

وهل فهم أحدٌ ذلك من فعل الإمام (عليه السلام) واستدلّ به؟ وهل يمكن لأحدٍ أن يُثبت هذه الأحقّيّة بمثل هذا الاختيار، بحيث يمكن أن يسلب الأحقّيّة من النبيّ (صلي الله عليه وآله) لأنّه اختار غير الطريق الأعظم في هجرته، ويثبت إمامة الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) وأحقّيّتهم بالخلافة حين ساروا في أسفارهم علي الطريق الأعظم!!

وهل كان في سلوك الطواغيت -- من أمثال معاوية ويزيد وغيرهما -- الطرق والجوادّ الرئيسيّة دليل أحقيّتهم بالملك والخلافة؟!

كيف صار هذا التعليل هو التعليل الأهمّ؟

ص: 163

لقد صدرت الأوامر بملاحقة الركب، وكان العدو يحاول منع سيّد الشهداء (عليه السلام) من الخروج من المدينة؛ بقصد تدبير خطةٍ لاغتياله أو القبض عليه بعيداً عن الأضواء، ليجري فيه ما أجراه في جدّه وأبيه وأخيه (عليهم السلام) وأولاده المعصومين (عليهم السلام) من القتل الصامت المجهول الذي لا يحتمل العدو مسؤوليته مباشرةً ويفضحه فضيحةً علنيّةً، ويشي بوقاحتته وجرأته علي الله وعلي الحرّات، أو لأغراضٍ أُخري زيادةً علي ما ذكرنا.

المهم، أنّ العدو كان يخطّط -- كما يُستفاد من مؤدّيات النصوص التاريخيّة -- للقضاء علي الإمام (عليه السلام) من دون مواجهةٍ قتاليّةٍ وإشعال فتيل حرب، لذا قد يكون احتمال وقوع المواجهة المسلّحة علناً في الطريق بين المدينة ومكّة -- بل حتّي في المدينة ومكّة -- ضعيفاً، من دون أن ينتهي بالكلّيّة، وربّما كان ذلك للأسباب التالية، نقول: (ربما!):

السبب الأوّل: الاستعداد الإعلامي

لم يحسب العدو لخروج سيّد الشهداء (عليه السلام) بهذه السرعة من المدينة

المنورة، فلم يكن قد أعدّ لذلك أيّ مادّةٍ إعلاميّةٍ، ولم يروّج لتشويه خروجه (عليه السلام)، كما فعل فيما بعد من رميه بالظلم والفساد والأشر والبطر، وممارسة التضليل لعرض حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) -- كذباً وزوراً -- ك- (خروج)، ووصفه ب- (الخارجي)، فلو أنّهم هجموا ثمة علي الإمام (عليه السلام) ومن معه من العيال والنساء والأطفال، سواءً في المدينة أو في مكّة أو في الطريق بينهما، فإنّهم سيُفضّحون، ولا يجدون مسوّغاً ولا مبرراً لفعاليتهم، مهما كانت باطلةً ومزيّقة، بعد أن هجموا علي سبط النبيّ (صلي الله عليه وآله) وقتلوه وقتلوه من دون سببٍ يُذكر، أو يمكن أن يبرّر فعاليتهم.

فهم بحاجةٍ إلي إعداد الناس والعساكر وصياغتهم نفسياً ودينيّاً، وإيجاد الدوافع والمشجّعات فيهم، وجعلهم في أجواء تجعلهم أكثر قناعةً بمحاربة سيّد الشهداء (عليه السلام) والإقدام علي قتله (عليه السلام)، أو علي الأقلّ السكوت علي ذلك، وتحييد مَنْ لا يصلح للزجّ به في هذه المعركة، وتحويل المشهد من صورة الهجوم علي سيّد الشهداء (عليه السلام) وعياله إلي صورة الدفاع عن الملك والسلطان ودولة الخلافة، كما فعلوا ذلك -- بالفعل -- من خلال إعلامهم المضللّ الذي بقي إلي يوم الناس هذا.

السبب الثاني: الاستعداد العسكري

إشارة

أُسلوب الطغاة والمستكبرين في الأرض -- كان ولا زال -- هو تكثيف القوّة وتحشيد العساكر واستخدام العنف المفرط والضربات الهائلة، مهما كان

العدو المقابل قليل القوة والعدة والعدد، فهو لم يكن علي استعدادٍ ضمن خطته وأسلوب عمله، وذلك للضرورات التالية:

الضرورة الأولى: معرفة الأعداء قوة سيّد الشهداء (عليه السلام)

كان العدو يعرف قوة سيّد الشهداء (عليه السلام) وسطوته وشجاعته، وكذا من معه، ويعلم علماً يقيناً أنّ الإمام (عليه السلام) لا يستسلم حتّى تفيض الأرض بدمائهم العفنة، فهم يعرفون شجاعة الهاشميين عموماً، وشجاعة النبيّ (صلي الله عليه وآله) وشجاعة أخيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وشجاعة الإمام الحسين (عليه السلام) المولود منهما، وقد رأوا ذلك ولمسوه، ولا زالت بيوتهم ترتفع فيها الرثّة، ولا تبارحها النوائح من حصائد سيف أمير المؤمنين (عليه السلام).

نحن نعتقد في الإمام (عليه السلام) أنّه قدرة الله، وقوة الله، ويد الله، وقد جعل الله فيه صفات الجلال والجمال والقوة والقهر والغلبة والسطوة علي حدّ الكمال الذي لا كمال بعده، والأعداء آمنوا بذلك بحكم المشاهد والتجارب التي ذاقوا فيها ذعاف السيوف الهاشمية، والسطوة الطالبيّة، والشجاعة العلويّة، وهم لا ينسون جيّفهم وفتائسهم التي كانوا يتبجّحون بها، فإذا بها تنهاوي من حفيف الهواء الذي تشقّه شفرة أسد الله وأسد رسوله، وتزلزل عند مشاهدة وميض الصوارم الطالبيّة، وتختطف أبصارها وتلتهب من سرعة تقلّب ذو الفقار ليحصد الرؤوس شمالاً ويميناً في ضربةٍ واحدة، فيقتل ويقطّ ولا تسيح الدماء، لأنّه يفري ويحرق ويشوي اللحم

والجلد ويكوي العروق لشدة سرعته الخاطفة.

فالعدو يعرف القوة التي يبني لمواجهتها، ويعلم حسب الحسابات العسكرية الظاهرية أن لا قدرة له عليه، وأن الجيش ما لم يكن كثيفاً متظافر العدد والعدد لا ينهض في مواجهة سيّد الشهداء (عليه السلام) ومن معه، ولا يمكن أن يقابله بعدة ضعيفة أو عدد قليل.

الضرورة الثانية: منطقة حواضر

كانت المدينة ومكة حواضر ومدن مقدّسة وحرماً آمناً، يقُدّسه المسلمون جميعاً، فكانت القوّات العسكريّة المتواجدة فيها بمقدار ما يكفي لحماية البلدين وحفظ الأمن فيهما، وربما اقتصر على الشرطة والحرس وقليل من العسكر الذي يتولّى حماية أفراد السلطة والوالي، ولم تكن معسكراتٍ وثكناتٍ عسكريّةً كالكوّفة مثلاً، وهذا المقدار من القوّة لا يمكن أن يُحسب في مقابل سطوة سيّد الشهداء (عليه السلام) وقوّته ومن معه على قلة عددهم.

كما أنّ العامّة والغوغاء لا يرتكن إليهم في مثل هذه الظروف؛ لأنهم ليسوا قوّةً عسكريّةً نظاميّةً مدربةً يمكنها خوض الحروب والقتال فيمواجهة أبطال البشريّة وشجعان الخلق، والعدو يعرف قوّة الإمام (عليه السلام) ومن معه، كما ذكرنا.

وأقصى ما يمكن ضمانه من قبل العدو هو تحييد الناس والغوغاء، وأن

يقبل منهم بالخذلان، وهذا ما تحقّق بالفعل، أو استخدامهم في الحرب النفسية أو المدد اللوجستي.

الضرورة الثالثة: إمكان تحريك القطعات

لما كانت المدينة ومكة حواضر مدنية، وليست معسكرات وكنات نظامية، كان ينبغي أن تتحرك القطعات العسكرية من ثكناتها -- كالكوفة والشام -- لتحصل المواجهة في الطريق بين الحرمين المقدسين، ويلزم هذا وقتاً طويلاً وجهداً عظيماً لا تسعه فترة حركة الإمام (عليه السلام) بين الحرمين.

وربما فسّر ذلك سرعة حركة الإمام (عليه السلام) واستعجاله بين البلدين.

الضرورة الرابعة: احتمال حصول الأنصار

بغض النظر عن صدق هذا الاحتمال وإمكان حصوله وتحققه، إذ أنّ المدينة ومكة وما بينهما من المنازل قد خذلت ريحانة النبي (صلي الله عليه وآله) واستسلمت للقرن الأموي، وبايعت منذ عهد القرن العجوز معاوية، وجددت البيعة فوراً بعد أن تسلق القرن المخمور المجذور المسعور أعواد المنبر خلفاً لدعيه، فالمواقف محسومة، والغيرة والحمية علي آل رسول الله (صلي الله عليه وآله) معدومة..

بيد أنّ المدينة ومكة كانت ترتبط مع النبي (صلي الله عليه وآله) بعهود ومواثيق منذ قبل الإسلام وبعده، كحلف الفضول، وما أخذه النبي (صلي الله عليه وآله) علي الأنصار عند مبايعته من الدفاع عنه وعن أهل بيته، وكانت المنازل في الطريق تضمّ

رجالاً من القبائل دخلوا الإسلام وبايعوا النبي (صلي الله عليه وآله)، فربّما كانت هذه بالإضافة إلى النوازع القبليّة أو التمسك ببعض الذمم أو ما شاكل، قد تكون دافعاً ينشّط البعض للذبّ عن ريحانة النبي (صلي الله عليه وآله) وعياله والدفاع عن عرض رسول الله (صلي الله عليه وآله) ونسائه وأطفاله، سيّما أنّ العدو لم يعمل بعد علي شراء الذمم مقابل شخص سيّد الشهداء (عليه السلام) ولم يشغّل إعلامه. وإن لم ينصروا سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام)، فربّما وقفوا علي الحياد وخذلوا الجانبين، حتّى يستجلوا الأمر وتتضح لهم الصورة.

نقول: هذا كلّه علي نحو الاحتمال كفرضٍ يمكن أن يُتصوّر في المقام، ليس إلّا.

الضرورة الخامسة: الظروف

لا نريد الخوض في بيان الظروف الزمانيّة والمكانيّة وطبيعة التضاريس التي لا تساعد علي الحرب والقتال تحت تلك الظروف والأجواء، ونترك الأمر إلي أهله، إذ يحتاج إلي خبرة واختصاصٍ عسكريّ وجغرافيّ، ونكتفي بالإشارة السريعة، فربّما لا يستسيغ البعض أن يكون هذا مانعاً من الإقدام علي حرب ريحانة النبي (صلي الله عليه وآله) إذا كان العسكر المباشر مدرّباً مستعدّاً.

بيد أنّ مثل هذه الظروف قد تكون معرّقة، سيّما إذا كانت الحرب سجّالاً والمحارب هو سيّد الشهداء (عليه السلام) ومَن معه، حيث كانت الأيام أيّام الحجّ والعمرة، ويلزم أن تكون هذه الجادّة تضيق بالحجّاج والمعتمرين،

وحركة المرور فيها مزدحمة، والمنازل مكتظة، وأسواق الطريق قائمة، والطريق بين المدينة ومكة صعب التضاريس كثير الجبال والوديان والمنحنيات، وسبل الوصول إليه وعرة ومتعرجة، والعسكر يحتاج إلي تنقل وإمداد وانتشار، وربما إقامة!

السبب الثالث: تخطيط العدو للاغتيال

كانت خطة العدو -- كما أفادت المصادر -- تقوم علي أساس اغتيال الإمام (عليه السلام) أو الإمساك به علي حين غرة، بعيداً عن المواجهة العسكرية، وهذا هو المقصود من مطاردته وركوب كل صعبٍ وذلولٍ في الأرض لطلبه، وسيأتي تفصيل ذلك في تنمة البحث، حيث نسمع الإمام سيّد شباب أهل الجنة (عليه السلام) يُخبر أكثر من مرّة أنّ القوم قد عزموا وخططوا وأقدموا علي اغتياله أو القبض عليه. وبذلك يحقق العدو غرضه من دون أيّ إثاراتٍ أو اضطرابٍ لحربٍ نفسيّةٍ وإعلاميّةٍ واسعةٍ بعيدة المدى لا تنقضي مع مرور الأيام وكرّ العصور وتعاقب الدهور، وقد جرّب العدو ذلك مع من تقدّم الإمام (عليه السلام) من أسلافه الطاهرين (عليهم السلام).

السبب الرابع: غموض الموقف

تبيّن لنا من خلال دراسة (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من

المدينة) أنّ الإمام (عليه السلام) لم يصرّح بأيّ تصرّيحٍ في المدينة سوي ما أعلنه من رفض البيعة وإبائه عن المناولة، وأنّ مثله لا يبايع مثل يزيد! واستمهل القوم حتّى يصبح ويصبحون، وما إلي ذلك.

فهو لم يخطب في الناس، ولم يحرض علي أحد، ولا تناول السلطة، ولا دعا الناس إلي القيام، بل ولا الدفاع عنه، ولا أيّ نشاطٍ آخر يفيد موقفاً معلناً للإمام (عليه السلام).

ثم إنّه -- فداه العالمين -- تعجّل الخروج من المدينة، فخرج في غضون يومين أو ثلاثة بعد دعوته وتخييره بين القتل والمناولة..

فخرج ميّماً نحو مكّة الأرض الحرام، وكشف وجهته إلي أخيه محمّد ابن الحنفية وبعض خاصّته -- كما في بعض المتون --، ولم يعلن ذلك علي الملأ، ولم يجمع الناس ليخبرهم، ولا أخبر السلطان بذلك.. ولم يكن يومها ذكرٌ للكوفة ولا لأهلها، ولم تكن ثمّة دعواتٍ قد وصلت للإمام (عليه السلام) -- كما أفاد التاريخ --، سيّما أنّ الفترة التي استغرقتها دعوة الإمام (عليه السلام) إلي الوالي وإبائه وخروجه لم تكن سوي يومين أو ثلاثة، وهي مدّة غير كافية لبلوغ الخبر إلي الكوفة في الحالات العادية، واجتماع أهلها وكتابتهم ودعوتهم وإرسال رسلهم إليه (عليه السلام).

فلم تكن وجهة مكاتبة للإمام (عليه السلام) مقصودة معلنة لبعض الخواصّ سوي مكّة..

أما بالنسبة للعدو، فإن الأمر كان مجهولاً غامضاً عنده تماماً، وقد فوجئ بخروج الإمام (عليه السلام) من دون أيّ سابق علمٍ أو إنذار، ومن دون أيّ معرفةٍ بدوافع الخروج وأسبابه وأهدافه، بل ولا معرفةً بجهته ومنتهاه ومقصده الأخير.

فهو لا يدري ماذا يخبئ له القدر، وماذا خطط له سيّد الشهداء (عليه السلام)، ولا يدري أيّ شيءٍ سوي أنّ الإمام (عليه السلام) خرج من المدينة، فقط! ويبدو أنّ هذا الغموض بقي مخيماً علي رؤية العدو، وبقيت تساوره منه الظنون والمخاوف إلي أن دخل سيّد الشهداء (عليه السلام) مكّة، فسأله الأشدق عن سبب قدومه، فأجابه الإمام (عليه السلام) أنّه جاء مستجيراً بالله وبيته، كما سيأتي عن قريب إن شاء الله (تعالى).

السبب الخامس: زمام المبادرة

لقد بدأ العدو الهجوم والعدوان علي سيّد الشهداء (عليه السلام) واستحضره في غير وقت، ودعاه للبيعة الخاطئة الذليلة، فأبي أيّ الضيم وعالج الموقف بأسرع ممّا كان يظنّه العدو ويحسب له، فأخذ (عليه السلام) زمام المبادرة، وعجل بالخروج من المدينة في موقفٍ جعل العدو في حيرةٍ من أمره، إذ أنّه وجد نفسه فجأةً أمام حالةٍ لم يكن قد خطط لها وأعدّ لها، ممّا أربك عليه الوضع، وفوّت عليه الفرص، وسلبه القدرة علي توظيف الزمان وتحديد المكان وتقدير ما يمكن أن يزنه ممّا سيكون في الحسبان، أو أنّه سيفاجأ

بموقفٍ آخرٍ ينهار به عليه الحساب والبنيان، وجعله يدبّر أمره وفق القرار الذي اتّخذه سيّد الشهداء (عليه السلام) وعمل به، وهو ما لم يكن قد أعدّ له من قبل.

فكان خروج الإمام (عليه السلام) من المدينة سريعاً فورياً دون أن يخبر به السلطان، ولم يكن للوالي فيه أمرٌ محدّدٌ وتكليفٌ معيّنٌ من قبل الفرد الراعي له، وكان عليه أن يتّخذ القرار ويتحمّل مسؤوليته، وهو يعلم أنّه أعجز عن ذلك، وأنّ الموقف أخطر من أن يديره ويدبّره لوحده دون أوامر واضحة وصارمة تصدر إليه من المركز.

فكانت المفاجأة.. خرج الإمام (عليه السلام) من المدينة في غضون ساعات!

السبب السادس: حركة الإمام (عليه السلام) في المنطقة الآمنة

كانت حركة الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) بين المدينة ومكّة في منطقة الحرم الآمن، فبعد أن خرج الإمام (عليه السلام) من المدينة المنورة التي حرّمها النبيّ (صلي الله عليه وآله)، أحرم من ذي الحليفة (مسجد الشجرة)، وهي ميقات أهل المدينة، وهو ميقات لا يبعد عن المدينة إلّا زهاء اثني عشر كيلومتراً، ومعني الإحرام هو الدخول في منطقة الحرم المكيّ، فتكون حينئذٍ حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) داخل الحرم الآمن، وفي الزمن الآمن الشهر الحرام (رجب).

السبب السابع: صعوبة مطاردة ركنين في آن واحد

بعث الوليد إلي عبد الله بن الزبير فدعاه، فأرسل إليه ابن الزبير: أيها الأمير! لا تعجل؛ فإني لك علي ما تحب، أنا صائرٌ إليك إن شاء الله. قال: فأبي الوليد بن عتبة ذلك، وجعل يرسل إليه رسولاً بعد رسولٍ حتّي أكثر عليه من الرسل (1).

فقال: لا تعجلوني، فإني آتيكم، أمهلوني. فألحوا عليهما [الحسين (عليه السلام) وابن الزبير] عشيتهما تلك كلّها وأول ليلهما، وكانوا علي حسينٍ أشدّ إبقاءً، وبعث الوليد إلي ابن الزبير موالٍ له فشتموه وصاحوا به: يا ابن الكاهليّة، والله لتأتين الأمير أو ليقتلنك.

فلبث بذلك نهاره كلّه وأول ليله، يقول: الآن أجيء، فإذا استحثّوه قال: والله لقد استربت بكثرة الإرسال وتتابع هذه الرجال، فلا تعجلوني حتّي أبعث إلي الأمير من يأتيني برأيه وأمره.

فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير، فقال: رحمك الله، كفّ عن عبد الله، فإنك قد أفرعته وذعرتَه بكثرة رسلك، وهو آتيك غداً إن شاء الله، فمر رسلك فلينصرفوا عنّا.

ص: 175

1- الفتوح لابن أعمش: 20 / 5.

فبعث إليهم فانصرفوا، وخرج ابن الزبير من تحت الليل، فأخذ طريق الفرع هو وأخوه جعفر، ليس معهما ثالث، وتجنّب الطريق الأعظم مخافة الطلب، وتوجّه نحو مكة، فلمّا أصبح، بعث إليه الوليد فوجده قد خرج، فقال مروان: والله إن أخطأ مكة فسرح في أثره الرجال.

فبعث ركباً من موالي بني أمية في ثمانين ركباً (1)، فطلبوه فلم يقدروا عليه (2)، فرجعوا، فتشاغلوا عن حسين بطلب عبد الله (3) يومهم ذلك حتّى أمسوا (4).

ص: 176

-
- 1- أنظر: الإرشاد للمفيد: 2 / 31، روضة الواعظين للفتال: 147، بحار الأنوار: 44 / 326.
 - 2- أنظر: إعلام الوري للطبرسي: 222، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 185، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 324، الجوهرة للبري: 41، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: 135، نهاية الأرب للنويري: 20 / 380، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: 183.
 - 3- أنظر: جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 314، الكامل لابن الأثير: 3 / 264، نفس المهموم للقمي: 70، نهاية الأرب للنويري: 20 / 379، الأخبار الطوال للدينوري: 230.
 - 4- تاريخ الطبري: 5 / 340.

كان التهديد بالقتل واستعداد الجلاوزة لتنفيذه جاهزاً لكلّ من تقبّض عن البيعة، وكان الأمر أشدّ علي سيّد الشهداء (عليه السلام)، وقد لاحقوا ابن الزبير، فكان من الطبيعيّ جدّاً ملاحقة سيّد الشهداء (عليه السلام) أيضاً، فإذا كانوا قد لاحقوا ابن الزبير وهم يعرفون جنبه وحرصه علي الحياة بثمانين ركباً أو أقلّ، وهما رجلان: عبد الله وأخوه جعفر، فبأيّ عددٍ سيلاحقون به سيّد الشهداء (عليه السلام) وهو في ركبٍ يضمّ ليوث الطالبين وأبطال الهاشميين وفرسان قريش وشجعان البشريّة، ومعهم حرمهم ومخدراتهم وأطفالهم؟ فكان من العسير علي الحكومة المحليّة إعداد جيشٍ يمكنه معالجة الموقف بمتابعة ابن الزبير والركب الحسينيّ في آنٍ واحد.

هذا مع الأخذ بنظر الاعتبار الخوف من ارتجاج الوضع في المدينة، لا تحسّياً من سؤرة الناس، وإنّما مراقبةً لحالة التغيير الحاصل في السلطة، وتبديل الولاية والمَلِك نفسه، فمهما كان الحكّام مطمئنّين إلي الناس وثباتهم علي بيعتهم للقرد الأمويّ، يبقى السلطان في خوفٍ وترقّبٍ وتوجّسٍ وتحسّبٍ لكلّ طارئٍ، لأنّه جبان ويحسب كلّ صيحةٍ عليه، وعدم توفّر الأعداد الكافية من العسكر لمسح الطريق ونظمه بالخيال والرجال كما كان ممكناً ذلك في الكوفة مثلاً باعتبارها ثكنة عسكريّة.

السبب الثامن: سرعة حركة الركب الحسينيّ

إشارة

سيأتي بعد قليلٍ ذكر المراحل والمنازل التي يقطعها المسافر من المدينة

إلي مكة علي الجادة، وهي عشرة مراحل، كلّ مرحلة تمرّ بعدّة منازل، والمرحلة يطويها المسافر العادي في يومٍ ركباً كان أو ماشياً، فيلزم أن تُقطع المسافة في عشرة أيّام وفق المراحل المرسومة، وهو الوقت المعهود للمُجدّد، بيد أن الناس كانوا يقطعونها في مدّة تزيد علي ذلك، سيّما إذا كان معهم في الركب نساءً وأطفال.

روي عبد الله بن جعفر الحِميريّ في (قرب الإسناد)، عن عبد الله بن الحسن، عن جدّه عليّ بن جعفر قال: خرجنا مع أخي موسى (عليه السلام) في أربع عمُرٍ يمشي فيها إلي مكة بعياله وأهله، واحدة منهنّ مشي فيها ستّة وعشرين يوماً، وأخري خمسةً وعشرين يوماً، وأخري أربعةً وعشرين يوماً، وأخري أحد وعشرين يوماً (1). فهذا الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) يقطع الطريق في الأربع مرّات مع عياله وأهله، في أكثر من عشرين يوماً لكلّ رحلة.

ولو أردنا أن نُغمض النظر عن التباطؤ في المسير ونلتزم بالمدّة المعهودة، وهي عشرة أيّام، فإنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) قطع المسافة في نصف المدّة أو

ص: 178

1- وسائل الشيعة للعاملي: 14 / 317 الباب 10 ح 1، قرب الإسناد للحِميريّ: 299 ح 1175، بحار الأنوار: 48 / 100 ح 2.

أقل من ذلك بقليل، فقد خرج في جوف ليلة اليوم الثامن والعشرين من رجب، ودخل مكة في الثالث من شعبان، فلو فرضنا شهر رجب تاماً تلك السنة، تكون مدة السفر قد استغرقت خمسة أيام أو ستة، وهي نصف المدة المقررة في المسير بين الحرمين.

وهذا يعني أن الإمام (عليه السلام) كان يطوي في اليوم مرحلتين علي الأقل، ويمشي ليلاً ونهاراً، يحث المطي ويغذ السير، ولا ندري كيف كان سيرهم، فإن التاريخ أغفل الحديث عن تفصيل ذلك، فهل كان يقطع مرحلتين في يوم وليلة، أو يسرع المشي بين المراحل والمنازل، أو يكمن ليلاً ويمشي نهاراً، أو بالعكس يكمن نهاراً ويمشي ليلاً كما هو المستحب شرعاً، وهل يستريح الراكب بين المرحلة والأخرى، أو لا يستريح إلا بعد مرحلتين أو أكثر؟ لا ندري!

والذي نعلمه من خلال تحديد فترة خروج الإمام (عليه السلام) من المدينة ودخوله مكة أنه طوي المسافة علي عجل. ويمكن أن نرتكن إلي هذه المعلومة فنستفيد عدة إلماعات:

الإلماعة الأولى: التخفي في الخروج

يبدو أن خروج الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) في جوف الليل، واغتنام فرصة خلوة السكك والأزقة وهدأة الناس ونوم العيون، كان توظيفاً للوقت واستثماراً لغفلة السلطان والناس عنه، إذ كان خروجه مباغتة غير محسوبة

للعدو، وقد انفضَّ الاجتماع علي أن يُصبح ويصبحون وينظر وينظرون، فما كان العدو بعد قد تجهَّز وأعدَّ واستعدَّ لمحاصرة الإمام (عليه السلام) وهو قد تشاغل بابن الزبير.

فكان خروجه تعميةً وابتعاداً عن عيون الظالم والسلطان وجواسيسه ومباغتته له، ويفيد مدي استعجال الإمام (عليه السلام) في الخروج من المدينة، وإن كان العدو قد سخر العيون علي دار الإمام (عليه السلام) فإنَّ سرعة الحركة والمفاجأة سلبت من العدو زمام المبادرة.

الإلماعة الثانية: استعجال السير

كان الإمام (عليه السلام) مستعجلاً في مسيره وتوجَّهه نحو مكة، ومُسرِعاً سرعةً مذهلةً وغير متوقَّعةٍ ولا محسوبة، ولا نحسب أن من الممكن أن تطوي المسافة بأقلَّ من تلك المدة التي طواها الإمام (عليه السلام)، سيِّما إذا لاحظنا أنَّ الركب يضمُّ الكثير من النساء والأطفال. فليفكر متفكراً! وليتأمل متأمل! الحالة التي فارق بها الركب مدينة النبي (صلي الله عليه وآله)، فسيد الشهداء (عليه السلام) ومن معه كانت لهم في المدينة منازل ودور وأماكن والتزامات اجتماعية وحياة شخصية ومستلزمات حياتية، كيف جمعوها وحزموا أمرهم في غضون يومٍ أو يومين، وفي أقصى التقادير ثلاثة أيام؟ إذ لم يكن في الظاهر المنظور نية خروجٍ مبيَّنة، وإنما كان قرار الخروج قد تلا استحضار الإمام (عليه السلام) وتخيره بين السلة والذلة.

كيف تحمّل النساء والأطفال هذا السير العنيف؟! بيد أنّ ما يهوّن الخطب أنّهم كانوا مع حمايتهم ورجالهم، وفي حماية راعي الكون والرحمة الواسعة.

لقد تركوا كلّ شيءٍ وخلّفوا الدنيا وراء ظهورهم.. لكم الله يا أهل بيت النبوة!

الإلماعة الثالثة: الوقت وإمكان اللقاء بالناس في المنازل

إنّ الإمام (عليه السلام) لم يوفّر وقتاً في الطريق للمكث في المنازل، وإنّما أسرع في الحركة واشتدّ الركب في المسير، رغم أنّ بعضها كان أهلاً بالسكّان، فهو لم يخطّط للقاء الناس ولا المستطرقين، إن كانوا حجّاجاً ومعتمرين، أو سالكين بين المنازل، أو مسافرين عاديّين، أو تجّاراً، أو سكّان المنازل نفسها، ولو كان ثمة تخطيطٌ لذلك لبان، والله العالم والإمام (عليه السلام).

الإلماعة الرابعة: عدم تسجيل أيّ نشاطٍ في الطريق

لم يذكر لنا التاريخ أيّ نشاطٍ للإمام (عليه السلام) ورفقائه في الطريق، ولم تُسمّع له خطبةٌ أو كلمةٌ أو لقاءٌ سوي ما ذكر من لقاء عبد الله بن مطيع، وهو ماضٍ في طريقه لم ينزل عنده حتّى للاستراحة، وإنّما توقّف عنده بمقدار ما أظهر له من آيات الله، ودار بينهما حوارٌ قد لا يستغرق بضع دقائق.

فهو لم يستنهض أحداً، ولم يدعُ أحداً، ولم يحرض علي أحد، ولم يكن له -- علي ما يبدو -- في الطريق غير همّة الإسراع وبلوغ مكّة في أقصر وقت،

ولا نحسب أنّ التاريخ قد أخفي علينا شيئاً قد حدث مغرضاً كان أو غير مغرض، إذ أنّ سرعة الحركة وقطع المسافة بنصف المدة المعهودة للمجدّ يشهد لذلك.

الإلماعة الخامسة: أزام السلطة في الطريق

كانت بعض منازل الطريق مدناً أهلةً أو قريّةً كبيرةً وصغيرةً، وكانت بعض المنازل قريبةً من المدن ومياه القبائل، ويلزم أن يكون للوالي والسلطان ثمة شرطةً أو حراساً أو بعض الجند لحفظ الأمن وفرض السلطة، أو فلنقل: بعض الأتباع والمواليين من شيوخ القبائل أو الناس والأفراد، ومع ذلك لم نسمع بأيّ احتكاكٍ أو تعرّضٍ أو الدخول بأيّ مساجلةٍ ولو كلاميّة، بل لم نسمع أنّ أحداً سأل الإمام (عليه السلام) عن سبب خروجه، أو سبب استعجاله في المسير، أو حتّى مسألةً شرعيّةً أو حديثاً نبويّاً! سوي ما روي عن عبد الله بن مطيع.

ص: 182

لقاء أفواج الملائكة والجن مع سيّد الشهداء وجوابه (عليه السلام)

إشارة

في (اللهوف) و(تسليّة المجالس) و(البحار) وغيرها -- واللفظ للأخير -- :

قال شيخنا المفيد بإسناده إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«لَمَّا سار أبو عبد الله من المدينة، لقيه أفواجٌ من الملائكة المسوّمة، في أيديهم الحِرابِ عليّ نُجَبٍ من نُجَبِ الجنّة، فسَلّموا عليه وقالوا: يا حجة الله عليّ خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه، إنّ الله (سبحانه) أمدّ جدّك بنا في مواطن كثيرة، وإنّ الله أمدّك بنا.

فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي أُستشهد فيها، وهي كربلاء، فإذا وردتها فأُتوني.

فقالوا: يا حجة الله، مُرنا نسمع ونطع، فهل تخشي من عدوّ يلقاك فنكون معك؟

فقال: لا سبيل لهم عليّ ولا يلقوني بكريهة، أو أصلا لي بقعتي.

وأثنى أفواجُ مسلمي الجنّ فقالوا: يا سيّدنا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ لك وأنت بمكانك

لكفيناك ذلك.

فجزّاهم الحسين خيراً، وقال لهم: أو ما قرأتم كتاب الله المنزل علي جدّي رسول الله: (أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ) (1)، وقال (سبحانه): (لَا يَبْرَزُ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) (2)، وإذا أقمتُ بمكاني فبماذا يبتلي هذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء وقد اختارها الله يوم دحا الأرض وجعلها معقلاً لشيعتنا، ويكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة؟ ولكن تحضرون يوم السبت، وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أُقْتِلَ، ولا يبقى بعدي مطلوبٌ من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي، ويسار برأسي إلي يزيد (لعنه الله).

فقال الجنّ: نحن -- والله -- يا حبيب الله وابنحبيبه لولا- أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك.

فقال (صلوات الله عليه) لهم: نحن -- والله -- أقدر عليهم منكم، ولكن ليهلك من هلك عن بينةٍ ويحيي من حي عن بينةٍ» (3).

ص: 184

1- سورة النساء: 78.

2- سورة آل عمران: 154.

3- اللهوف للسيد ابن طاووس: 66، بحار الأنوار: 44 / 330، تسليمة المجالس لابن أبي طالب: 2 / 231، العوالم للبحراني: 17 / 179، نفس المهموم للقمي: 75.

في هذا النصّ أبعادٌ وإخباراتٌ غيبيةٌ لا نريد التفصيل فيها، لأننا بنينا البحث علي النصّ والإفادات التاريخية فقط.

ويمكن إفادة عدّة إشاراتٍ منه:

الإشارة الأولى: تخوّف الملائكة من عدوّ يلقاه

نسمع كلام الملائكة مع سيّد الشهداء (عليه السلام) يتركز علي إعلان الطاعة المطلقة للإمام (عليه السلام)، فيقولون: «يا حُجّة الله، مُرنا نسمع ونطع»، ثمّ يسألون إن كان الإمام (عليه السلام) يخشي عدوّاً يلقاه ليكونوا معه: «فهل تخشي من عدوّ يلقاك فنكون معك؟»، فهم يخشون علي الإمام (عليه السلام) من عدوّ يهدّده ويلقاه ويهاجمه، ولا يتحدّثون عن إقدام سيّد الشهداء (عليه السلام) علي العدوّ ومهاجمته، ويشهد لذلك جواب سيّد الشهداء (عليه السلام) لهم: «فقال: لا سبيل لهم عليّ ولا يلقوني بكريهةٍ أو أصل إلي بقعتي»، حيث أكّد لهم أنّ العدوّ لا يلقاه بكريهةٍ ولا يصل إليه ولا سبيل له عليه في طريقه من المدينة إلي مكّة حتّي يصل إلي بقعته، ومفاد جواب الإمام (عليه السلام) أن إذا وصل إلي بقعته سيلقاه العدوّ بكريهة.

ص: 185

الإشارة الثانية: أفواج الجنّ تُعدُّ بقتل كلّ عدوّ

كذا كان موقف أفواج مسلمي الجنّ، حيث أعلنوا النصر والطاعة المطلقة للإمام (عليه السلام) .. «فقالوا: يا سيّدنا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك وما تشاء»، ثم إنهم علموا أنّ ثمة عدوّ يهدّد حياة الإمام (عليه السلام) وهو في المدينة، فوعده أن يقتلوا كلّ عدوّ له وهو في مكانه من دون تجشّم عناء الخروج من المدينة والتجوال في الأرض: «فلو أمرتّا بقتل كلّ عدوّ لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك».

فهم يريدون دفع العدو والدفاع عن الإمام (عليه السلام)، وهذه هي النصر التي أعدّها مسلمو الجنّ لإمامهم.

الإشارة الثالثة: استشهاد المطلوبين

هذه الفقرة هي موضع الشاهد الأصلي والمفاد الأساسي المؤثّر في تشكيل الفهم ورسم التصوّر السليم، حيث يؤكّد الإمام (عليه السلام) بكلمة واضحة وعبارة صريحة أنّه وأهله ونسبه وإخوته وأهل بيته مطلوبون.. «وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أُقتل، ولا يبقى بعدي مطلوبٌ من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي».

فهم وفق هذه العبارة الصريحة (مطلوبون) للعدوّ الغادر المتوحّش الكاسر.. «ولا يبقى بعدي مطلوب..».

الإشارة الرابعة: قتل العدو قبل أن يصل إلي الحسين (عليه السلام)

عاد مسلمو الجنّ للتأكيد علي أنّ العدو يريد أن يصل إلي الإمام (عليه السلام) ويقتل الإمام (عليه السلام) ، وأنّهم علي استعداد تامّ للقضاء علي العدو قبل أن يصل إلي الإمام (عليه السلام) فيقتله، لولا أنّهم مسلّمون مطيعون.

«فقال الجنّ: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه لولا أنّ أمرك طاعةً وأنّه لا يجوز لنا مخالفتك، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك».

الإشارة الخامسة: إقامة الحجّة

إختصر الإمام (عليه السلام) الكلام لأفواج الجنّ في عبارة، وهي أنّه إن أقام في مكانه وأتي الجنّ علي عدوّه فبماذا يبتلي هذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟ ففي خروجه من المدينة إلي مكّة، ومن مكّة إلي العراق، وما يتخلّلها من فترة زمنيّة طويلة (دامت شهوراً) وقتّ كافٍ لإقامة الحجّة علي العالمين، ولو كان الأمر ينحصر في إهلاك العدو، ففي سيف سبط النبيّ (صلي الله عليه وآله) ونجل الوصيّ (عليه السلام) كفاية، وهو أشجع الخلق بعد من استثناهم الله، فما قدرة الجنّ وقوتهم مقابل قدرته وقوته، وهو الإمام (عليه السلام) الذي جعله الله مظهراً لقدرته وقوته؟

«فقال (صلوات الله عليه) لهم: نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة»..

النصوص التاريخية التي تروي لقاء عبد الله بن مطيع مع سيّد الشهداء (عليه السلام) فيها اضطرابٌ وتداخلٌ واضح، وفيها ما يفيد أنّ اللقاء حصل في منازل الطريق بين المدينة ومكّة، ومنها ما يفيد أنّه حصل بين مكّة والكوفة، ومنها ما يحتمل تكرّر اللقاء في الموضعين. وكيف كان، فإنّنا نأخذ من النصّ الجامع المشترك بالقدر الذي نحتاجه، بغضّ النظر عن موضع حصول اللقاء أو تفاصيله التي لا تعني بحثنا، ونتناول الموضوع من خلال عدّة متابعات:

المتابعة الأولى: مَنْ هو عبد الله بن مطيع؟

يبدو أنّ عبد الله بن مطيع العدويّ هذا، من أبناء أعمام عمر بن الخطّاب في ظاهر الأنساب، وهو الذي نُسب إليّ جدّته ابن العجماء، وذلك اسمها، وهي خزاعيّة، وكان هواه مع ابن الزبير وميله إليه (1).

ص: 189

وكان الوليد قد حبسه أيام وصول خبر هلاك معاوية إلى المدينة فيمن حُبس مَمَّن يهوي ابن الزبير، فأطلقتَه عشيرتُه (1)، وقد مرّت علينا قصّته.

وقد انضمّ إلي ابن الزبير، وصار عاملاً له علي الكوفة، فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم (2)، وقاتلهم في مواجهته لحركة المختار، واستعان عليهم بقتلة الإمام الحسين (عليه السلام) أنفسهم، أمثال شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وغيرهم (3).

وفي أول خطبة له في الكوفة أعلن عن عزمه علي تنفيذ أمر ابن الزبير في السير بأهل الكوفة بسيرة عمر بن الخطاب وسيرة عثمان بن عفان (4) (5).

المتابعة الثانية: قصد مكة بالذات أولاً

إشارة

عرفنا فيما سبق أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) لم يصرّح هو ولا أيّ أحدٍ ممّن صحبه عن وجهتهم الأخيرة عند خروجهم من المدينة، سوي ما ذكره سيّد

ص: 190

- 1- أنظر: جُمَل من أنساب الأشراف للبلاذري: 316 / 5، الفتوح لابن أعثم: 21 / 5.
- 2- تاريخ يعقوبي: 258 / 2.
- 3- أنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير: 216 / 4.
- 4- أنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير: 212 / 4.
- 5- أنظر: مع الركب الحسيني: 421 / 1.

الشهداء (عليه السلام) من وجهته الأولى، إذ أنه صرّح بعزمه علي التوجّه إلي مكّة المكرّمة فحسب، ولم يكن أيّ ذكرٍ للكوفة ولا غيرها في المدينة، ولمنسمع بأيّ تصريحٍ يفيد -- ولو إشارةً أو تلويحاً -- أنه عازمٌ علي (الخروج بالمعني الاصطلاحي)، والقيام بقصد محاربة القرد المخمور المجذور، وإنزاله من فوق أعواد المنبر، وتعليقه علي أعواد الشجرة الملعونة في النار..

وقد استمرّ هذا العزم علي قصد مكّة أولاً وبالذات من دون الإشارة إلي تبييت أيّ نيّةٍ أو عقد العزم علي القيام بوثبةٍ مباغتةٍ تنقضّ علي الحكم والحاكم والنظام وأجهزته في أيّ مكان، ومكّة حرم الله الآمن الذي جعله الله سواءً للعائف فيه والباد، وقد أبي سيّد الشهداء (عليه السلام) أن تُباح حرمة البيت الحرام بأيّ شكلٍ من الأشكال..

ويشهد لذلك ما دار بين سيّد الشهداء (عليه السلام) وعبد الله بن مطيع في اللقاء بين المدينة ومكّة، ويمكن أن نتأمّل ذلك من خلال عدّة تأملات:

التأمّل الأوّل: تصريح سيّد الشهداء (عليه السلام)

صرّح الإمام (عليه السلام) ثمّةً أنّه يريد مكّة (1)، وفي بعض الألفاظ أنّه الآن يأتي مكّة (2)، أمّا بعدها فيستخير الله (3)، ممّا يفيد أنّ مكّة هي الخيار

ص: 191

1- الطبقات لابن سعد: 5 / 107، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 139.

2- الأخبار الطوال للدينوري: 230.

3- جُمِل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 368، تاريخ الطبري: 5 / 351، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 327، الفتوح لابن أعثم: 5 / 26، تجارب الأمم لمسكويه: 20 / 40، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 189، الكامل لابن الأثير: 3 / 266، نهاية الإرب للنويري: 20 / 385، تاريخ ابن خلدون: 3 / 21، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 183.

الفعلي، ولا- يمنع أن يكون ثمة خيارٌ آخرٌ بعدها فيما لو نبت به ولم تحفظه وكانت أمناً لكلّ شيءٍ إلا لعترة النبيّ (صلي الله عليه وآله) الأطهار.

التأمل الثاني: خوف ابن مطيع علي سيّد الشهداء (عليه السلام) من القتل

أفادت جملةٌ من المصادر أنّ ابن مطيع قد أشار -- بزعمه -- علي سيّد الشهداء (عليه السلام) أن يلزم الحرم، وأن يجتنب التفكير في الكوفة، فإنّها بلد شؤمٍ وغدر، وقد قتلوا أباه وطعنوا أخاه بطعنةٍ كادت تأتي علي نفسه (1)، والإمام (عليه السلام) لم يصرّح له ولم يشر له أنّه عازم علي المسير إلي الكوفة يومها، بيد أنّ ابن مطيع لمّا رأى الإمام (عليه السلام) خارجاً بأهل بيته وعياله وثقله حمايةً لهم من القتل، جعل الكوفة موضعاً محتملاً يمكن للإمام (عليه السلام) أن يقصده بناءً علي معرفته بأهل الكوفة، واحتماله أنّهم سيّدعونه ليدفعوا عنه،

ص: 192

1- أنظر: الأخبار الطوال للدينوري: 230، جمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 368، تاريخ الطبري: 5 / 351، المنتظم لابن الجوزي: 5 / 327، الفتوح لابن أعمش: 5 / 26، تجارب الأمم لمسكويه: 20 / 40، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 189، الكامل لابن الأثير: 3 / 266، نهاية الإرب للنويري: 20 / 385، تاريخ ابن خلدون: 3 / 21، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: 183.

فأخبر الإمام (عليه السلام) أنه قد احتتمل أن تكون الكوفة وجهةً له، لاحتمال أن يدعوهُ مَنْ بها ممّن يزعم النصره والذفاح عنه وعن أهل بيته، وأخبره أنّهم قوم غدرٍ وبلدهم بلد شؤم، قد قُتل فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وخذلوا الإمام الحسن الأمين (عليه السلام)، فستكون عاقبة أمره تماماً كآبيه وأخيه (عليهما السلام)، وبالتالي فإنّه سوف لا يفلت من القتل، ولا يكون نصيبه منهم سوي الغدر، فإن كان قد خرج من المدينة لئلا يُقتل، فإنّ احتمال القتل في الكوفة أقوى بدرجات، وعليه شواهد وعلامات بيّنة واضحات، لذا أشار عليه أن يجتنب الكوفة.

وربّما كانت الإشارة بتجنّب الكوفة بعد الخروج من مكّة، علي فرض حصول اللقاء في الطريق بين مكّة والكوفة.

وقد أكّد ابن مطيع علي الإمام (عليه السلام) أن يلزم الحرم.

فقال له: فالزم الحرم، فأنّت سيّد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت ليهلكنّ أهل بيتك بهلاكك..

ومن البديهي أنّ ما ذكره ابن مطيع ليس خافياً علي سيّد الشهداء (عليه السلام)، إذ أنّه عاش محنة أبيه وأخيه (عليهما السلام) وغدر الكوفيين بنفسه المقدّسة.

التأمل الثالث: دعوات المكّين!

إشارة

روي ابن سعدٍ في (الطبقات) وابن عساكر وابن العديم:

ص: 193

إنّه لمّا خرج الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة يريد مكّة ومّرّ بابن مطيع وهو يحفر بئر، فقال له: أين؟ فذاك أبي وأمي! قال: «أردتُ مكّة»، وذكر له أنّه كتب إليه شيعته بها... (1).

وهذا النصّ المرويّ مسنداً في هذه المصادر الثلاثة، يمكن أن نعالجه بإحدى المعالجات التالية:

المعالجة الأولى: احتمال السقط

لقد ورد النصّ في (الطبقات)، وفيه بعد قوله: «أردتُ مكّة» نقاط، إشارةً إلي سقطٍ في النسخة كما أشار المحقّق إلي ذلك، بيد أنّ هذا السقط لم يكن في (تاريخ دمشق) ولا في (بغية الطلب)، ولم يكن ما يؤشّر إليه، وإنّما جاءت العبارة بنسق: (أردتُ مكّة. قال: وذكر أنّه كتب إليه شيعته بها)، وهذا يبعد احتمال وجود السقط في نسخة ابن سعد، ويرجّح أن يكون المحقّق قد رأى شيئاً من الاضطراب في المتن، وساعده علي ذلك شيءٌ من الخدش أو ما شاكل ممّا دعاه ليحتمل هذا الاحتمال ويشير إليه بالنقاط، ونحن لم نتوفّر علي النسخة الخطيّة للطبقات كي نتأكّد من ذلك مباشرة، بيد أنّ ورود النصّ في الكتابين المذكورين يبعد نسبياً احتمال السقط، والله العالم.

ص: 194

1- الطبقات الكبرى لابن سعد: 5 / 145، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 182، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2592.

المعالجة الثانية: الاضطراب في المتن

يُحتمل أن يكون ثمة اضطراب في المتن أو خللٌ جرّ إلي جعل هذه العبارة في هذا الموضع، سواءً عن طريق المؤلف أو بأيدي النساخ، كأن يكون قد اشتبه وظنّ أنّ ثمة دعوات لسيد الشهداء (عليه السلام) من أهل مكة، والحقيقة أنّ الدعوات كانت من أهل الكوفة، أو تصوير أيّ صورةٍ تفترض الاضطراب سوي السقط مثلاً.

بيد أنّ هذه المعالجة أيضاً لا تبدو ناهضة؛ باعتبار أنّ رسائل الكوفيين ودعواتهم لم تكن قد وصلت بعدُ حسب مجريات الأحداث المسجّلة تلك الأيام بالذات، ولاستبعاد أن يقع هذا الاضطراب عند المؤلفين الثلاثة علي نفس النسق، إلا أن يقال: إنّ ابن عساكر وابن العديم يصرّحان بنقلهما عن ابن سعد، وقد روي ما روي لهما من دون تدخّلٍ ولا تصرّف، فيكون الاضطراب حاصلًا عند ابن سعد أو من روي عنه فقط.

المعالجة الثالثة: قبول الخبر

ربّما يكون من الغريب وغير المألوف أن يفترض الباحث مثل هذا الفرض، بيد أنّ هذه الجملة المعترضة الواردة عند ابن سعد التي رواها عنه ابن عساكر وابن العديم قد تجعل لهذا الافتراض مجالاً محتملاً، وإن بقي بمستوي الفرض، ويدعو الباحث والمحقّق لأخذه بنظر الاعتبار ومحاولة البحث له أو عليه من شواهد ومؤكّدات أو مبعّدات..

فبالرغم من عداوة أهل مكة علي العموم بما فيها من قبائل لأمر المؤمنين وذريته (عليهم السلام) الناتجة عن عداوتهم لرسالة النبي (صلي الله عليه وآله) والمدافع الأول عنها، وللحسد وضغائن الثأر والانتقام الكامنة في أعماقهم والمعلنة بعد أن «قد وتر صناديد العرب، وقتل أبطالهم، وناوش ذؤبانهم، فأودع قلوبهم أحقاداً بدريةً وخيريةً وحينيةً وغيرهن، فأضبت علي عداوته، وأكبت علي مبارزته، حتى قتل الناكثين والقاسطين والمارقين»..

بيد أن هذا لا يمنع أن يكون لسيد الشهداء (عليه السلام) بعض الشيعة والأنصار، سواء كان بالمعني العام، أي: الشيعة بالمعني اللغوي، أو بالمعني الخاص، أي: الشيعة بالمعني الاعتقادي من الأتباع الذين يعتقدون إمامته وفرض طاعته ويقرون له ببيعة الغدير، تماماً كما هو الحال في الكوفة يوم ذاك، إذ كانت الأغلبية الغالبة هم الشيعة بالمعني العام، حيث كان أكثر من كاتبه من أتباع العجل والسامري والمنافقين والانتهازيين، من قبيل شيبث وحجار وعزرة بن قيس وغيرهم، وكان الشيعة بالمعني الخاص أقلية قليلة جداً نسبةً إلي المجتمع الكوفي، وإن كانوا أكثريةً بالنسبة إلي تجمعاتهم في البلدان الأخرى.

فربما بلغ خبر تهديد حياة سيد الشهداء (عليه السلام) بالخطر مكة، فتناول بعض أهلها تحت أية طائلةٍ أو لأي دافعٍ كان من النخوة والحمية وغيرها، فدعوه ليخرج إليهم، فيوفرون له المكان ويقومون علي خدمته في بلدهم

الآمن الذي لا يحتاج فيه من دخله إلى من يدافع عنه، لأنه في البلد الحرام.

والمسافة بين مكة والمدينة لم تكن بعيدةً كالمسافة بين مكة والكوفة، فكان من الممكن أن يبلغ خبر سيّد الشهداء (عليه السلام) وما جرى عليه في مكة خلال تلك الفترة زهاء أسبوعين أو أكثر بقليل (من 15 إلى 28 رجب).

بل لا يبعد أن يكون في مكة بعض الشيعة بالمعنى الخاص، وقد بلغهم -- من قبل أو من بعد -- امتناع الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) وتعرّضه وأهل بيته للخطر في المدينة، فكتبوا إليه يعرضون عليه النصرة والدفاع عنه في البلد الآمن الحرام.

وكيف كان، فإنّ هذا الفرض يحتاج إلى تتبّع تاريخيٍّ لتأكيد إمكانه، فإن حصلت الشواهد والقرائن فيها، وإلا ففي المعالجات السابقة جواب، ولا ننسى أنّ مكة بمن فيها من أهلٍ ومجاورين ومعتمرين وحجاج خذلوا سيّد الشهداء (عليه السلام) حتّى اضطرّ للخروج منها.

التأمل الرابع: الاستنهاض والاستنصار

تماماً كما ذكرنا في (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة) تحت عنوان (النكتة الخاتمة)، فإننا لم نسمع في التاريخ تصريحاً ولا تلويحاً، ولم نقرأ فيه ما يفيد أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) قد استنهض أحداً علي القوم، أو خطب في الطريق -- سواءً في المنازل أو في امتداد المسير -- خطبة، أو أقام في

موضع، أو كَلَّم أحداً من السالكين في الطريق الأعظم والجدّة الرئيسيّة التي سلكها من المدينة إلى مكّة، وهو طريق لا يخلو من المارّة، ولا تخلو منازلهم من النازلين أو المقيمين..

لم يكَلِّم عبد الله بن مطيع أكثر من الإعلان عن خروجه من المدينة وتوجّهه نحو مكّة المكرّمة، ولم يُقِم الحجّة عليه حتّى بالاستنصار للدفاع عنه كابن بنت رسول الله (صلي الله عليه وآله)، فضلاً عن الكشف له عن عزمه علي (الخروج بالمعني المصطلح) ونيّته لمقارعة الأمويّين ومقاتلتهم كي يطردهم عن المنبر، ويسوقهم إلى غابة القرد، ويعلّقهم علي أغصان الشجرة الملعونة.

التأمل الخامس: دعوة الشيعة من كلّ أرض

إقترح ابن مطيع -- وفق بعض المتون -- علي سيّد الشهداء (عليه السلام) أن يلزم الحرم، وزعم أنّ أهل الحجاز لا يعدلون به أحداً، ثم يدعو إليه شيعته من كلّ أرض، وافترض أنّهم سيأتونه جميعاً (1).

وفي لفظ ابن مسكويه: ويتداعي الناس إليك من كلّ جانب (2).

كما أكّد للإمام (عليه السلام) أنّه إن فارق الحرم فإنّه سيقتل، فقال: لا تفارق

ص: 198

1- أنظر: الأخبار الطوال للدينوري: 230، تاريخ الطبري: 5 / 351.

2- تجارب الأمم لمسكويه: 2 / 40.

الحرم، فذاك عمي وخالي، فوالله لئن هلكت لُنُسترقَّ بعد (1).

وهذا الاقتراح بكلّ ألفاظه وتفصيله لا يبعد عن اقتراح المولي محمد ابن الحنفية، وقد أتينا علي مناقشته مفصلاً عند دراسة (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة)، فلا نعيد.

ونشير هنا للتأكيد إلي جواب الإمام (عليه السلام)، إذ أنّه داراه واستمع منه، ثمّ لم يؤيّد كلامه ولم ينفه، وإنّما أجابه -- حسب نصّ الدينوري -- : «يقضي الله ما أحبّ» (2).

ولا يفوتنا أنّ اقتراح ابن مطيع وغيره ليس بالضرورة أن يكون صائباً مبتنياً علي دعوة مدعومة موثوقة، فإنّه بني اقتراحه علي أساس أنّ أهل الحجاز لا يعدلون أحداً بالإمام (عليه السلام)، وأنّ الناس سيأتونه من كلّ مكان، وكلا الدعويين باطلة، إذ عدل أهل الحجاز أولاد النبيين بأولاد البغايا فخذلوا الإمام (عليه السلام)، وبقي الإمام (عليه السلام) أكثر من أربعة أشهر في مكّة ولم يأت أحد!

المتابعة الثالثة: موقف ابن مطيع

إكتفي ابن مطيع بتقديم النصح -- حسب زعمه -- لإمام الثقلين وسيّد الكونين في دهره، ثم تبرك به وتوسّل إليه أن يدعو له بالبركة لماء بئره التي

ص: 199

1- تاريخ الطبري: 351 / 5.

2- الأخبار الطوال للدينوري: 230.

قد رشحت، فأجابه الإمام (عليه السلام) إلي ذلك.

فقال (عليه السلام): «هات من مائها»، فأتي من مائها في الدلو، فشرب منه ثمّ مضمض، ثم ردّه في البئر، فأعذب وأمهي (1).

المتابعة الرابعة: مؤدي اللقاء

يبدو واضحاً من كلام ابن مطيع أنّه قد أبرز مشاعر الخوف والقلق علي حياة سيّد الشهداء (عليه السلام)، وأنّه أدرك أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) مُعرّضٌ للقتل، فتقدّم بين يدي الإمام (عليه السلام) بما يراه سليماً صحيحاً يمكن أن يدفع القتل أو ماسّمه (الهلاك) عن الإمام (عليه السلام)، وذلك بلزوم الحرم باعتباره موطناً جعله الله مثابةً للناس وأمناً، ومحلاً مناسباً يمكن أن يطمئنّ فيه سيّد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته، وإذا دعت الضرورة فهو مكانٌ تجتمع فيه الناس من كلّ مكان، ويمكن خلال هذه الفترة التي سيأمن فيها بلزومه الحرم أن يدعو الناس لنصرته والدفاع عنه، فيوفّر العامل البشريّ الذي يسمح له أن يتحرّك في أرض الله الوسيعة، أو أن يدفع عن نفسه إن هتك العدو حرمة البيت وهاجمه وهو في الحرم.

بيد أنّه لم يُدرِك أنّ القوم قد عزموا علي قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ولو كان تحت أستار الكعبة، وأنهم سوف لن يمهلوه، وسيغدرون به ويغتالوه،

ص: 200

كما سيأتي الكلام عن ذلك إن شاء الله، لذا تركه الإمام (عليه السلام) وحاله وأفكاره واقتراحاته، وقال له: «يقضي الله ما أحب!»!

هكذا هم أشباه الرجال أبدأً ما كانوا، يرون في سيّد الشهداء (عليه السلام) ابن رسول الله (صلي الله عليه وآله) بالقدر الذي ينفعهم لدنياهم، ويتبركون به، لا- أكثر، أمّا إذا دار الأمر بينه وبين دنياهم التي تسيح من لعب القرود، فهم يعبدون أوثانهم، والدّين لغو علي السنّتهم، وهم يختارون الدنيا الدنيّة الدليّة الزائلة النتنة.

ثمّ أنّهم لا يرون في الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) وجوداً مقدّساً مفروض الطاعة من الله، وإنّما يرونه شخصاً بين الأشخاص يمتاز عن غيره بالانتساب لرسول الله (صلي الله عليه وآله)، وهذه هي الطامة الكبرى التي ابتلي بها أولئك المسوخ، وابتلي بها بعض من جاء بعدهم، فحشر أمثال هؤلاء في زمرة المنتحلين لمحبة أهل البيت (عليهم السلام) وأشياهم أو المقدّسين لهم.

ص: 201

قال الطبري بعد أن ذكر استدعاء ابن عمر من قبل والي المدينة:

فزعم الواقدي أن ابن عمر لم يكن بالمدينة حين ورد نعي معاوية وبيعة يزيد علي الوليد، وأن ابن الزبير والحسين لما دُعيا إلي البيعة ليزيد أيا وخرجا من ليلتهما إلي مكة، فلقيهما ابن عباس وابن عمر جائيين من مكة، فسألاههما: ما وراءكما؟ قالوا: موت معاوية والبيعة ليزيد. فقال لهما ابن عمر: اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين.

وأما ابن عمر فقدم، فأقام أياماً، فانتظر حتى جاءت البيعة من البلدان، فتقدم إلي الوليد بن عتبة فبايعه، وبايعه ابن عباس (1).

ص: 203

وقال ابن الأثير والنويري أيضاً بعد ذكر استدعائه للبيعة:

وقيل: إن ابن عمر كان هو وابن عباس بمكة، فعادا إلى المدينة، فلقىهما الحسين وابن الزبير، فسألاهـما: ما وراءكما؟ فقالا: موت معاوية وبيعة يزيد. فقال ابن عمر: لا تُفرقا جماعة المسلمين. وقدم هو وابن عباس المدينة، فلمّا بايع الناس بايعا (1).

يمكن أن يواجه الخبر عدّة مشاكل:

المشكلة الأولى: ابن عمر في المدينة وابن عباس في مكة

تكاد الأخبار تتفق على أنّ ابن عمر كان في المدينة يوم خرج سيّد الشهداء (عليه السلام) منها، وقد روي ذلك حتّى الطبري وابن الأثير في تاريخيهما، كما هو مفاد نفس هذا الخبر في أوّله، إذ أنّهما يرويان دعوته للبيعة في المدينة، ثمّ يذكران أنّه كان في مكة علي نحو القيل والزعم، ممّا يفيد أنّهما يؤكّدان وجوده في المدينة.

كما تكاد تتفق المصادر أنّ ابن عباس كان في مكة تلك الأيام (2).

ص: 204

-
- 1- الكامل لابن الأثير: 3 / 265، نهاية الإرب للنويري: 20 / 382.
 - 2- أنظر: الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 1 / 173، الأخبار الطوال للدينوري: 228.

هذا بالإضافة إلى أنّ الطبري -- كما يبدو -- هو الراوي الأوّل لهذا الخبر، وقد ذكره بلفظ (فزعم الواقدي)، ومن جاء بعده إنّما أخذ عنه.

المشكلة الثانية: قول الشيخ ابن نما

وقال ابن نما:

وركبوا [عبد الله بن الزبير وعبد الله بن مطيع وعبد الله بن عمر وعبد الرحمان بن أبي بكر] ولحقوا بمكّة، وتخلّف الحسين (1).

بناءً على قول الشيخ ابن نما (رحمة الله)، فإنّ ابن عمر خرج من المدينة قبل سيّد الشهداء (عليه السلام)، وكان ابن عباسٍ في مكّة حسب الفرض، فكيف اجتمع العبدان ثمّ التقيا بسيّد الشهداء (عليه السلام)؟

ثم إنّ قوله يؤكّد وجود ابن عمر في المدينة يومها، وأنّه خرج منها إلى مكّة.

المشكلة الثالثة: خروج ابن الزبير قبل الإمام (عليه السلام)

لقد مرّ علينا أنّ ابن الزبير خرج قبل الإمام (عليه السلام) من المدينة، وهذا ما اتّفق عليه جُلّ المؤرّخين إن لم نقل كلّهم، وقد تشاغلوا عن سيّد الشهداء (عليه السلام) ليلةً بآبن الزبير كما مرّ معنا، وذكرنا هناك المصادر، فيكون

ص: 205

1- مشير الأحزان لابن نما: 10.

الفارق الزمني بين خروج ابن الزبير وخروج سيّد الشهداء (عليه السلام) ليلةً أو ليلتين، وكان ابن الزبير -- كما قالوا -- قد خرج بنفسه وأخيه فقط، فيما خرج سيّد الشهداء (عليه السلام) بأهل بيته ومواليه وإخوته وبنّي إخوته وأخواته وعياله، فكيف تحقّق لهما أن يجتمعا ليلتي بهما العبدان؟

المشكلة الرابعة: اختلاف الطريق

إنّقت المصادر التاريخية علي تحديد الطريق الذي سلكه ابن الزبير، والطريق الذي سلكه سيّد الشهداء (عليه السلام)، وقد تنكّب ابن الزبير الطريق فمضي علي غير الجادة متخفياً، وسلك الإمام (عليه السلام) الطريق الأعظم ومشى علي الجادة، فكان كلُّ منهما يمشي علي غير طريق الآخر، فكيف اجتمعا ليلتي بهما العبدان معاً؟!

روي ابن سعد قال:

ولقيهما عبد الله بن عمر وعبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة بالأبواء منصرفين من العمرة.

فقال لهما ابن عمر: أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس، وتنظروا، فإن اجتمع الناس عليه لم تشدَّ، وإن افترق عليه كان الذي تريدان!

وقال ابن عمر لحسين: لا- تخرج، فإن رسول الله (صلي الله عليه وآله) خير الله بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة، وأنت بضعة منه، ولا تنالها -- يعني: الدنيا --. فاعتنقه وبكى وودَّعه.

فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأي في أبيه وأخيه عبرة، ورأي من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس! فإن الجماعة خير!!!

وقال له ابن عيَّاش: أين تريد يا ابن فاطمة؟ قال: العراق

وشييعتي. فقال: إني لكارّة لوجهك هذا، تخرج إلي قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتّي تركهم سخطةً وملة لهم؟ أذكرك الله أن تغرّر بنفسك (1).

يمكن أن ينكز هذا الخبر بعدة نكرات:

النكزة الأولى: المناقشات السابقة

تعرض هذا الخبر المناقشات السابقة التي سمعناها في لقاء العبدین، إذ أنّ عبد الله بن عمر حاضرٌ هنا أيضاً.

النكزة الثانية: مؤديات كلام ابن عمر

تفيد مؤديات كلام ابن عمر مع سيّد الشهداء (عليه السلام) في هذا الخبر أنّه يحذّر الإمام (عليه السلام) من الخروج إلي قومٍ غدروا بأبيه وأخيه، وأنّه قد خرج

ص: 208

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 57، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ دمشق، تحقيق المحمودي: 200، تهذيب ابن بدران: 4 / 328، مختصر ابن منظور: 7 / 139، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2608، تهذيب الكمال للمزي: 6 / 416، تاريخ الإسلام للذهبي: 2 / 342، سير أعلام النبلاء للذهبي: 3 / 199، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 162.

للقِتال، وكأنّه يشير إلى حركة الإمام (عليه السلام) نحو العراق، والحال أنّ الإمام (عليه السلام) لم يصرّح بأيّ شيءٍ في المدينة، ولا في الطريق بين المدينة ومكّة، فإن كان ثمة تصرّيحٌ للإمام (عليه السلام) بالخروج إلى العراق إنّما كان في مكّة وما بعدها.

النكزة الثالثة: إعلان وجهة الإمام (عليه السلام) !

قال له ابن عيّاش: أين تريد يا ابن فاطمة؟ قال: العراق وشيعتي ...

لا يخفي عليّ من راجع المصادر التاريخية أنّ الإمام (عليه السلام) لم يصرّح بوجهته نحو العراق لأحدٍ من العالمين، في المدينة أو في الطريق منها إلى مكّة، إلّا بعض الاستثناءات الخاصّة جداً كماً سلّمة، وإنّما صرّح بذلك في مكّة، بل ربّما قبيل خروجه منها.

من هنا فإن كان اللقاء والحوار قد تمّ، فيرجّح أن يكون عند خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة، لذا سنؤخّر مناقشته إلى هناك إن شاء الله (تعالى)، ولا ندخل هنا في تفصيل الكلام وكشف العوار في حديث ابن عمر وابن عيّاش.

ص: 209

دخل الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) إلى مكة دخولاً هادئاً عادياً كأبي معتمرٍ أو قاصدٍ لبيت الله الحرام، ولم نسمع أحداثاً خاصّةً تفيد الاستعداد المسبق من قبل أهل مكة أو من قبل المعتمرين وأهل الأفاق المتواجدين يومها في مكة، ولم نسمع -- فيما لدينا من المصادر - أن سيّد الشهداء (عليه السلام) كان قد نسق أو ربّّب لدخوله مع أحد، أو أنه أخبر أحداً من أهل مكة أو غيرها من المجاورين أو الزائرين بقدومه من قبل، ولم يكن أيّ حشدٍ أو ترتيباتٍ مسبقةٍ من قبل عامّة الناس ولا خاصّتهم لاستقباله.

ولم يبادر الإمام (عليه السلام) إلى إلقاء الخطب وإثارة الحماس في الناس قبيل وإبان دخوله مكة، وتحريضهم علي الظالمين والغاصبين، ودعوتهم واستنهاضهم، وما شاكل ذلك ممّا يُتوقّع أن يفعله حسب التصوّر العام المرسوم لحركته المفترضة وخروجه بالمعني المصطلح.

تلاوة قوله (تعالى): (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ ...)

إشارة

فلَمَّا وافي (دخل) سيّد الشهداء (عليه السلام) مكّة ونظر إليّ جبالها، جعل يتلو هذه الآية: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) (1) (2)..

يمكن أن نتصوّر في تلاوة هذه الآية عدّة دلالات:

الدلالة الأولى: المراد بالسبيل

يبدو واضحاً من سياق الآية أنّ المراد بـ (السبيل) هنا الذي رجاه موسى (عليه السلام) ودعا به إنّما هو السبيل بمعنى (الطريق)، وليس الهداية إليّ الحقّ، فهو ميزان الحقّ في زمانه، وهو الهادي الأمين، فالسياق يفيد أنّه استخار الله في الطريق الذي يريد أن يسلكه لينجو من القوم الظالمين،

ص: 212

1- سورة القصص: 22.

2- أنظر: تاريخ الطبري: 5 / 343، الفتوح لابن أعمش: 5 / 37، الإرشاد للمفيد: 2 / 32، روضة الواعظين للفتّال: 147، بحار الأنوار: 44 / 332، العوالم للبحراني: 17 / 181، نفس المهموم للقمّي: 79، إعلام الوري للطبرسي: 223، مقتل الحسين (عليهما السلام) للخوارزمي: 1 / 189، الكامل لابن الأثير: 3 / 260، نهاية الإرب للنويري: 20 / 381، الفصول المهمّة لابن الصباغ: 183، المنتخب للطريحي: 2 / 422.

والمكان الآمن الذي سيختاره له رب العالمين.

وقد وردت (عسي) بمعنى (قد) (1)، وبمعني (التحقق)، وبمعني (خليق) (2)، وبمعني (اليقين) (3)، كما وردت بمعنى الترجي، وعدم حملها علي الترجي هنا ربّما كان أوفق بالسياق وبعصمة القائل، إلا أن تُفسّر بالدعاء، وقد استجاب الله دعاءه.

الدلالة الثانية: قراءة الآية عند الخروج وتمتمتها عند الدخول

لما خرج الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة جعل يسير ويقرأ: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (4)، وهي الآية 21 من سورة القصص، ثم سكت ولم يقرأ الآية التي تليها حتّى وصل إلي

ص: 213

-
- 1- تفسير القرطبي: 39 / 3.
 - 2- تفسير القرطبي: 91 / 8.
 - 3- تفسير القرطبي: 294 / 5.
 - 4- أنظر: تاريخ الطبري: 343 / 5، الفتوح لابن أعثم: 34 / 5، الإرشاد للمفيد: 32 / 2، روضة الواعظين للفتال: 147، بحار الأنوار: 44 / 332، العوالم للبحراني: 17 / 181، اعلام الوري للطبرسي: 223، مقتل الحسين (عليهما السلام) للخوارزمي: 1 / 189، الكامل لابن الأثير: 3 / 265، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: 135، نهاية الأرب للنويري: 20 / 380، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 183، المنتخب للطريحي: 2 / 421.

مكة، فنظر إلي جبالها فأتتم قراءتها، فقرأ الآية 22 من نفس السورة: (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ...)..

وقد أتينا علي تفصيل الحديث عن الآية الأولى في بحث (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة)، فلا نعيد.

قال الشيخ الطوسي في (التبيان):

وقوله: (عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)، حكاية ما قال موسى في توجّهه، فإنّه قال: عسى أن يدلّني ربّي علي سواء السبيل، وهو وسط الطريق المؤدّي إلي النجاة، لأنّ الأخذ يميناً وشمالاً يباعد عن طريق الصواب، ويقرب منه لزوم الوسط علي السنن، فهذا هو المسعي في الهداية، وقال الشاعر: (حتّي أُغَيَّبَ في سواء الملحد)، أي: في وسطه (1).

وقال الطبرسيّ في (المجمع):

(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ)، التوجّه صرف الوجه إلي جهةٍ من الجهات (2).

وقال الفيض :

ص: 214

1- التبيان للطوسي: 8 / 141.

2- مجمع البيان للطبرسي: 7 / 427.

(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ): قبالة مدين، قرية شعيب.. ولم يكن في سلطان فرعون، (قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) في الإكمال.. فخرج من مصر بغير ظهرٍ ولا دابةٍ ولا خادم، تخفضه الأرض مرّةً وترفعه أُخري، حتّى انتهى إلى أرض مدين، فانتهي إلى أصل شجرة فنزل فإذا تحتها بئر (1).

فكان الإمام (عليه السلام) أبان بهذه التلاوة بداية الرحلة ونهايتها، وشرح عللها وأسبابها وظروفها من خلال الاستشهاد بقصة موسى (عليه السلام).

فإذا قلنا -- كما هو المشهور عند المفسرين -- : إنّ موسى (عليه السلام) إنّما قال ذلك بعد أن لزم الجادة المؤدية إلى مدين، فكأنه أخبر عن بلوغه مأمنه، فإنّ الاستشهاد بالآية هنا يكون بمعنى أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) قد جعل مكّة مأمنه المقصود له، وقد بلغه.

الدلالة الثالثة: استمرار الملاحقة

بعد أن جري ما جري.. سار الحسين (عليه السلام) من المدينة نحو مكّة، وجعل يسير ويقرأ: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (2).

ص: 215

1- تفسير الصافي للكاشاني: 85 / 4.

2- أنظر: تاريخ الطبري: 343 / 5، الفتوح لابن أعمش: 34 / 5، الإرشاد للمفيد: 32 / 2، روضة الواعظين للفتال: 147، بحار الأنوار: 44 / 332، العوالم للبحراني: 17 / 181، اعلام الوري للطبرسي: 223، مقتل الحسين (عليهما السلام) للخوارزمي: 1 / 189، الكامل لابن الأثير: 3 / 265، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: 135، نهاية الأرب للنويري: 20 / 380، الفصول المهمة لابن الصبّاغ: 183، المنتخب للطريحي: 2 / 421.

”تتحدّث الآية عن خروج النبيّ موسى (عليه السلام) إلى مَدِينٍ بعد أن طلبه فرعون ليقتله بالرجل الذي وكزه موسى (عليه السلام) فقضي عليه (1).. وقد قرأها سيّد الشهداء (عليه السلام) عند خروجه من المدينة لبيان الشبه بين الخروحين من حيث كونهما مطلوبين للقتل، يبحثان عن مكان آمنٍ ينجيهما الله به من القوم الظالمين.

وربّما لوّحت إلي أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) كان مطلوباً لفراعنة العصر بالدماء العفنة التي أراقها أبوه في رضا الله (تبارك وتعالى) دفاعاً عن النبيّ (صلي الله عليه وآله) وعن دينه.

والفرق أنّ موسى بلغ مَدِينٍ فأمن، ثمّ رجع.. وبلغ سيّد الشهداء (عليه السلام) كربلاء الأرض الموعودة، فقتل هناك ومَن معه وأناخ فيها رحله.. وسيرجع! (2).

ص: 216

1- أنظر: تفسير القمّي: 2 / 137.

2- إقتباسٌ من بحث (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة).

فلَمَّا وافي مكة ودخلها تلا قوله (تعالى): (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)، في إشارةٍ إلى أن رحلة الملاحقة لا زالت، وهو لا زال في نفس الظرف الذي خرج بسببه من المدينة، فهو يؤكد أنه لا زال مطلوباً هو وأهل بيته.

وهذا بناءً على أن مكة ليست هي المقصودة، وإنما المقصود موضع آخر يقوم مقام مدين، ومكة إنما هي الطريق المُفضي إليه، وقد توجه من مكة تلقاءه.

إن موسى (عليه السلام) قال ما قال حينما توجه تلقاء مدين، لا حينما وافاها ودخلها، واستخار الله ودعاه أن يهديه سواء السبيل الذي يريده ويحبّه ويرضاه له، فحينما تلاها سيّد الشهداء (عليه السلام) عندما وافي مكة ودخلها، فكأنه يريد أن يُشعر بتلاوته لهذه الآية الشريفة أنه قد بدأ بالرحلة، وما مكة له بقرار، إذ أن التوجه إلى مدين بدأ حين دخل مكة.. ومدين التي يريد الاستقرار بها تمرّ عبر مكة، فهو في مكة ضيفٌ في منازل الطريق حتّى يبلغ الأرض الموعودة التي سيستقرّ بها حتّى يأذن الله له بالانتقام.

الدلالة الرابعة: الاستخارة

في الآية رجاء أو دعاء، (عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)، فربّما أفاد هذا السياق أن سيّد الشهداء (عليه السلام) لما وصل إلى مكة جعل يستخير الله بتلاوة هذه الآية.

وقيل: إنه لما قدم مكة قال: «اللهم خِر لي، واهدني سواء السبيل» (1).

وقد ذكر لعدة أفراد -- منهم ابن مطيع العدوي -- أنه إذا بلغ مكة استخار الله.

الدلالة الخامسة: طلب العافية والاستقرار في مكة إلي حين

لما قال موسى (عليه السلام) هذا القول، استجاب الله دعاءه وقبض له نبياً، (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) (2)، فأقام عنده إلي حين..

فتكون تلاوة سيد الشهداء (عليه السلام) لهذه الآية بمثابة دعاءٍ للنجاة من القوم الظالمين، وهذا لا يمنع عن عزمه علي الشهادة، إذ أنه في الظاهر المنظور مطاردٌ مطلوبٌ للقتل، وهو يريد أن يقيم عليهم الحجّة بالدفاع عن نفسه ودفع القتل عن أهل بيته، وهم المصرون علي ارتكاب الجناية العظمي في تاريخ البشرية، فهو يريد أن يبلغ العالم أنه قصد مكة ليستقر بها ما استقرّ بهالمقام، ولا يقصد أكثر ممّا قصده موسى (عليه السلام)، إذ كان يبحث عن مأمنٍ يكفّه عن القوم الظالمين، فخرج وهو يدعو الله أن ينجيه من القوم الظالمين، (فخرج منها خائفاً يترقب قال ربّ نجني من القوم الظالمين) (3)،

ص: 218

1- مع الركب الحسيني: 24 / 2.

2- سورة القصص: 25.

3- سورة القصص: 21.

وتوجّه تلقاء مدين وهو علي هذا الرجاء، وقد هداه الله سواء السبيل، فبلغ مدين وقال له شعيب: (لا تَحْفَ نَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، وقد شاء الله أن يري الحسين (عليه السلام) قتيلاً فكان هو السبيل!

وكيف كان، فإن تلاوة هذه الآية يفيد أنّ حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) إلي تلك الساعة التي دخل فيها مكّة كانت حركةً لدفع القتل والاستئمان بالله، ولكفّ أيدي الظالمين والابتعاد عن طيشهم وإقدامهم علي هتك الحرمات، تماماً كما فعل موسى (عليه السلام)، وليس فيها طابعٌ يمكن استفادته من تلاوة هذه الآية يُشعر بالتخطيط لهجومٍ أو الإشعار بإرادة الآخر وتبيت القضاء عليه.

الدلالة السادسة: الإشعار بعدم تحديد المقصد الأخير

دأب المعصومون (عليهم السلام) علي التعامل مع الناس وفق الموازين الظاهريّة، والعلم الظاهريّ، وهذا لا يتنافي مع ما منحهم الله من علمٍ لا يُحدّ، وقد خرج موسى (عليه السلام) من المدينة خائفاً وتوجّه تلقاء مدين وقال: عسي أن يهديني ربّي سواء السبيل، وكأنّ مدين لم تكن هي المقصودة بالذات، وإنّما كان المقصود بالذات هو الوصول إلي مكانٍ آمنٍ ينجو به من القوم الظالمين، فإن كانت مدين فقد حصل المطلوب، وإلا ففي غيرها..

وهذا تماماً ما ذكره المولي ابن الحنفيّة في كلامه من قصد مكّة، فإن نَبَتْ به فاليمن، فإن نَبَتْ به فغيرها من البلدان والصحاري والجبال.. وقد أكّد سيّد الشهداء (عليه السلام) ذلك ووعد أن يستخير الله إن نَبَتْ به مكّة ولم

يُحفظ أهلها رسول الله (صلي الله عليه وآله) فيه ولم يحفظوا حرمتها، فهو يريد أن يقول أنه يبحث عن المكان الآمن من دون تحديد له علي وجه الخصوص.

ص: 220

إشارة

كان الخيار الأول الذي تحرك نحوه الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) هو حرم الله الآمن مكة، فإذا بحثنا عن الأسباب والدواعي التي جعلت مكة البلد الأول الذي نحا نحوه الإمام (عليه السلام)، نجدها علي قسمين:

القسم الأول: غير المنصوص

إشارة

نقصد بالدوافع والأسباب غير المنصوصة ما لم يرد فيها تصريح عن الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) نفسه أو من غيره حسب ما نقله المؤرخ، وإنما هي تصوّرات وتحليلات نتجت عن التأمل وملاحظة الظروف ومجريات الأحداث، ويمكن بيانها من خلال العوامل التالية:

العامل الأول: حصانة مكة

تتوفّر مكة علي عوامل كثيرة يمكن أن تشكّل دفاعاتٍ لسيّد الشهداء (عليه السلام) وحاجزاً للطغاة من التعدي علي حرم الله، نكتفي هنا بالإشارة العجلي دون التفصيل، وإن كانت كلّ واحدةٍ منها تحتاج إلي بحثٍ مستقلّ:

فهي من جهةٍ مكّة الحرام الإلهي الآمن.

وهي بيت الله الحرام، الذي تهوي إليه أفئدة الناس وقلوبهم، وملاذ العباد ومحلّ استجارتهم وموضع جوارهم.

وهي موطن أهله وعشيرته، ومسكن قريش وأحلافها التي شارك فيها جدّه (صلي الله عليه وآله).

وهي مختلف المسلمين ومجمع الحجّاج والمعتمرين، سيّما أنّه قد دخلها في أشهر الحجّ..

فإن كان للحرم عند القوم حُرمةٌ لا تمتنعوا عنه.

وإن كان للمسجد الحرام وبيت الله عندهم حُرمةٌ لا تمتنعوا عنه، وهو قد سكن في دارٍ لا تبعد عن المسجد الحرام إلّا بعض الأمتار.

وإن كان لرجال القوم حرمة، فقد نزل في دار عمّه العبّاس.

وإن كان للرحم والدوافع القبليّة والعشائريّة عندهم حرمة، فقد نزل بين ظهراي قريش وبطونها وأفخاذها.

وإن كانت لموازين العرب وقيّمها وأحلافها عندهم حرمة، فقد دخل البلد الآذي أُعلن فيه حلف الفضول وغيره، فقد دعا الزبير بن عبد المطلب إلي حلف الفضول، وعقد الاجتماع في دار عبد الله بن جدعان، وغمسوا أيديهم في ماء زمزم، وتحالفوا وتعاهدوا علي نصرّة المظلوم، والتأسي بالمعاش، والنهي عن المنكر، وكان أشرف حلف.

والمتحالفون علي ذلك هم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العزّي، وزهرة، وتيم.

وأنكر البعض أن يكون بنو أسد بن عبد العزّي في حلف الفضول، وقالوا: إن عبد الله بن الزبير قد ادّعي ذلك لهم في الإسلام.

وقد حضر هذا الحلف نبينا الأعظم (صلي الله عليه وآله)، وأثنى عليه بعد نبوته وأمضاه، فقد روي أنه (صلي الله عليه وآله) قال: «ما أحب أن لي بحلفٍ حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم، ولو دُعيت به لأجبت»، أو ما هو قريبٌ من هذا (1).

وإن كان لقيم الإسلام وأحكامه وتعاليمه عندهم حرمة، فقد نزل بين ظهرائي المسلمين الذين توافقوا علي حرمة آل النبي (صلي الله عليه وآله) ووجوب تعظيمهم ومودّتهم ومحبتهم والذبّ والدفاع عنهم، وقد تواترت أخبارهم وسمعوها عن النبي (صلي الله عليه وآله) مباشرةً أو بالوسائط: «حسين منّي وأنا من حسين»، «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة».

هذا إلي غيرها من الدوافع التي يمكنها أن تشكّل جدار حمايةٍ وعوامل صدّ ودفعٍ لعدوان المعتدين، وتقطع أيدي الطغاة والمجرمين.

فمكّة يمكن أن تكون مأمناً وحاجزاً للقوم عن ارتكاب الجريمة العظمي بكلّ الحسابات.

ص: 223

1- أنظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلي الله عليه وآله) للعالمي: 2 / 229.

العامل الثاني: قربها من المدينة

تُعدّ مكة المكرمة أهمّ حاضرةٍ من حواضر الإسلام علي الإطلاق يومها، فهي لها مركزها وموقعها المؤثّر قبل الإسلام، وصارت بعد الإسلام قبلة المسلمين ومهوي أفئدتهم وموضع حجّهم ومقام إقامة شعائرهم، ومحلّ اجتماعهم، وهي أقرب حاضرةٍ بهذا المستوي إلي المدينة المنورة، فربّما كان القرب الجغرافيّ عاملاً قوياً يؤهلها لتكون الموضع الأول الذي يمكن أن يتوجّه إليه سيّد الشهداء (عليه السلام) بعد أن نبّث به المدينة وخذلته، وتكرّرت لبيعته مع النبيّ (صلي الله عليه وآله) في الدفاع عنه وعن أهله.

العامل الثالث: توفر الغطاء المسوّغ

لقد خرج الإمام (عليه السلام) في أشهر العمرة والحجّ، وبيتُ الله يُقصد في كلّ حين، فكان خروجه نحو مكة مسوّغاً وفق الموازين الدينيّة والاجتماعيّة، ولا يُعدّ حركةً غير طبيعيّة، ولا يمكن لأحدٍ أن يحتملها شحناتٍ ذات أبعاد ومقاصد.

فمن الطبيعيّ لأيّ مسلمٍ -- فضلاً عن سيّد المسلمين -- أن يقصد بيت الله معتمراً أو مجاوراً أو حاجّاً، وقد كان مسيره في الجادة العظمي علي عين الملاء، ولم يتنكّب الطريق، وحينما سألوه عن سبب قدومه إلي مكة أجاب أنّه جاء مستجيراً بالله لانذاراً ببيته. وبهذا انتزع الإمام (عليه السلام) الحجج من أيدي أعدائه، وسدّ عليهم طريق

التوظيف الإعلامي المعادي، ومنعهم من التهويل، وقضي علي ما يمكن أن يستخروه في تجريمه وتحميله مسؤولية الابتداء بالهجوم والتجيش والتحريض.

العامل الرابع: توظيف فرصة تجمع المسلمين

إشارة

أفاد جماعة أن الإمام (عليه السلام) إنما قصد مكة أيام الحج باعتبار أن مكة ستضم أكبر عدد من المسلمين من جميع الأصقاع، ويكون فيها مؤتمر عالمي يوفّر للإمام (عليه السلام) الأجواء المناسبة لمخاطبتهم وتجيشهم وتحريضهم وتحريك الكامن في ضمائرهم ونفخ الروح في وجدانهم، وبهذا يتمكن من كسب الأصوات واستمالة الآراء وتوظيف الأفكار وتعبئة الرجال، وما إلي ذلك..

ولا يبدو هذا الكلام علي مستوي من المتانة، بل كأنه لا يرتقي إلي أكثر من تحليل يقوم علي أساس السوابق الذهنية المفترضة التي ترسم أسباب وعلل خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة ودخوله مكة ضمن تصوّراتٍ خاصّة.

وذلك للأسباب التالية:

السبب الأول: التوقيت الاضطراري

لقد تبين لنا من خلال دراسة (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة) أن الإمام (عليه السلام) كان يعيش حياته مترسلاً، فاستحضره القوم وألزموه بالبيعة، وخيروه بينها وبين القتل، فأبي أبي الضنيم أن يقبل بالدنية، وعزم

ص: 225

علي الرحيل لئلا تُهتَكَ بدمه المقدّس حرمة المدينة، وخرج وهو يتلو قوله (تعالى): (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ...)، فكان خروجه (عليه السلام) تحت أحكام الضرورة القاهرة بحكم مواقف القوم، ولم يكن للتوقيت كثيرُ أثرٍ في خروجه من هناك. أجل! قد يُقال: إنّ التوقيت ليس له أثر، ولكنّ البلد بما هو مكّة له الأثر في الاختيار مقابل البلدان الأخرى.

السبب الثاني: مواقف الإمام (عليه السلام) في مكّة

التأمل في النصوص التاريخية يفيد أنّ الإمام (عليه السلام) لم يمارس أيّ نوعٍ من أنواع التجييش والتحريض علي السلطة، ولم يدعُ العموم إلي البيعة والنصرة، ولم يعقد اجتماعاتٍ ذات طابعٍ مميّزٍ يشير إلي ما ذكره..

والناس في مكّة كانوا في شدّ غلٍ عن سيّد الشهداء (عليه السلام)، ولا يبدو أنّهم كانوا يشعرون بأيّة مسؤوليّةٍ تجاهه وديعة الرسول (صلي الله عليه وآله) وريحانته؛ جهلاً منهم أو عمايةً وضلالاً أو حقداً وعناداً أو لأيّ سببٍ آخر، وقد ذكرنا هذا المعني في أكثر من موضع، فلا نعيد.

قد يُقال:

إنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) لا يمكن أن يقصد مكّة وأهلها، لأنّه كان يعلم عداوتهم له ولأبيه، وأنّهم يطلبونه بثارات فطائسهم!

غير أنّ هذا الكلام قد لا يكون وجيهاً أيضاً، إذ أنّ الإمام (عليه السلام) قصد

المكان وهو الحرم الآمن لمن دخله من جهة، ولأنه أقام عليهم الحجة بحضوره بين ظهرانيهم وفق كل الموازين السائدة يومذاك، سواءً كانت موازين ما قبل الإسلام أو ما بعده، علي ما ذكرناه قبل قليل.

وقد رأينا -- فداء العالمين -- قد قصد الكوفة وهو يعلم غدرهم وما فعلوه بأبيه وأخيه (عليهما السلام)، بيد أنه قصد الثلة القليلة من الديانين، وأقام الحجة علي البقية التي كان الدين لعقاً ولغواً علي ألسنتها.. علي تفصيلٍ سيأتي في محلّه إن شاء الله (تعالى) عند الحديث عن إقامته (عليه السلام) في مكة وتوجهه نحو الكوفة.

القسم الثاني: المنصوص

إشارة

نقصد بالأسباب والدوافع والعوامل المنصوصة ما صرح به سيّد الشهداء (عليه السلام) نفسه، وما نصّ عليه التاريخ، ويمكن أن يُشار إليها من خلال التصريحات التالية:

التصريح الأول: تصريح سيّد الشهداء (عليه السلام) بعلة قدومه إلي مكة

إشارة

لقد صرح سيّد الشهداء (عليه السلام) بعلة قدومه إلي مكة حينما سأله واليها يومذاك عمرو بن سعيد الأشدق عن سبب قدومه إليها، فأجابه أنّه جاء عائداً بالله وبالبيت الحرام الذي جعله الله آمناً، كما روي سبط ابن الجوزي فقال:

ص: 227

فلَمَّا دخلها قال له عمرو بن سعيد الأشدق -- وكان والي مكة -- : ما أقدمك؟ فقال: «عائداً بالله وبهذا البيت»! (1)

وفي هذا التعليل تصريحٌ وتلويحاتٌ واضحة:

التلويح الأول: التصريح بسبب القدوم

التلويح الأول: التصريح بسبب القدوم

التلويح الأول (2): التصريح بسبب القدوم

كان جواب الإمام (عليه السلام) -- وفق نقل سبط ابن الجوزي -- واضحاً صريحاً جلياً للتعبير عن سبب قصد مكة بالذات، فهي الحرم الآمن وبيت الله الحرام الذي يلوذ به الناس ويعوذون به، وقد جاء سيّد الشهداء (عليه السلام) لهذا الغرض أساساً.

التلويح الثاني: التلويح بالمطاردة

يفيد التعليل أنّ الإمام (عليه السلام) كان مطارداً مهدداً، يمكن أن يتوقّر علي الأمان في البيت الذي جعله الله ملاذاً ومعاداً للعالمين. ربّما يقال: إنّ هذا التصريح لفظٌ مستعملٌ تواضع علي إطلاقه المجاورون لبيت الله الحرام، فلا يمكن أن يُستفاد منه أنّه كان مطارداً مهدداً.

فيقال: بالرغم من عدم مساعدة السياق علي هذا القول، إلا أنّه مع

ص: 228

1- أنظر: تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: 135.

2- التعبير بالتلويح هنا مسامحٌ فيه لرعاية السياق!

هذا الفرض يفيد أنّ الغرض من دخول مكّة هو المجاورة وملازمة البيت الحرام ليس إلا، إن استقرّ به المقام.

التلويح الثالث: خلوّ التصريح من التهديد وما بمعناه

يبدو واضحاً أنّ التصريح يخلو تماماً من أيّ لغة تهديدٍ بالتخطيط والإعداد والاستعداد لأمرٍ مبيّتٍ وتحريض الناس وتجميع القوي وما شاكل، ممّا يمكن أن يُشعر الوالي أنّ الإمام (عليه السلام) إنّما قدم إليّ مكّة بقصد الخروج عليّ الحاكم بالمعني الاصطلاحي، أو ما يشير إليّ ذلك.

التلويح الرابع: مناسبة الجواب للسؤال

لما اقتصر الأشدق عليّ السؤال عن سبب القدوم إليّ مكّة، ردّ عليه سيّد الشهداء (عليه السلام) بما يكون جواباً مُقنعاً له، وهو الصادق المصدّق، ولو كان الأشدق حينها قد طلب البيعة من الإمام (عليه السلام) أو أشار إليّ ذلك، فربّما كان الجواب يختلف عمّا سمعه.

وبعبارةٍ أُخري: إنّ الأشدق لم يطلب في ذلك الموقف من الإمام (عليه السلام) البيعة ولا غيرها ممّا سبّب له الخروج من المدينة، فإنّ الإمام (عليه السلام) أجابه بهذا الجواب الذي يُنبئ عن المراد المقصود للإمام (عليه السلام) من دخول الحرم الإلهي.

التصريح الثاني: الإمام (عليه السلام) يُخبر ابن عبّاس أنّه جاء مكّة مستجيراً

كتب يزيد كتاباً مفصّلاً لابن عبّاس يفترى فيه عليّ سيّد الشهداء (عليه السلام)، وأنّه قد بلغه أنّ أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم ويمنّونه

الخلافة (1) ويمتئهم الإمارة، في خبرٍ طويلٍ، فأجابه ابن عباس، وكان ممّا أجابه:

وأما الحسين، فإنه لما نزل مكة وترك حرم جدّه ومنازل آبائه سألته عن مقدّمه، فأخبرني أنّ عمّالك بالمدينة أسأؤوا إليه وعجلوا عليه (2) بالكلام الفاحش، فأقبل إلي حرم الله مستجيراً به (3).

فهذا هو التصريح الثاني الذي يُنقل عن سيّد الشهداء (عليه السلام) يؤكّد فيه أنّه إنّما قدّم مكة مستجيراً من ظلم الظالمين وملاحقة الأعداء والمجرمين، بعد أن أسأؤوا إليه وعجلوا عليه بالكلام الفاحش.

وقد أكّد ابن عباسٍ ليزيد القروذ أنّ ما جاء بسيّد الشهداء (عليه السلام) إلي مكة إنّما هو ردّ عادية القرد المسعور، وليس لأمر مبيّتٍ يقصد القرد المخمور، حيث كتب له -- كما ورد في لفظ ابن سعدٍ وغيره -- : (وإني أرجو أن لا

ص: 230

1- يُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: 210 / 14، تهذيب ابن بدران: 330 / 4، مختصر ابن منظور: 141 / 7، بُغية الطلب لابن العديم: 2610 / 6، تهذيب الكمال للمزّي: 419 / 6، البداية والنهاية لابن كثير: 164 / 8.

2- يُنظر: الأماي للشجري: 182 / 1.

3- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136.

يكون خروج الحسين لأمرٍ تكررهِه (1).. يعني بذلك -- كما يفيد السياق -- خروجه إلى مكّة.

التصريح الثالث: تصريح الإمام (عليه السلام) أنّه جاء مستوطنًا

إشارة

في خبرٍ طويلٍ رواه ابن أعثم والخوارزمي ستأتي الإشارة إليه، ذكر فيه حواراً بين سيّد الشهداء (عليه السلام) والعبديّين ابن عبّاسٍ وابن عمر، جاء فيه:

ثمّ أقبل عليّ عبد الله بن عبّاس وقال له: «وأنت يا ابن عبّاس ابن عمّ أبي...»، إليّ أن قال:

«فإني مستوطنٌ هذا الحرم، ومقيمٌ فيه أبداً ما رأيتُ أهله يحبّونني وينصرونني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم يوم أُلقي في النار: حسيّ الله ونعم الوكيل. فكانت النار عليه برداً وسلاماً» (2).

ويمكن أن نلخص الكلام في هذا التصريح بالنقاط التالية:

ص: 231

1- يُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عسّكر: 14 / 210، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 141، بغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 419، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 164.

2- الفتوح لابن أعثم: 5 / 38 وما بعدها، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 190 وما بعدها.

النقطة الأولى: الاستيطان والإقامة أبداً

في هذا المقطع من الحوار بيان واضح وصريح لا لبس فيه ولا تغييش، ولا تعمية ولا تشويش، ينص فيه الإمام (عليه السلام) بكل وضوح وجلالٍ علي سبب القدوم إلى مكة، فهو يريد اتخاذ مكة وطناً يستقر فيه ويتوطن، ويريد أن يقيم فيه أبداً.. أي: أنه دخل مكة كي لا يخرج منها، وإنما يبقى فيها بقيّة العمر، وربما كان هذا من أوضح معاني الاستيطان والإقامة الأبدية.

فإذا لاحظنا تصريحه في نفس الحوار عن سبب خروجه من المدينة، وأنه كان مطارداً مطلوب الدم، فخرج -- حسب النص -- مرعوباً خائفاً لئلا تُهتَكَ به حرمة المدينة، بالإضافة إلى الدلائل والمؤشرات الأخرى الدالة على نفس المضمون.

ولاحظنا أيضاً أنه كان مطالباً بمناولة القرد المخمور المسعور، وأنه لن يقبل بالدنية ولن يؤثر طاعة اللئام علي مصارع الكرام، يتبين لنا أنه إنما قدم إلى مكة ليستوطنها وقيم بها أبداً باعتبارها الحرم الآمن الذي لا يفرع فيه من دخله.

أجل، إذا كان الحرم لا- يوفر له هذا الأمان لجرأة الطاغي علي حرّامات الله، فالإمام (عليه السلام) يأتي أن تهتَكَ به حرمة البيت الحرام، تماماً كما أبي أن تهتَكَ به حرمة المدينة المنورة، وسيكون حينئذٍ موقفٌ آخر سنسمعه فيما يلي.

إذن!

ما يفيد هذا النصّ الصريح أنّ الإمام (عليه السلام) إنّما قصد مكة ليستوطن فيها ويقيم فيها أبداً، بعد أن أزعج وأخرج من مدينة جدّه (صلي الله عليه وآله) ومولده اضطراراً.. وليس في الكلام سابقاً ولا لاحقاً ما يفيد -- ولو إشارة -- أنّ له غرضاً آخر غير ما ذكرنا من دخول مكة، والله العالم.

النقطة الثانية: شرط البقاء

إشارة

لقد اشترط الإمام (عليه السلام) للاستيطان في مكة والإقامة بها أبداً شرطاً ذا شعبتين:

الشعبة الأولى: الحبّ

الشعبة الأولى التي ذكرها الإمام (عليه السلام) قال: «ما رأيتُ أهله يحبّونني»، فهو علّق البقاء علي ما سيراه منهم، والمناطق هنا ما يُظهرونه له من الحبّ والنصرة، لا فيما يضمرونه له في قلوبهم، ولا بما يعلمه هو بما منحه الله وخوّله من علم الإمامة وما أطلعه الله علي قلوب العباد ومنوياتهم ومستقبلهم.

المطلوب: أحبّوني! أحبّوه شخصياً! أحبّوه هو بالذات..

ومما لا يشكّ فيه أحدٌ يزعم أنّه يؤمن بالله والنبّي (صلي الله عليه وآله) واليوم الآخر أنّ حبّ الحسين (عليه السلام) -- كما هو حبّ أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً -- واجبٌ مفروضٌ من الله علي العباد، وهو تكليفٌ إلهيٌّ وفرضٌ دينيٌّ نصّ عليه القرآن الكريم

ص: 233

والنبيّ الأمين (صلي الله عليه وآله)، وأكّدته الشريعة الربّانيّة بكلّ الوسائل.. ولسنا بصدد التّدليل علي ذلك وسرد النصوص المقدّسة المصرّحة بذلك، فإنّ ذلك من بديهيات الدين وضروريّات الإسلام، ولتفصيل الكلام فيها موضعٌ آخر.

فبغضّ النظر عن هذا، فإنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) هو بذاته محبوبٌ يتوفّر علي كلّ خصلةٍ ومحمّدةٍ وخُلُقٍ عظيم، وهو (ربّ النوع) لكلّ ما جعله الإنسان طول التاريخ من مُثُلٍ وقيمٍ كرّسها في الآلهة التي اصطنعها لنفسه كلّما عجز عن الوصول إلي الغاية في خصلةٍ من خصال الخير..

فهو الجمال، وهو الكمال، وهو الحبّ، وهو المودّة، وهو الرحمة، وهو العطاء والسخاء، والغوث، وكلّ ما يمكن أن يحبّه الإنسان السويّ..

وهو القائد، وهو الإمام، وهو الزعيم، وهو السيّد، وهو كلّ أملٍ يرجوه الإنسان في دنياه وآخرته..

ولو أردنا استقصاء ما في الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) من خصالٍ تأسر القلوب، وتأخذ بالعقول، وتسخر الألباب، وتستجيش العواطف، لطال بنا المقام..

فهو محبوبٌ فرضاً من الله، ومحبوبٌ بحسب فطرة الإنسان السويّ وطبعه وقيمه وأخلاقه ومُثله وتطلّعاته.

مع ذلك لم يطلب منهم ولم يكلفهم أكثر من أن يحبّوه، بل أن يري منهم ذلك! «ما رأيتُ أهله يحبّونني»!

رُوي عن الصادق (عليه السلام): «قال رسول الله (صلي الله عليه و آله): إِنَّ حَبَّ عَلِيٍّ قَدْ ذَفَّ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُهُ إِلَّا مُنَافِقٌ، وَإِنَّ حَبَّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ قَدْ ذَفَّ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَلَا تَرَى لَهُمْ ذَامًا» (1).

فمن أي أصناف المخلوقات كان أولئك الذين عاصروا الإمام (عليه السلام) أيام تواجده في مكة المكرمة؟

إنهم لم يُبدوا له الحب، عصياناً وعتوّاً علي أمر الله وأمر رسوله (صلي الله عليه و آله)، وتمرداً علي القرآن والسنة المطهرة، ومجانبةً للفترة السليمة والذوق البشري والطبع الإنساني، ومفارقةً لكل ما يمكن أن يجعلهم في صنف ذوي الإحساس والشعور والمعرفة وتتبع الخير واستشعار الجمال وإدراك السموّ والأخلاق والرفعة ...

إنهم أعرضوا عن وجه الله ولم يحبّوه، ولو أحبّوه لما خرج عن مكة، فلمّا خرج عن مكة عرفنا أنّهم لم يعوا شرطه، ولم يلتفتوا إليه، ولم يُظهروا له سوي وجوهاً ميتةً منطفأةً كالحة عبوسة مكفّهرة، وقلوباً منكوسةً معكوسةً متعوسةً منحوسةً..

ص: 235

1- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: 47 / 9 -- بتحقيق: السيّد علي أشرف، بحار الأنوار: 281 / 43 الباب 12.

النصره، كما أشرنا إلى المقصود منها مراراً عديدةً كلما دعت مناسبة الحديث إلى بيانها، فإنها هنا وفق مجريات الأحداث ومقتضيات الظروف وما تقرضه الأجواء التي خيمت علي المدينة يوم نزع عنها ريحانة النبي (صلي الله عليه وآله) وحبيب الله ورسوله، والأجواء التي ظللت مكة يوم أقام فيها قبل الخروج منها حين كان الإمام (عليه السلام) مهدور الدم، مطلوب الرأس، محكوماً بالقتل، ومرصوداً متربصاً به للاغتيال أو الأسر، كما أفادت النصوص المشار إليها في أكثر من موضع، كل ذلك شاهدٌ علي أن المقصود بالنصره إنما هو الذب والدفاع عن ابن بنت النبي (صلي الله عليه وآله)، ودفع القتل عنه، ومنع عادية القروء المسعورة وكبحها وقصّ مخالبتها وأظفارها، لئلا تشب بريحانة النبي (صلي الله عليه وآله)، فتقضي ديونها منه ومن أبيه وجدّه (عليهم السلام)، وتنتقم وتثار لفظائسها في بدر وأحد وغيرها من مشاهد النبي (صلي الله عليه وآله) وأخيه أمير المؤمنين (عليه السلام).

هذا هو المطلوب في تلك الأيام.. دفع القتل عن ابن النبي (صلي الله عليه وآله)، وحفظ النبي (صلي الله عليه وآله) في ولده.. والدلالات في المتون التاريخية صريحة واضحة بيّنة في ذلك.

وعلي فرض عدم التسليم بها -- إن أمكن ذلك، وهو بعيدٌ لصراحة المتون --، فإنه القدر المتيقن الذي لا يشك فيه من يقرأ التاريخ متصفحاً، فضلاً عما إذا كان متأملاً.

وبهذا القدر المتيقن أيضاً خانت الأمة بعهودها، وتكررت لبيعتهام مع

النبيّ (صلي الله عليه وآله) ، وأخلفت وعودها، وتركت ريحانة النبيّ (صلي الله عليه وآله) ولم تدفع عنه، ولم تمنعه، بل لم تعدّه النصره ولو كذباً، ولم تبرز له أيّ بادره تجعله يبقي في مكّه البلد الآمن، وهي قد تجمّعت للحجّ تطوف علي أحجار الكعبة وتتنقل في المشاعر المقدّسة.

لقد صرّح التاريخ وأبان الإمام (عليه السلام) نفسه -- فداء العالمين -- أنّه إن بقي في مكّه سيغتاله الطغاة، وأنّه إن بقي فإنّه مقتول لا محالة، ولهذا عجل الخروج من مكّه ولم ينتظر الموسم حتّى يتقضي، ولو كان فيهم عرق ينبض أو صباة من بقايا غيرة تجيش في أعماق النفوس لمنعه!

لقد تعجّل الإمام (عليه السلام) الخروج، وخرج بالفعل، وهذا يعني أنّهم لم ينصروه أبداً، ولم يعدّوه النصر والدفاع عنه، بل يبدو لمن تأمل في النصوص التاريخيّة أنّهم مارسوا طقوسهم وكأنّ شيئاً لم يكن.. «ما رأيتُ أهله يحبّونني وينصرونني!!».

النقطة الثالثة: فرض عدم توقّر الشرط

بغضّ النظر عن علم الإمام والإمامة، فإنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) يعرف القوم، وقد عركهم وخبرهم كأبرز شخصيّة وأهمّ رمزٍ عاصر محنة الإسلام والحقّ منذ عهد النبيّ (صلي الله عليه وآله) والسقيفة والشوري، وفتنة عثمان والتحكيم وما تلاها من أحداث جرت علي مرأي ومسمع منه، وقد رأى الناس في المدينة ومكّه والكوفة وغيرها من الحواضر والبلدان التي كانت تُسمّى يومها بلاد

المسلمين..

فالإمام (عليه السلام) يعرفهم من خلال سلوكهم وسوابقهم المعروفة -- وهو أعرف الخلق بالخلق --، لذا افترض فيهم أن يخذلوه، فقال: «فإذا هم خذلوني»..

مَن المقصود؟

أهل مكة؟

المجاورون؟

الحجاج والمعتمرون؟

وربّما كان المقصود جميع هؤلاء.. فإيّ واحدٍ كان قد دخل مكة يومذاك يمكن أن يحبّ الإمام الحسين (عليه السلام) وينصره ولا يخذله.

وقد صدق (عليه السلام)، وهو الصادق المصدّق، إذ أنّه جعل خذلانهم فرضاً مقابل فرض المحبّة والنصرة، فخذلوه بالفعل ولم ينصروه! سواءً كان قد استنهمهم واستنصرهم ودعاهم أو لم يفعل ذلك..

فإن كان قد استنهمهم واستنصرهم فخذلوه، فتلك الطامة الكبرى..

وإن كان لم يفعل ذلك، فهذا يعني أنّه لم يعدّ العدة لأمرٍ ما، وإتّما كان لا ينبغي منهم أكثر من الدفاع عنه، وكان عليهم أن يدفعوا عنه كمسلمٍ من المسلمين قد دخل بيت الله مستأمناً مستجيراً لأنّذاً عائداً بالله، فضلاً عن كونه سيّد شباب أهل الجتّة وابن النبيّ (صلي الله عليه و آله) وريحانته ووديعته في أمّته، إذ أنّهم كفروا بأمر الله وكذبوا رسوله (صلي الله عليه و آله) ولم يقبلوه إماماً مفترض

ص: 238

الطاعة منصوباً من الله (عزّ سلطانه).

وبهذا نعرف مدي خذلان القوم لسيد الشهداء (عليه السلام) وريحانة النبي (صلي الله عليه وآله)، إذ كان بمستويّ بحيث لو هجموا عليه وأرادوا قتله واغتياله كما ردّهم أحدُ أبدأ من أولئك الغوغاء وأشباه المسلمين الذين ملؤوا مكّة والمطاف والمشاعر يومها ضجيجاً وعجيجاً

النقطة الرابعة: البديل

إشارة

هنا قدّم الإمام (عليه السلام) البديل في حال خذله القوم ولم يحبّوه، وجاء البديل ضمن موقفين مترابطين يتمّ أحدهما الآخر:

الموقف الأوّل: الاستبدال

«استبدلت بهم غيرهم»..

جاء في حديث الأربعمئة المعروف من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) :

«عليكم بالمحجّة العظمي فاسلكوها، لا تستبدل بكم غيركم» (1). وورد في كثيرٍ من الأدعية الشريفة عن أهل البيت (عليهم السلام) توّسل العبد بالله أن يجعله ممّن ينتصر به لدينه ولا يستبدل به غيره..

وأن يستبدل الإمام (عليه السلام) قوماً بغيرهم يعني أنّ الله يستبدلهم.. يعني

ص: 239

أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِمَّنْ يَنْتَصِرُ اللَّهُ بِهِمْ لَدِينِهِ.. يَعْنِي أَنَّهُمْ خَذَلُوا اللَّهَ وَخَذَلُوا رَسُولَهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَخَذَلَهُمْ وَأَوْكَلَهُمْ إِلَيَّ أَنْفُسَهُمْ..

وقد افترض الإمام خامس أصحاب الكساء (عليهم السلام) فرضاً أن لو خذلوه ولم ينصروه فإنه سوف يستبدل بهم غيرهم.. بمعنى أنه سيغادر بلدهم ويتركهم ويرحل إلى قوم آخرين، يخرج إلي حيث يجد من يدفع عنه وينصره ويمنع عنه عادية الطغاة، يهاجر إلي حيث أمره الله وأعد له نصره، ليجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم.

كلمات الإمام (عليه السلام) تذكّرنا بقوة بما جري في هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) من مكة، وترسم لنا مشهداً متطابقاً مع تلك المرحلة من حياة الإسلام.. قال (تعالى):

(إِلَّا تَتَّبِعُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (1).

فاستبدلهم بقوم آخرين سيكون فيه العزة والنصرة له، والخزي والعار والذل والصغار لأعدائه وخاذليه.

ص: 240

«واستعصمتُ بالكلمة التي قالها إبراهيم يوم أُلقيَ في النار: حسبي الله ونعم الوكيل. فكانت النار عليه برداً وسلاماً»..

ورد في الأحاديث الشريفة:

إن إبراهيم الخليل (عليه السلام) لما أُريد قذفه في النار، فرُمِيَ به في المنجنيق، فبعث الله جبرئيل فقال له: أدركْ عبيدي. فجاء فلقية في الهواء، فقال له: كلّفني ما بدا لك، فقد بعثني الله لنصرتك. فقال إبراهيم: حسبي الله ونعم الوكيل، إني لا أسأل غيره ولا حاجة لي إلا إليه (1).

وفي لفظٍ آخر:

قال: لا أقترح علي ربي، بل حسبي الله ونعم الوكيل (2). فكانت النار عليه برداً وسلاماً. وبهذا أعلن الإمام (عليه السلام) أنه في غني عن العالمين، ولا يحتاج أحداً من أهل مكة للدفاع عنه ولا لنصرته، فهو في حمي الله، وهو متوكّل عليه، وهو نعم الوكيل، وهو لا يحتاج سوي ربه وبه قد استعصم.. فمن خذل! إنما

ص: 241

1- أنظر: الاحتجاج للطبرسي: 1 / 24، تفسير الصافي للكاشاني: 1 / 504، بحار الأنوار: 9 / 260.

2- الدعوات للراوندي: 168.

غرّته الدنيا وباع حظّه بالأرذل الأدني، وشري آخرته بالثمن الأوكس، وتغطرس وتردّي في هواه، وأسخط نبيّه، وأطاع من أهل الشقاق والنفاق وحملة الأوزار المستوجبين النار..

أمّا الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه، فلا يضّرّه كيدهم شيئاً، ولا يحتاج نصرتهم، والله وليّه وناصره وحاميه.

النقطة الخامسة: التشبيه بإبراهيم الخليل

إنّ استعصام الإمام (عليه السلام) بكلمة جدّه إبراهيم الخليل (عليه السلام) أشار إلي المشهد الذي تعرّض له جدّه، والنتيجة التي تحقّقت بعد أن قال كلمته وثبت عليها..

والمشهد -- باختصار -- هو اجتماع المأ والطاغوت يومها للقضاء علي إبراهيم (عليه السلام) وقتله، والقضاء عليه بقتله ورميه في النار.. وكان إبراهيم الخليل (عليه السلام) نفسه مقصوداً مطلوباً للقتل ميّتاً له، قد أعدوا النار واستعدّوا، وجمعوا الناس وحشدوا ليتفرّجوا وينظروا سطوة الطاغوي وتنكيله بأعدائه.

وهو يفيد أنّ الإمام (عليه السلام) أيضاً كان مطلوباً، يقصد القوم قتله وإراقة دمه، إن بالاعتقال أو الفتك به ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، تماماً كجدّه إبراهيم (عليه السلام) .

فإذا استعصم الإمام (عليه السلام) بكلمة جدّه ستكون النتيجة تماماً كنتيجة جدّه، إذ جعل الله عليه النار برداً وسلاماً، وأنجاه الله من القتل والإحراق

وأخرجه سالماً..

وربّما أفاد هذا أنّ الإمام (عليه السلام) أشار بذلك إليّ أنّه سيخرج من مكّة سالماً، وأنّهم رغم تجييشهم واستعدادهم وإقدامهم الوقح عليّ إراقة دمه المقدّس في مكّة، فإنّ الله سيجعل له ذلك أمناً وأماناً، ولا يجسر أحدٌ عليّ فعل شيء، والله وكيله وحسبه.. فإنّ مكّة ستكون عليه برداً وسلاماً تماماً كما كانت النار عليّ جدّه إبراهيم (عليه السلام) برداً وسلاماً.

ولو أردنا حصر المشهد في جملة، نقول:

إنّ خذّل أهل مكّة ولم ينصروا الإمام (عليه السلام) وكانوا عليه إلباً مع الطاغوت كما كان القوم زمن أبيه إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فإنّ الإمام (عليه السلام) أخبر أنّه سيستبدل بهم غيرهم، فيحرمون من هذا الشرف العظيم والخاتمة الحسنة، ويستعصم بكلمة جدّه، فيعلن غناه عنهم، وأنّ الله الذي جعل النار عليّ جدّه برداً وسلاماً سيجعل له مكّة أمناً وأماناً رغم أنوفهم حتّى يخرج منها سالماً.

ص: 243

المنازل بين مكة والمدينة

المسافة بين المدينة ومكة

المسافة من المدينة إلى مكة مئتان وخمسة وعشرون ميلاً، ومن المدينة إلى مكة عشر مراحل (1) في طريق الجادة (2)، وهي عامرة أهلة (3).

والمرحلة: هي ما بين المنزلين (4).

والمنزل: هو الموقع المأهول بالسكان، وتوجد بها مياه، ويكون بين مراحل السفر (5)، والحاج ينزلون هذه المنازل وغيرها من المناهل (6).

ومجموع المسافة بين الحرمين هي زهاء أربعمئة كليومتر بالحساب

ص: 245

-
- 1- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإديسي (ت القرن 6): 1 / 143، مسالك الممالك للاصطخري، ليدن (ت القرن 4): 27.
 - 2- صورة الأرض لابن حوقل (ت 367): 1 / 40، معجم البلدان لياقوت: 4 / 493.
 - 3- البلدان لليعقوبي (ت 284): 153.
 - 4- أنظر: لسان العرب: مادة رحل.
 - 5- أنظر: طريق الأنبياء: 1.
 - 6- البلدان لليعقوبي (ت 284): 153.

المعاصر، أو تربو قليلاً.

فتكون كلّ مرحلةٍ ما يقارب أربعين كليومتراً، وهو معدّل ما يستغرقه المسافر ليقطع هذه المسافة في يومٍ واحدٍ عادة، سواءً كان السفر مشياً أو علي ظهر الدواب، وقد أكّدت ذلك النصوص الشرعية الواردة في بيان أحكام صلاة المسافرين.

قال العلامة المجلسي: ذهب علماؤنا أجمع إلي أنّ القصر يجب في مسير يومٍ تامّ، بريدان، أربعة وعشرون ميلاً (1)، والبريد -- بالفتح علي فَعِيل -- : أربعة فراسخ، اثنا عشر ميلاً (2).

المراحل بين الحرمين

إشارة

المراحل علي الطريق بين مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة عددها عشرة:

المرحلة الأولى:

تبدأ المرحلة الأولى بالخروج من المدينة غرباً، ثمّ ذي الحليفة، ويتّجه إلي البيداء (تسمي الآن: صمد صلصل)، ثمّ يصعد في ثنية الحفيرة (تسمي الآن: المفرحات)، ثمّ يهبط وادي ملل، ثمّ وادي مري، ثمّ وادي الغميس، ثمّ يمرّ علي صخيرات اليمام، ثمّ السبالة، وهي المحطّة الأولى.

ص: 246

1- مرآة العقول للعلامة المجلسي: 15 / 374.

2- أنظر: مجمع البحرين للطريحي: مادة برد.

المرحلة الثانية:

تبدأ المرحلة الثانية من السيالة، ثم شرف الروحاء، وبها مسجد للنبيّ (صلي الله عليه وآله)، ثم يمرّ الطريق بعرق الظبية وفجّ الروحاء، وفيهما مسجداً نبويّان، أحدهما في عرق الظبية (معروف الآن)، والآخر في وسط الروحاء، صلّي فيه النبيّ (صلي الله عليه وآله) عدّة مراتٍ في روحه وإياه من غزوة بدر والفتح وغيرهما، وهذا المسجد بالذات ما زال موجوداً، وكانت تُقام فيه الصلاة منذ العهد النبويّ وإلى وقتٍ ليس ببعيد، وهو علي الجادة العظمي.

المرحلة الثالثة:

تبدأ المرحلة الثالثة من الروحاء باتجاه الغرب إلى المنصرف (المسيجد)، وبها مسجدٌ نبويّ مشهور، ثمّ الاتجاه جنوباً إلى الرويثة (محطّة خالص)، ثمّ الجي (البنانية)، ثمّ شرف الأثاية (الشفية)، ثمّ العرج (النظيم).

المرحلة الرابعة:

من العرج (النظيم)، إلي يدعا (الوطية)، ثمّ الطلوب (الحفاة)، ثمّ القاحة (بئر قيصي)، ثمّ السقيا (أمّ البرك).

المرحلة الخامسة:

من السقيا (أمّ البرك)، ثمّ البستان (معروف).

المرحلة السادسة:

من البستان (معروف)، ثم إلى الأبواء، ثم ثنية هرشي (معروفة)، ثم الجحفة.

المرحلة السابعة:

من الجحفة، ثم إلى كلية، ثم قديد.

المرحلة الثامنة:

من قديد، ثم إلى ثنية لفت (لفيت)، ثم أمج (خليص)، ثم عسفان.

المرحلة التاسعة:

من عسفان، ثم إلى مرّ الظهران (وادي فاطمة).

المرحلة العاشرة:

من مرّ الظهران (وادي فاطمة)، ثم إلى سرف (النوارية)، ثم التنعيم، وهو حدّ الحرم المكي من الناحية الشماليّة (1).

ص: 248

1- أنظر: طريق الأنبياء: 3.

(1) ذو الحليفة

أولها ذو الحليفة، ومنها يُحرم الحاج إذا خرجوا من المدينة (1)، وهو كان منزل رسول الله (صلي الله عليه وآله) إذا خرج من المدينة لحج أو عمرة، فكان ينزل تحت شجرة في موضع المسجد الذي بذى الحليفة اليوم، وثبت أنه (صلي الله عليه وآله) وقت لأهل المدينة ذا الحليفة (2). وهي من مياه بني جشم بن بكر بن هوازن (3).

(2) الحفير، أو الحفيرة (بئر)

الحفير (ة): بعد ذي الحليفة، كان ينزله رسول الله (صلي الله عليه وآله) (4)، وهي منازل بني فهر من قريش (5)، بينه وبين ذي الحليفة ثمانية أميال، فيه متعشي وبئر عذبة (6).

ص: 249

1- البلدان لليعقوبي: 152.

2- الروض المعطار: 196.

3- مرصد الاطلاع: 1 / 420.

4- المعالم الأثيرة: 102.

5- البلدان لليعقوبي: 151.

6- معجم ما استعجم: 2 / 465.

(3) ملل، أو فرش ملل (الفرش)

مَلَل -- بالتحريك ولا مين -- بلفظ الملل، من الملل، موضع في طريق مكة بين الحرمين، بينه وبين المدينة ليلتان، وهو وادٍ ينحدر من ورقان جبل لمزينة حتّى يصبّ في الفرش، فرش سويقة، وهو مبتدأ مُلِك بني الحسن بن عليّ بن أبي طالب وبني جعفر بن أبي طالب، ثمّ ينحدر من الفرش حتّى يصبّ في إضم، وإضم وادٍ يسيل حتّى يفرغ في البحر، فأعلي إضم القناة التي تمرّ دوين المدينة (1).

وبملل آبار كثيرة: بئر عثمان، وبئر مروان، وبئر المهدي، وبئر المخلوع، وبئر الوثاق، وبئر السدرة (2).

وكان رسول الله (صلي الله عليه وآله) ينزل ملل (3)، وفيها آثار، وكان كثير عزة يقول: إنّما سمّيت ملل لتملّل الناس بها، وكان الناس لا يبلغونها حتّى يملّوا (4).

قال ابن الكلبي: لمّا صدر تبع عن المدينة يريد مكة بعد قتال أهلها، نزل ملل وقد أعيأ وملّ، فسماها ملل.

وقيل لكثير: لمّ سُمّي ملل مللاً؟ فقال: ملّ المقام. وقيل: فالروحاء؟ قال:

ص: 250

1- معجم البلدان: 5 / 195.

2- مرصد الاطلاع: 3 / 1310.

3- أنظر: معجم ما استعجم: 2 / 465.

4- الروض المعطار: 547.

لانفراجها وروحها. قيل: فالسقى؟ قال: لأنهم سقوا بها عذباً. قيل: فالأبواء؟ قال: تبوّؤوا بها المنزل. قيل: فالجُحفة؟ قال: جحفهم بها السيل.
قيل: فالعرج؟ قال: يعرج بها الطريق. قيل: فقديد؟ ففكر ساعة، ثم قال: ذهب به سيله قدّاً، وعسفان: لتعسف السيول هاهنا، ليس لها مسيل،
ومرّ: لمرارة مياهها.

وملل يميل يسرّة عن الطريق إلى مكّة، وهو طريقٌ يخرج إلى السّيالة، وهو أقرب من الطريق الأعظم، ومن ملل إلى السّيالة سبعة أميال.

وعلي ثلاثة أميال من القرية عشرة أنقرة، عملت في رأس عين، شبيهةً بالحياض، تعرف بأبي هشام (1).

(4) السّيالة

بفتح أوّله: قرية جامعة، بينها وبين المدينة تسعة وعشرون ميلاً، وهي الطريق منها إلى مكّة، وبين السّيالة وملل سبعة أميال، وملل أدني إلى
المدينة، وقبل أن تصل إلى السّيالة بميلين مسجدٌ لرسول الله (صلي الله عليه وآله)، وهي ثلاثة مساجد لرسول الله (صلي الله عليه وآله)
في طريق مكّة، أوّلها مسجد الحرّة، والثاني مسجد الشجرة، والثالث مسجد السّيالة عند شجرة الطلع.

هذه المساجد التي بُنيت علي عهد رسول الله (صلي الله عليه وآله)، فأما مواضع

ص: 251

صلواته من الطريق المذكورة فكثيرة معلومة، قد اتخذت بعده مساجد، بالأثاية، والعرج، وغيرهما.

والسيالة لولد الحسن بن علي (عليهما السلام)، ومنها إلي الروحاء اثنا عشر ميلاً، وبالسيالة آبار أعظمها بئر الرشيد، فتحها تسع أذرع (1).

(5) الروحاء

بفتح أوله، وبالحاء المهملة، ممدود: قرية جامعة لمزينة (2)، وروي غير واحد أن رسول الله (صلي الله عليه وآله) قال -- وقد صلّي في المسجد الذي ببطن الروحاء عند عرق الطيبة -- : «هذا وإي من أودية الجنة، قد صلّي في هذا المسجد قبلي سبعون نبياً، وقد مرّ به موسى بن عمران حاجاً أو معتمراً في سبعين ألفاً من بني إسرائيل علي ناقه له ورقاء، عليه عباءتان قطوانيتان، يلبي، وصفح الروحاء تجاوبه».

وقال مالك: كانت الروحاء متصلة البيوت ...

قيل: وسُمّيت الروحاء لكثرة أرواحها، وفيها بناء يزعمون أنه قبر مضر ابن نزار، والروحاء هي السيالة، وفيها أهل وسوق صغير، وماؤها من الآبار، وتباع بها شواهين وصقور (3).

ص: 252

1- معجم ما استعجم: 3 / 770.

2- معجم ما استعجم: 2 / 682.

3- أنظر: الروض المعطار: 278، معجم ما استعجم: 2 / 682.

وهو الموضوع الذي نزل به تتبع حين رجع من قتال أهل المدينة يريد مكة، فأقام بها وأراح، فسماها الروحاء (1).

ونزلها رسول الله (صلي الله عليه وآله) في طريقه إلى مكة، ولها ذكر في السيرة والأحاديث (2).

والروح والراحة من الاستراحة، ويوم روح أي طيب، وأظنه قيل للبقعة: روحاء، أي طيبة ذات راحة، وقدر روحاء: في صدرها انبساط، وقصعة روحاء: قرية القعر، ويعضد ما قلناه ما ذكره ابن الكلبي قال: لما رجع تبع من قتال أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء، فأقام بها وأراح، فسماها الروحاء.

وسئل كثير: لم سميت الروحاء روحاء؟ فقال: لانفتاحها ورواحها، وهي من عمل الفرع (3).

(6) عرق الظبية، ظبية

بالضم ثم السكون، وياء مثناة من تحت خفيفة، هكذا ضبطه أهل الإتيان، وهو عرق الظبية.

ص: 253

1- مرصد الاطلاع: 2 / 638.

2- المعالم الأثيرة: 131.

3- معجم البلدان: 3 / 76.

قال الواقدي: هو من الروحاء علي ثلاثة أميالٍ ممّا يلي المدينة، ويعرق الظبية مسجد للنبيّ (صلي الله عليه وآله).

وقال ابن إسحاق في غزوة بدر: مرّ (عليه الصلاة والسلام) علي السيّالة، ثم علي فجّ الروحاء، ثم علي شنوكة، وهي الطريق المعتدلة، حتّي إذا كان بعرق الظبية، قال السهيلي: الظبية شجرة تشبه القتادة يُستظلّ بها، وجمعها: ظبيان علي غير قياس.

وفي كتاب نصر: عرق الظبية بين مكّة والمدينة قرب الروحاء، وقيل: هي الروحاء بنفسها (1).

(7) المنصرف (المسيحيد)

بالضمّ، وفتح الراء: موضعٌ بين مكّة وبدر، بينهما أربعة برد.

قال ابن إسحاق: ثم ارتحل من سجسج بالروحاء، حتّي إذا كان بالمنصرف ترك طريق مكّة بيسار وسلك ذات اليمين علي النازية، يعني النبيّ (صلي الله عليه وآله) (2). والمنصرف: يُعرف اليوم بالمسيحيد، نسبةً إليّ مسجدٍ لرسول الله (صلي الله عليه وآله)، ما زالت آثاره هناك، وهي اليوم بلدة عامرة علي مسافة ثمانين كيلاً، من

ص: 254

1- معجم البلدان لياقوت: 4 / 58.

2- معجم البلدان: 5 / 211.

(8) الرويثة

بضمّ أوله، وفتح ثانيه، وبالثاء المثلثة، علي لفظ التصغير: قريةٌ جامعَةٌ أيضاً، وبين الرويثة والمدينة سبعة عشر فرسخاً، ومن الرويثة إلي السقيا عشرة فراسخ، وعقبة العرج علي أحد عشر ميلاً من الرويثة، بينها وبين العرج ثلاثة أميال.

وكان ينزل تحت سرحة ضخمة عن يمين الطريق، ووجه الطريق، في مكانٍ بطح سهل، حتّي يفضي من أكمة دون الرويثة بميلين، وقد انكسر أعلاها، فانثني في جوفها وهي قائمة علي ساق، وفي ساقها كشب كثيرة.

وكان رسول الله (صلي الله عليه وآله) يسير من الرويثة فينزل الأثاية، وهي بنرٌ دون العرج بميلين، عليها مسجد للنبي (صلي الله عليه وآله) ، وبالأثاية أبيات وشجر أراك، وهناك ينتهي حدّ الحجاز (2).

(9) الصفراء

بالتأنيث، وادي الصفراء، من ناحية المدينة، في طريق الحاج، بينه وبين بدر مرحلة (3).

ص: 255

1- المعالم الأثيرة: 280.

2- معجم ما استعجم: 2 / 687.

3- مرصد الاطلاع: 2 / 844.

وهي قريةٌ فوق ينبع، علي ستّ مراحل من المدينة، وهي كثيرة المزارع والتخل، وماؤها يجري إلي ينبع ورضوي غربيّها، وبين ينبع والمدينة ستّ مراحل، ويسكن في الصفراء جُهينة والأنصار ونهد.

وبالصفراء مات عُبيدة بن الحارث بن المطلب، وكانت قُطعت رجله ببدر، فوصل إليها مرتّناً، وقالت امرأته ترضيه:

لقد ضمّنا الصفراء مجداً وسؤدداً

وحلماً أصيلاً وافر اللبّ والعقل

وفيها أو بقربٍ منها قتل رسولُ الله (صلي الله عليه وآله) النضر بن الحارث مرجعه من بدر بموضعٍ يُقال له: الأثيل (1).

وهي واد، وقرية، نزله رسول الله (صلي الله عليه وآله) غير مرّة.

أمّا القرية: فتسمّي اليوم الواسطة، وأمّا وادي الصفراء: فهو وادٍ من أودية الحجاز الفحول، كثير القري والخيوف -- جمع خيف --، وإذا خرجت من المدينة إلي بدر فتجاوزت (الفريش) فأنت في أول وادي الصفراء، ثمّ تسير فيه مارّاً بالمسيجيد، والخيف، والواسطة (الصفراء قديماً)، حتّي تتجاوز بدرأً، فهو يلقاك علي مسافة واحدٍ وخمسين كيلاً من المدينة، في طريق بدر (2).

ص: 256

1- الروض المعطار: 362.

2- المعالم الأثيرة: 160.

قال عزّام بن الأصبع السلمي: الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع، وماؤها عيون كلّها، وهي فوق ينبع ممّا يلي المدينة، وماؤها يجري إلى ينبع، وهي لجهينة والأنصار ولبنى فهر ونهد، ورضوي منها من ناحية المغرب علي يوم، وحوالي الصفراء قنان وضعاضع صغار، واحدها ضعضاع، والقنان وضعاضع: جبال صغار، وواحدة القنان قنة (1).

ومن عيونها عينٌ يقال لها: البحيرة، أغزر ما يكون من العيون، تجري بين أحياء رمل، فلا تمكن الزارعين غلتها إلا في مواضع يسيرة، تتخذ فيها البقول والبطيخ (2).

(10) بدر

ماءٌ علي ثمانية وعشرين فرسخاً من المدينة في طريق مكة، وبين مدينة الجار إلي بدر نحو المشرق إذا أردت المدينة عشرون ميلاً، وهناك قرية فيها حدائق نخل، وبدر عين فؤارة، وموضع القليب الذي كانت يازائه الوقعة المباركة الإسلامية، هو اليوم نخيل، وموضع الشهداء خلفه، وبدر عينان جاريتان عليهما الموز والعنب والنخل.

قيل: سُميت بدرًا لأنه كان ماءً لرجل من جهينة اسمه بدر.

ص: 257

1- معجم البلدان: 3 / 412.

2- معجم ما استعجم: 3 / 836.

وبدر موسمٌ من مواسم العرب، ومجمعٌ من مجامعهم في الجاهليّة، وبها قلبٌ وميأةٌ وآبارٌ ورياضٌ يقال لها: الأثيل، منها ينبع والصفراء والجار والجحفة.

وببدر جبلٌ عظيمٌ من رملٍ شديد البياض، كان بياضه إذا طلعت عليه الشمس يعشي الأَبصار (1).

قال ياقوت: بدر : بالفتح ثمّ السكون، قال الزجاج: بدر أصله الامتلاء، يقال: غلام بدر، إذا كان ممتلئاً شاباً لحماً، وعين بدرة، ويقال: قد بدر فلان إلى الشيء وبادر إليه، إذا سبق، وهو غير خارجٍ عن الأصل، لأنّ معناه استعمل غاية قوّته وقدرته علي السرعة، أي استعمل ملء طاقته، وسمي ببدر الطعام بيدرأً، لأنّه أعظم الأمكنة التي يجتمع فيها الطعام، ويقال: بدرت من فلان بادرة، أي سبقت فعلة عند حدّة منه في غضب بلغت الغاية في الإسراع، وقوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا) (2)، أي مسابقةً لكبرهم، وسمي القمر ليلة الأربعاء عشر بدرأً لتمامه وعظمه.

وبدر: ماءٌ مشهورٌ بين مكّة والمدينة أسفل وادي الصفراء، بينه وبين الجار -- وهو ساحل البحر -- ليلة، ويقال: إنّه يُنسب إلى بدر بن يخلد بن

ص: 258

1- أنظر: الروض المعطار للحميري: 84، معجم ما استعجم: 1 / 231.

2- سورة النساء: 6.

النضر بن كنانة، وقيل: بل هورجلٌ من بني ضمرة سكن هذا الموضع فُنسب إليه، ثم غلب اسمه عليه.

وقال الزبير بن بكار: قريش بن الحارث بن يخلد، ويقال: مخلد بن النضر بن كنانة، به سميت قريش، فغلب عليها، لأنه كان دليلها وصاحب ميرتها، فكانوا يقولون: جاءت غير قريش وخرجت غير قريش، قال: وابنه بدر بن قريش، به سميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة، لأنه كان احتفراها، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرّق بين الحق والباطل ...

وبين بدر والمدينة سبعة برد: برید بذات الجيش، وبرید عبّود، وبرید المرغة، وبرید المنصرف، وبرید ذات أجدال، وبرید المعلاة، وبرید الأئيل، ثم بدر، وبدر الموعد وبدر القتال وبدر الأولي والثانية كلّه موضعٌ واحد (1).

(11) الأثاية

بفتح الهمزة، وبعد الألف ياءً مفتوحة: من أثيت به إذا وشيت، يقال: أثابه، يَأْثُو، ويَأْثِي أيضاً إْثَاوَةً وإْثَايَةً، ولذلك رواه بعضهم بكسر الهمزة.

وأبار الأثاية: تسمي اليوم بئر الشفيرة، وهي عدّة آبار، ما زال يُستقى من بعضها، وتبعد نحو 34 كيلاً عن المسيجيد (المنصرف) في طريق المدينة

ص: 259

المؤدّي إلي بدر، وتبعد عن الطريق المعبد نحو أربعة أكيالٍ إلي اليمن، وقد ذكروا أنّ بها مسجداً لرسول الله (صلي الله عليه وآله) (1).

(12) العرج

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وجيم: قرية جامعة علي طريق مكة، بينها وبين المدينة تسعة وتسعون فرسخاً، وهو في الطريق الذي سلكه رسول الله (صلي الله عليه وآله) حين هاجر إلي المدينة، وتسمي العرج بتعريج السيول به، وإليها ينسب العرجي الشاعر، ووادي العرج فيه عين من يسار الطريق في شعب بين جبلين، وعلي ثلاثة أميال منه مسجد النبي (صلي الله عليه وآله) يدعي (مسجد العرج)، ومن العرج إلي السقيا سبعة عشر ميلاً.

ومن حديث محمد بن المنكدر: أنّ عبد الله بن الزبير بينا هو يسير إلي الأثاية من العرج في جوف الليل، إذ خرج إليه رجل من قبر في عنقه سلسلة، وهو يشتعل ناراً ويقول: يا عبد الله أفرغ عليّ من الماء! ووراء رجل آخر يقول: يا عبد الله لا تفعل؛ فإنه كافر! حتى أخذ بسلسلته فأدخله قبره (2).

والعرج من بلاد أسلم (3).

ص: 260

1- المعالم الأثيرة: 15.

2- الروض المعطار للحميري: 409.

3- معجم ما استعجم: 3 / 931.

قال أبو زيد: العرج: الكبير من الإبل. وقال أبو حاتم: قال ياقوت: إذا جاوزت الإبل المئتين وقاربت الألف، فهي عرج وعروج وأعراج. وقال ابن السكيت: العرج من الإبل نحو من الثمانين.

وقال ابن الكلبي: لمّا رجع تُبّع من قتال أهل المدينة يريد مكة، رأى دوابّ تعرج، فسمّاها العرج، وقيل لكثير: لمّ سُمّيت العرج عرجاً؟ قال: يعرج به عن الطريق (1).

(13) السقيا

بالضمّ، ثمّ السكون، ثمّ مثناة تحتانيّة، مقصور: قريةٌ جامعةٌ من عمل الفرع، بينهما ممّا يلي الجحفة تسعة عشر ميلاً، وقيل: تسعة وعشرون (2)، بالحجاز، في طريق مكة من المدينة، ومن العرج إلى السقيا ستة وثلاثون ميلاً، وهي منزلٌ عظيمٌ فيه أهلٌ كثيرٌ وبساتين كثيرة، وفيه شجرٌ ونخيل، ومن السقيا إلى الأبواء سبعةً وعشرون ميلاً (3).

قال ياقوت: بضمّ أوّله وسكون ثانيه، يقال: سقيت فلاناً وأسقيته، أي قلت له سَقياً -- بالفتح --، وسقاه الله الغيث وأسقاه، والاسم السُقيا بالضمّ.

ص: 261

1- معجم البلدان: 4 / 99.

2- مرصد الاطلاع: 2 / 721.

3- الروض المعطار: 327.

وسئل كثير: لم سميت السقيا سقيا؟ فقال: لأنهم سقوا بها عذبا. قيل: إن رسول الله (صلي الله عليه وآله) كان يستقي الماء العذب من بيوت السقيا، وفي خبر آخر: كان يستعذب الماء العذب من بيوت السقيا.

وقال ابن الكلبي: لما رجع تبع من قتال أهل المدينة يريد مكة، فنزل السقيا وقد عطش، فأصابه بها مطر، فسمّاها السقيا.

وقال الخوارزمي: هي قرية عظيمة، قريبة من البحر علي مسيرة يوم وليلة (1).

وهي كثيرة الآبار والعيون والبرك، وكثير منها صدقات للحسن بن زيد.

وعلي ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها: تعهن، وكانت تسكنها امرأة يقال لها: أم عقي، ويروي أن النبي (صلي الله عليه وآله) دعا عليها؛ لأنه استسقاها فلم تسقه، وهناك صخرة يذكرون أنها مسخ تلك المرأة، فهم يدعون تلك الصخرة أم عقي، وصلي النبي (صلي الله عليه وآله) وآله هناك، وبني به مسجداً (2).

اللهم العن من استسقاها حبيب النبي (صلي الله عليه وآله) وريحانته فلم يسقوه، وسقوه أنابيب القني والسيوف والنبال حتي قضني عطشاً هو وأهل بيته وأصحابه!

ص: 262

1- معجم البلدان: 3 / 228.

2- معجم ما استعجم: 3 / 743.

بافتح ثم السكون وواو وألف ممدودة، قال قوم: سُمِّيَ بذلك لما فيه من الوباء، ولو كان كذلك لقليل: الأَبْواءُ، إلا أن يكون مقلوباً.

وقال ثابت بن أبي ثابت اللغوي: سُمِّيَتِ الأَبْواءُ لتبوء السيول بها، وهذا أحسن.

وقال غيره: الأَبْواءُ، فعلاء، من الأَبْوة، أو أفعال، كأنه جمع بؤ، وهو الجلد الذي يحشي ترأمه الناقة فتدرّ عليه إذا مات ولدها، أو جمع بوي، وهو السواء، إلا أن تسمية الأشياء بالمفرد ليكون مساوياً لما سُمِّيَ به أولي، ألا ترى أننا نحتال لعرفات وأذرعَات، مع أن أكثر أسماء البلدان مؤنثة؟ فعلاء أشبه به مع أنك لو جعلته جمعاً لاحتجت إلي تقدير واحده.

وسئل كثير الشاعر: لم سُمِّيَتِ الأَبْواءُ أبواء؟ فقال: لأنهم تبؤوا بها منزلاً.

والأَبْواءُ قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

وقيل: الأَبْواءُ: جبلٌ علي يمين آرة، ويمين الطريق للمصعد إلي مكة من المدينة، وهناك بلدٌ يُنسب إلي هذا الجبل، وقد جاء ذكره في حديث الصعب بن جثامة وغيره.

قال السكّري: الأَبْواءُ جبلٌ شامخٌ مرتفع، ليس عليه شيءٌ من النبات غير الخزم والبشام، وهو لخزاعة وضمرة.

وبالأبواء قبر أمّنة بنت وهب أمّ النبيّ (صلي الله عليه وآله) (1)، وبها عبد الله بن جعفر الصادق (عليه السلام) (2).

وهي قرية جامعة بين مكّة والمدينة وسطاً من المسافة، وفي واديها من نبات الطرفاء ما لا يُعرف بوادٍ أكثر منه، وهي قرية حصينة كثيرة الأهل، وماؤها من الآبار، والبحر منها قريب، وبينها وبين السقيا سبعة وعشرون ميلاً (3).

(15) الجحفة

بالحجاز قرية جامعة لها منبر، بينها وبين البحر ستّة أميال، وبينها وبين مكّة نحو ستّة وسبعين ميلاً، وهي منزلٌ عامرٌ أهلٌ فيه خلق، ولا سور عليه، والجحفة ميقات أهل الشام ومصر والمغرب، وبين الجحفة وعسفان غدير خمّ، وبقرب غدير خمّ موضع خيمتي أمّ معبد الخزاعية، وبين خيمتي أمّ معبد وقديد ميلان.

وسُمّيت الجحفة جحفةً لأنّ السيول أجحفتها.

وذكر ابن الكلبي أنّ العماليق أخرجوا بني عييل -- وهم إخوة عاد -- من

ص: 264

1- أنظر: معجم البلدان لياقوت: 1 / 80.

2- أنظر: الإشارات إلي معرفة الزيارات: 77.

3- أنظر: الروض المعطار: 6، مرصد الاطلاع: 1 / 19.

يُثْرَبُ فَنزَلُوا الْجَحْفَةَ، وَكَانَ اسْمُهَا مَهْيَعَةً، فَجَاءَهُمْ سَيْلٌ فَأَجْحَفَهُمْ، فَسُمِّيَتْ الْجَحْفَةُ، وَفِي أَوَّلِ الْجَحْفَةِ مَسْجِدُ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَبَيْنَ الْجَحْفَةِ وَالْبَحْرِنَحْوِ سِتَّةَ أَمْيَالٍ.

وَعَدِيرُ حَمِّ عَلِيٍّ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ مِنَ الْجَحْفَةِ يَسْرَةً عَنِ الطَّرِيقِ، وَهَذَا الْعَدِيرُ تَصَبَّ فِيهِ عَيْنٌ وَحَوْلُهَا شَجَرٌ كَثِيرٌ مُلْتَفٌّ، وَهِيَ الْغَيْضَةُ الَّتِي تَسْمَى حُمَّ، وَبَيْنَ الْعَدِيرِ وَالْعَيْنِ مَسْجِدُ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) [\(1\)](#)، وَهَنَّاكَ نَخْلُ ابْنِ الْمَعْلِيِّ وَغَيْرِهِ، وَبَعْدِيرُ حَمِّ قَالَ النَّبِيُّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» [\(2\)](#)، وَذَلِكَ مَنْصَرَفُهُ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الشَّيْعَةِ:

وَيَوْمًا بِالْعَدِيرِ عَدِيرُ حَمِّ

أَبَانَ لَهُ الْوَلَايَةَ لَوْ أُطِيعَا [\(3\)](#)

وَكَانَتْ الْجَحْفَةُ قَرْيَةً كَبِيرَةً، ذَاتُ مَنْبَرٍ [\(4\)](#)، وَفِي أَوَّلِ الْجَحْفَةِ مَسْجِدُ النَّبِيِّ (صَلِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ (عَزُور)، وَفِي آخِرِهَا عِنْدَ الْعَلَمِينَ مَسْجِدُ الْأَثَمَةِ، وَبَيْنَ الْجَحْفَةِ وَالْبَحْرِ نَحْوُ مِنْ سِتَّةَ أَمْيَالٍ [\(5\)](#).

ص: 265

1- الروض المعطار: 156.

2- إشارة إلي حديث الغدير المتواتر. أنظر للتفصيل: موسوعة الغدير للعلامة الأمين.

3- معجم ما استعجم: 368 / 2.

4- مراصد الاطلاع: 315 / 1، معجم البلدان: 111 / 2.

5- معجم ما استعجم: 368 / 2.

قريةٌ من أمّهات القرى بالحجاز، وهو فعّالان، من الودّ.

وقال أبو الفتح: ودّان: فعّالان، من الودّ، فلا ينصرف، لزيادة الألف والنون، أو فعّال، من ودن إذا لان، فلا ينصرف للتعريف والتأنيث (1).

وفي (سير) ابن إسحاق: غزوة الأبواء، وهي غزوة ودّان. وقال البكري: من ودّان إلى مدينة الجار، وهو بئرٌ تنزل عليه القوافل، بينهما خمسة وثلاثون ميلاً (2).

وهي قريةٌ جامعةٌ في نواحي الفرع، بينها وبين هرشي ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال، قريب من الجحفة لضمرة وغفار وكنانة (3).

قال أبو زيد: ودّان من الجحفة علي مرحلة، بينها وبين الأبواء علي طريق الحاج في غربيتها ستة أميال (4).

(17) عقبة هرشي

بفتح أوّله وإسكان ثانيه، مقصورٌ علي وزن فعلي، جبلٌ من بلاد تهامة، وهو علي ملتقي طريق الشام والمدينة في أرض مستوية لا تُنبِت

ص: 266

1- معجم ما استعجم: 4 / 1374.

2- الروض المعطار: 608.

3- مراصد الاطلاع: 3 / 1429.

4- معجم البلدان: 5 / 365.

شيئاً، وهي قريبةٌ من الجحفة يُرى منها البحر.

وفي كتاب مسلم أنه (صلي الله عليه وآله) أتى علي ثنية هرشي فقال: «أي ثنية هذه؟»، قالوا: ثنية هرشي. قال (صلي الله عليه وآله): «كأنني أنظر إلي يونس بن متي (عليه السلام) علي ناقية حمراء جعدة، عليه جبّة من صوف، خطام ناقته خلبة وهو يلبي» (1).

وقيل: هرشي: هضبة ململمة لا تُنبت شيئاً، وهي علي طريق الشام وطريق المدينة إلي مكة، في أرضٍ مستوية، وأسفل منها ودان، علي ميلين ممّا يلي مغيب الشمس، يقطعها المصعدون من حجّاج المدينة، وينصبونمنها منصرفين إلي مكة، ويتّصل بها ممّا يلي مغيب الشمس خبت رملة، في وسط هذا الخبت جبلٌ أسود شديد السواد صغير يقال له: طفيل (2).

وعلي الطريق من ثنية هرشي إلي الجحفة ثلاثة أودية: غزال، وذو دوران، وكلية. تأتي من شمنصير وذروة، تنبت النخل والأراك والمرخ والدوم، وهو المقل، وكلّها لخزاعة، وبأعلي كلية ثلاثة أجبل صغار منفردات من الجبال، يقال لها: سنابك، وغدير خم: واد هناك، يصبّ في البحر.

وعلم المنصف: بين المدينة ومكة دون عقبة هرشي بميل.

وفي مسيل هرشي مسجد النبي (صلي الله عليه وآله)، وهو عن يسار الطريق في المسيل دون هرشي، وذلك المسيل لاصقٌ بكراع هرشي، بينه وبين الطريق زهاء

ص: 267

1- الروض المعطار: 592.

2- مرصد الاطلاع: 3 / 1455.

غلوة، وهناك كان يصلّي النبيّ (صلي الله عليه وآله) (1)).

(18) ذات الأصافر

جمع أصفر، محمولٌ علي أحوص وأحوص، وهي ثنايا سلكها النبيّ (صلي الله عليه وآله) في طريقه إلي بدر، وقيل: الأصافر جبال مجموعة تسمّي بهذا الاسم، ويجوز أن تكون سُمّيت بذلك لصفرها، أي خلّوها (2)).

وهي جبالٌ قريبة من الجحفة، عن يمين الطريق من المدينة إلي مكة، سُمّيت بذلك لأنها هضبات صفر (3)).

(19) بئر الطلوب بعد السقيا

بفتح أوّله وآخره باء موحّدة، يقال: بئرٌ طلوب، أي: بعيده الماء.

قال البلادي: وتعرف اليوم باسم (الحفّاة) من صدر القاحة علي الطريق بين شرف الأثاية والسقيا، علي مسافة ثمانية وثلاثين كيلاً شمالاً من السقيا (4)).

و(الطلوب) كانت لعمر بن عبد الله بن صفوان الجمحي في شعب

ص: 268

1- معجم ما استعجم: 4 / 1350.

2- معجم البلدان: 1 / 206.

3- معجم ما استعجم: 1 / 162.

4- المعالم الأثيرة: 176.

عمرو بالرمضة دون الميثب (1)، وهي من مياه بني عوف بن عقيل (2).

(20) لحي جمل

بالتحريك بلفظ الجمل الذي هو البعير، بئر جمل بالمدينة، ولحي جمل -- بفتح اللام وسكون الحاء -- موضع بين المدينة ومكة (3)، وهو إلي المدينة أقرب (4).

(21) وادي العبايد

بعد الألف باء أخرى ودال، وقد رُوي بباء في آخره بدل الدال، ورويغير ذلك، موضع في حديث الهجرة (5).

وقيل: (العبايب)، وهو بعد مدلجة تعهن في طريق الهجرة النبوية، فمن رواه العبايد جعله جمع (عباد) بتشديد الباء، ومن رواه (عبايب) كأنه جمع (عباب) بتشديد الباء، من عبيت الماء عبأ (6).

ص: 269

1- أخبار مكة: 2 / 225.

2- معجم ما استعجم: 3 / 893.

3- مراصد الاطلاع: 1 / 346.

4- معجم البلدان: 2 / 163.

5- مراصد الاطلاع: 2 / 912.

6- المعالم الأثيرة: 186.

وروي فيه أيضاً العثيانة، بالعين المهملة والثاء المثناة وياء آخر الحروف وبعد الألف نون، كل ذلك جاء مختلفاً فيه في حديث الهجرة (1).

(22) الفاحة

بالحاء المهملة، قيل: مدينة علي ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل.

وقيل: موضع بين الجحفة وقديد.

وقيل: في جبل ثافل الأصغر دوار في جوفه، وفيه بئران عذبتان.

وقد روي فيه الفاحة -- بالفاء والجيم -- في حديث الهجرة في السيرة (2).

وقاحة الدار وباحتها واحد، وهو وسطها (3).

(23) كليتة

بالضمة ثمّ الفتح وتشديد الياء، وفي الأغاني: كليتة قرية بين مكة والمدينة (4)، وكليتة، تصغير كليتة: واد يأتيك من شمنصير بقرب الجحفة.

وبكليتة علي ظهر الطريق ماء آبار، يقال لتلك الآبار: كليتة، وبهت سمي

ص: 270

1- معجم البلدان: 4 / 73.

2- مرصد الاطلاع: 3 / 1054.

3- معجم البلدان: 4 / 290.

4- أنظر: معجم البلدان: 4 / 479.

(24) المشلل

بالضمّ ثمّ الفتح وفتح اللام أيضاً، في طريق مكّة، جبلٌ يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر (2))، وهي ثنية مشرفة علي قديد، وفيه دُفن مسلم ابن عقبة صاحب وقعة الحرّة ونُبش وصُلب (3)).

قال يعقوب: عزور: واد قريب من المدينة، والمشلل: جبلٌ وراءه علي موطئ الطريق (4)).

(25) قديد

تصغير القدّ، من قولهم: قددت الجلد، أو من القدّ -- بالكسر --، وهو جلد السخلة، أو يكون تصغير القدد من قوله (تعالى): (طرائق قَدَدًا)، وهي الفرق. وسئل كثير فقيل له: لم سمي قديد قديداً؟ ففكر ساعة ثمّ قال: ذهب سيله قديداً.

ص: 271

1- مراصد الاطلاع: 3 / 1178.

2- مراصد الاطلاع: 3 / 1277، معجم البلدان: 5 / 136.

3- الروض المعطار: 560.

4- معجم ما استعجم: 4 / 1234.

قال ابن الكلبي: لما رجع تُبّع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديداً، فهبت ريحٌ قدّت خيم أصحابه، فسُمّي قديداً (1).

وهي في الطريق بين مكّة والمدينة، بينها وبين الجحفة -- ميقات أهل الشام -- سبعة وعشرون ميلاً، وهو حصنٌ صغيرٌ فيه أخلاط من العرب لها نخيلات يعيشون منها، وبين قديد والبحر خمسة أميال، وبينه وبين الجحفة ستة وعشرون ميلاً.

وبها كانت للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب (مناة)، فبعث إليها رسول الله (صلي الله عليه وآله) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهدمها.

وبها مات مسلم بن عقبة المرّي صاحب وقعة الحرّة منصرفه عن أهل المدينة بعد وقعة الحرّة.

وقديد كثيرة الماء والبساتين، وسُميت قديداً لتقدّد السيول بها (2).

وهي قرية جامعة، وهي لخزاعة، والمشلل: من قديد (3).

(26) خيمتا أمّ معبد

ويقال: بئر أمّ معبد، موضعٌ بين مكّة والمدينة، نزله رسول الله (صلي الله عليه وآله) في

ص: 272

1- معجم البلدان: 4 / 314.

2- الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري: 455.

3- معجم ما استعجم: 3 / 1054.

طريقه للهجرة (1)).

وخيمة أم معبد، ويقال لها: بئر أم معبد أيضاً (2)).

(27) خليص

حصنٌ وقرية، بين مكة والمدينة، قريبة من مكة، بها نخل وبركة كبيرة، يردها الحاج (3)).

(28) أمج

بفتح أوله وثانيه وبالجميم، قرية جامعة ما بين مكة والمدينة علي أميال من قديد، لها سور، وهي كثيرة المزارع، وأهلها خزاعة، وبها آثار كثيرة وبها نخل، وهي محلّة بني نمرة وجماعة من الناس، وفيها حوانيت وسوق (4))، وهي بلد من أعراض المدينة (5)).

والأمج -- في اللغة -- : العطش.

وقال أبو المنذر هشام بن محمد: أمج وجران: واديان يأخذان من حرّة

ص: 273

1- مرصد الاطلاع: 1 / 497.

2- معجم البلدان: 2 / 414.

3- أنظر: مرصد الاطلاع: 1 / 480، معجم البلدان: 2 / 387.

4- أنظر: الروض المعطار: 30، معجم ما استعجم: 1 / 190.

5- مرصد الاطلاع: 1 / 115.

(29) الكديد

بفتح أوله وكسر ثانيه، موضع بين مكة والمدينة بين منزلتي أمج وعسفان، وهو ماء عينٍ جارية، عليها نخلٌ كثير (2).

قال ياقوت: فيه روايتان: رفع أوله، وكسر ثانيه، وياء وآخره دالٌ أُخري، وهو التراب الدقاق المرّكل بالقوائم، وقيل: الكديد ما غلظ من الأرض، وقال أبو عبيدة: الكديد من الأرض خلق الأودية أو أوسع منها، ويقال فيه: الكديد، تصغيره تصغير الترخيم، وهو موضعٌ بالحجاز، ويوم الكديد من أيام العرب، وهو موضعٌ علي اثنين وأربعين ميلاً من مكة (3).

(30) عسفان

بلدٌ بين مكة والمدينة، بينها وبين مكة تسعة وأربعون ميلاً، وبينها وبين البحر عشرة أميال، وفيها آبار عذبة، وبين عسفان وقديد أربعة وعشرون ميلاً، وعسفان كثيرة الأهل خصيبة، ماؤها من الآبار.

وربّما كان في عسفان غدران بين أراك وأمّ غيلان، وبين الجحفة

ص: 274

1- معجم البلدان: 1 / 250.

2- الروض المعطار: 490، مرصد الاطلاع: 3 / 1152.

3- معجم البلدان: 4 / 442، معجم ما استعجم: 4 / 1120.

وعسفان غدِير حُمِّ (1).

قال في العريزي: وبين عسفان وبين الجحفة أحدٌ وخمسون ميلاً، ومن عسفان إلي بطن مرّ ثلاثة وثلاثون ميلاً، ثمّ إلي مكّة تسعة عشر ميلاً، فبين عسفان وبين مكّة اثنان وخمسون ميلاً (2).

قال ياقوت: بضمّ أوّله، وسكون ثانيه، ثمّ فاء، وآخره نون، فعلان، من عسفت المفازة وهو يعسفها، وهو قطعها بلا هدايةٍ ولا قصد، وكذلك كلُّ أمرٍ يُركَّب بغير رويّة.

قال: سمّيت عسفان لتعسف السيل فيها، كما سمّيت الأبواء لتبوء السيل بها.

قال أبو منصور: عسفان منهلةٌ من مناهل الطريق بين الجحفة ومكّة.

وقال غيره: عسفان بين المسجدين، وهي من مكّة علي مرحلتين.

وقيل: عسفان قريةٌ جامعةٌ بها منبر، ونخيل ومزارع علي ستّة وثلاثين ميلاً من مكّة، وهي حدّ تُهامة، ومن عسفان إلي ملل يقال له الساحل، ومله علي ليلةٍ من المدينة، وهي لخزاعة خاصّة، ثمّ البحر، وتذهب عنه الجبال الغرف.

وقال السكّري: عسفان علي مرحلتين من مكّة، علي طريق المدينة

ص: 275

1- الروض المعطار: 421.

2- المسالك والممالك: 27.

والجحفة علي ثلاث مراحل، غزا النبي (صلي الله عليه وآله) بني لحيان بعسفان وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوماً (1).

وهي لبني المصطلق من خزاعة، وهي كثيرة الآبار والحياض (2).

(32) غزال -- ثنية غزال

بلفظ الغزال، ذكر الطباء: ثنية، يقال لها: قرن غزال، قال الأزهري: الغزال الشادن حين يتحرك ويمشي قبل الاثناء.

قال عزام: وعلي الطريق من ثنية هرشي بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية مسميات منها (غزال)، وهو وادٍ يأتيك من ناحية شمنصير وذروة، وفيه آبار، وهو لخزاعة خاصة، وهم سكانه أهل عمود (3).

(33) كراع الغميم

بالضم، وآخره عين مهملة، موضعٌ بالحجاز بين مكة والمدينة، أمام عسفان بثمانية أميال، وهذا الكراع جبل أسود في طرف الحرّة يمتدّ إليه (4).

ص: 276

1- أنظر: معجم البلدان: 4 / 122، مرصد الاطلاع: 2 / 940.

2- معجم ما استعجم: 3 / 943.

3- أنظر: معجم البلدان: 4 / 201، معجم ما استعجم: 3 / 996.

4- مرصد الاطلاع: 3 / 1153.

(34) بطن مرّ

بفتح الميم، وتشديد الراء، من نواحي مكّة، عنده يجتمع وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً (1)، بالحجاز بالقرب من عسفان، وبينهما أربعة وثلاثون ميلاً، وهي قرية عظيمة كثيرة الأهل، حسنة المنازل، كثيرة النخل والزرع، فيها بركة، يجري الماء فيها من الجبل، فإذا خرجت من بطن مرّ فعلي أربعة أميال قبر ميمونة بنت الحارث زوج النبي (صلي الله عليه وآله)، وبعد ذلكعلي ستة أميال مسجد، ثمّ إلي بكة ستة أميال، يُحرم أهل مكّة ويخرجون إلي ذلك الموضع، وهو حدّ الحرم من ذلك الوجه، وحول الحرم أعلام منصوبة من جوانبه، ومن بطن مرّ إلي بكة ستة عشر ميلاً، وبطن مرّ متسع، وفيه قري كثيرة وعيون، ومنه تجلب الفواكه إلي مكّة (شرفها الله تعالى) (2).

(35) سرف

بالفتح، ثمّ الكسر، وآخره فاء (3)، موضع قريب من مكّة (4).

ص: 277

1- معجم البلدان: 1 / 449.

2- الروض المعطار: 93.

3- مراصد الاطلاع: 2 / 707.

4- الإشارات: 77.

قال البكري: هو بإسكان الثاني، ماءً علي ستة أميال من مكّة.

ويسرف مات عدوّ الله (تعالى) أبي بن خلف بسبب طعنة النبي (صلي الله عليه وآله) له بالحربة مرجعه من بدر في الخبر المشهور، ذكره ابن إسحاق مبسوطاً (1).

قال أبو عبيد: السرف: الجاهل.

وفي موطأ ابن وهب: الشرف، بالشين المعجمة وفتح الراء (2).

(36) مكّة

(36) مكّة (3)

المنازل في لفظ اليعقوبي:

قال اليعقوبي في (البلدان):

فأولها ذو الحليفة، ومنها يُحرم الحاج إذا خرجوا من المدينة، وهي علي أربعة أميال من المدينة.

ومنها إلي الحفيرة، وهي منازل بني فهر من قريش.

وإلي ملل، وهي هذا الوقت منازل قوم من ولد جعفر بن أبي طالب.

ص: 278

1- الروض المعطار: 312.

2- معجم البلدان: 3 / 213.

3- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شراب: 171.

وإلي السيّالة، وبها قومٌ من وُلد الحسن بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ، وكان بها قومٌ من قريش وغيرهم.

وإلي الروحاء، وهي منازل مزينة.

وإلي الرويئة، وبها قومٌ من وُلد عثمان بن عفّان وغيرهم من العرب.

وإلي العرج، وهي أيضاً منازل مزينة.

وإلي سقيا بني غفار، وهي منازل بني كنانة.

وإلي الأبواء، وهي منازل أسلم.

وإلي الجحفة، وبها قومٌ من بني سليم، وغدير خُمّ من الجحفة عليّ ميلين عادلاً عن الطريق.

وإلي قديد، وبها منازل خُزاعة. وإلي عفّان.

وإلي مرّ الظهران، وهي منازل كنانة.

وإلي مكّة.

... فيدخل الناس إلي مكّة من ذي طوي، وهي أسفل مكّة، ومن عقبة المديّين، وهي أعلي مكّة، ومنها دخول رسول الله (صلي الله عليه و

آله) (1).

ص: 279

1- البلدان لليعقوبي (ت 284): 153.

من المدينة الي الشجرة، وهي ميقات أهل المدينة ستّة أميال، ثم الي ملل فيها آبارٌ اثنا عشر ميلاً، ثم الي السيّالة فيها آبارٌ تسعة عشر ميلاً، ثم الي الرويثة فيها برك أربعة وثلاثون ميلاً، ثم الي السقيا فيها نهرٌ جارٍ وبستان ستّة وثلاثون ميلاً، ثم الي الأبواء فيها آبار تسعة وعشرون ميلاً، ثم الي الجحفة، وهي من تهامة، وفيها آبار، والبحر منها علي ثمانية أميال، وهي ميقات أهل الشام سبعة وعشرون ميلاً، ثم الي قديد فيها آبارٌ سبعة وعشرون ميلاً، ثم الي عسفان فيها آبارٌ أربعة وعشرون ميلاً، ثم الي بطن مرّ فيها عينٌ وبركة ثلاثة وثلاثون ميلاً، ثم الي مكّة ستّة عشر ميلاً (1).

طريق آخر

وطريقٌ آخر من مكّة إلي المدينة، وهو طريق الجبال، وفيه تحليق، وذلك أن يأخذ المارّ من مكّة في طريق الساحل إلي بطن مرّ، ثم إلي عسفان، ثم إلي قديد، إلي الخرار، إلي ثنية المرأة، إلي مدلجة مجاح، إلي بطن مرجح، إلي بطن ذات كشد، إلي الأجدد، إلي ذي شمر، إلي بطن أعداء، إلي مدلجة يعفر، ثم إلي العينا، إلي أذان القاحه، إلي طرف جبل

ص: 280

العرج، إلى ثنية الأعيار، إلى رثما، إلى حيِّ عمرو بن عوف، إلى المدينة (1).

الطريق الذي سلكه سيّد الشهداء (عليه السلام)

لقد اتّفقت المصادر أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) سلك بركبه الجادة العظمي والطريق العام، وأبي أن يحيد عنه، ولم يسلك الطريق الجبلي، ولا الطريق الذي يسلكه الجادّ في السفر، فالإمام (عليه السلام) خرج من دون إعلانٍ مُسبقٍ من مدينة جدّه (صلي الله عليه وآله)، وجدّ في السير وأسرع حتّى قطع المسافة بنصف المدة المعهودة للجادّ، بعد أن تضافرت الشواهد والأدلة علي عزم القوم علي محاصرته فيها والإقدام علي قتله إن هو أبي مناولة القرد، بيد أنّ هذا لا يعني أنّ الإمام (عليه السلام) كان يخاف من الموت أو القتال والقتل، إذ أنّ جدّه النبيّ (صلي الله عليه وآله) خرج من مكّة متخفياً تحت جناح الليل إلي المدينة المنورة، وتخفّي طول الطريق، ولا يعني ذلك أنّه (صلي الله عليه وآله) كان يخاف من الموت أو القتال، وكذا فعل الأنبياء والأوصياء من قبل، وفي الأحاديث والتاريخ شواهد كثيرة لا تخفي علي من راجع.

ص: 281

1- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدرسي (ت القرن 6): 1 / 143.

تبيّن لنا من خلال هذه الوريقات أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) وخامس أصحاب الكساء خرج من المدينة بعد أن دلّت الدلائل وسلوكيات الأعداء بالجزم أنّه مطلوبٌ للقتل، فخرج فجأة، ولم تبدر منه أيُّ بادرةٍ أو تصريح يفيد أنّه يبيّت الخروج بالمعني الاصطلاحي، ولم يحرض الناس ولم يحركهم ولم يدعهم، وقد خذله أهل المدينة وضيّعوه وتركوه وحيداً فريداً ولم ينصروه.

وقد خرج من المدينة ليلاً، وهو خائفٌ يترقب! ولا ضرورة لفرض أنّه كان خائفاً علي (خروجه بالمعني المصطلح) أن يُقبر في مهده وأن تُحصّر ثورته في المدينة، وإّما كان خوفه بوضوحٍ علي نفسه وأهله وعياله ومَن كان معه من مواليه وحشمه، وفق ما أشارت إليه تصريحاته ودلّت عليه مجريات الأحداث بجلاءٍ لا خفاء عليه، وليس في هذا الخروج فراژ من زحف، لأنّ المواجهة بعدُ لم تحصل، ولا فيه مساس بساحة القدس والشجاعة والقوة الربّانية المتمثلة بالإمام المعصوم (عليه السلام)، وقد هاجر جدّه (صلي الله عليه وآله) وغيره من الأنبياء والأوصياء حفاظاً علي حياتهم، وتخيراً للموقع

الأفضل للدفاع عن أنفسهم وأتباعهم، ورعايةً لحرّامات الله.

وسلك الطريق الأعظم، لأنّه لا يخشى القتل والقتال دفاعاً عن نفسه وحرّم الله التي كانت في ركبته، بيد أنّه تعجّل المسير حتّى قطع المسافة بنصف المدة المقرّرة للمسافر العادي المُجدّد في المسير.

وبالرغم من وجود الكثير من الخلائق ومَن يسمّونهم المسلمين في طريقه، سواءً كانوا مسافرين أو حجّاج ومعتمرين أو سكّان المنازل والمدن التي يمرّ بها في الطريق، وكان من بينها مدن كبيرة ومنازل عامرة أهلة، فإنّه لم يتريّث في الطريق، ولم يكن له معهم لقاءً يُذكر يشرح فيه لهم أسباب خروجه من المدينة أو يحرضهم أو يدعوهم للقيام بوجه الظالمين والغاصبين ومحاربتهم، وغيرها من مستلزمات الرجل الذي يبيّت (الخروج) علي الحاكم، ولم نسمع أنّ أحداً دعاه الإمام (عليه السلام) في الطريق فاستجاب له أو تبعه أو أعلن تمرّده علي الحكم القائم وأزلامه، بل لم يسجّل أيُّ نشاطٍ للإمام (عليه السلام) وغيره سوي حتّ المطايا والإسراع بالسير.

فمن العسير جدّاً تفسير حركة الإمام (عليه السلام) علي الطريق الأعظم، بالقول:

(إنّ الإمام (عليه السلام) أراد من وراء ذلك أمراً إعلامياً وتبليغياً للتعريف بقيامه ونهضته من خلال التقاء الركب الحسيني القاصد إلي مكّة بكلّ المازة والقوافل علي الطريق الأعظم، لأنّهم سيتساءلون عن سبب خروج الإمام (عليه السلام) من مدينة

جدّه (صلي الله عليه وآله) مع جُلّ بني هاشم ومنّ معهم من أنصاره، ويتعرّفون من الإمام (عليه السلام) مباشرةً علي أهدافه التي نهض من أجلها، فينضمّ إليه من يوقّقه الله (تعالى) إلي نصرته، وينتشر أمر هذا القيام المقدّس بين الناس في مناطق عديدة، فيتحقّق بذلك عملٌ إعلاميٌّ وتبليغيٌّ ضروريٌّ لتوسيع رقعة هذا القيام المبارك وكسب الأنصار له... (1).

ربّما كان هذا الكلام تكلفاً غير مستساغ، وتحميلاً للتحليلات الذهنيّة غير المعصومة علي حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) بين الحرمين، إذ أنّه يبدو كأنّه محض تحليلٍ وتحميلٍ لا ينهض به دليلٌ من التاريخ ولا شاهدٌ من مواقف سيّد الشهداء (عليه السلام) في تلك البقاع التي مرّ بها من المراحل والمنازل، بل الشواهد والمشاهد كلّها علي خلافه! وقد ذكرنا في ثنايا البحث أنّ حركة الإمام (عليه السلام) كانت في أشهر الحجّ والعُمرة، وأنّه كان مغدّاً لا يلوي علي شيءٍ حتّي قطع المسافة في نصف المدّة المعهودة، ولم يسجّل لنا التاريخ له ولا لمن معه نشاطاً يُذكر، ولا سأله أحدٌ عن سبب خروجه، ولا شرح الإمام لأحدٍ ذلك تبرّعاً... أجل، سمعنا بلقائه بابن مطيع، بمبادرةٍ من الأخير، علي فرض أنّه كان بين المدينة ومكّة، وقد كان الناس في شغلٍ عن سيّد الشهداء (عليه السلام) وما يمرّ به من محنةٍ ومعاناةٍ وملاحقةٍ من قبل الظالمين،

ص: 285

وتهديدٍ منجَز له ولعياله آل رسول الله وعترة النبي (صلي الله عليه وآله).

وصل الإمام (عليه السلام) إلي مكة، فدخلها دخولاً هادئاً كدخول أيِّ مُعتِمِرٍ أو حاجٍّ مع أهله وعياله، وأعلن للأشديق والعبدين ابن عباسٍ وابن عمر أنه جاء مكة مستوطنًا مقيمًا أبداً عائداً بالله وبيته وحرمه ما أحبّه أهلها ودفعوا عنه..

وقد انقضت الأيام الخمسة التي تصرّمت في الطريق علي سيّد الشهداء (عليه السلام) وركبه ومن كان معه من نساء وأطفال، وليس لهم همٌّ سوي دخول مكة، كما تشير إليه مجريات الأحداث، وسرعة الحركة وطوي المراحل وكبس المنازل..

وكان احتمال المطاردة والملاحقة حاضراً بقوة في بداية الطريق، ثم لم ينتفِ هذا الاحتمال إلا بعد دخول مكة، حيث انتهت الرحلة ببيت الله الحرام، وبقي الركب في مكة مدّة من الزمان مهدّداً، وهذا ما نرجو من الله أن يوفّقنا لمتابعته فيما يأتي من البحث في مستقبل الأيام، إن شاء الله (تعالى)، إنّه قويٌّ متين.

ص: 286

محتويات الكتاب

الديباجة..... 5

المقدمة..... 15

(1)..... 15

الإشارة الأولى: اعتماد ابن أعثم..... 17

الإشارة الثانية: تقرّد ابن أعثم..... 18

الإشارة الثالثة: معني الزيادة..... 19

الإشارة الرابعة: استدلالٌ مبنيٌّ علي الاجتهاد مقابل النصوص..... 21

الإشارة الخامسة: دلالات الوصيّة لا تنسجم مع الدعوي... 23

الإشارة السادسة: كفاية رفض البيعة... 23

الإشارة السابعة: دعوي لا تستقيم من رأس..... 23

الإشارة الثامنة: عرض الإمام (عليه السلام) أن يتركوه!.... 24

(2)..... 26

(3)..... 30

أولاً: خذلوا الإمام (عليه السلام) علي علم..... 31

ثانياً: التزام الناس بالبيعة ليزيد..... 31

ثالثاً: موافقة الوالي علي الإمهال..... 32

رابعاً: توفّر الفرص..... 32

ص: 287

خامساً: استثمار الطريق..... 33

سادساً: انطلاق الركب في الليل..... 34

سابعاً: دور السلطة!..... 34

(4)..... 36

(5)..... 37

(6)..... 38

مختصر ما حدث قبيل الخروج..... 43

الحصيلة في نقاط..... 52

سبب امتناع الإمام (عليه السلام) عن البيعة..... 57

سبب امتناع الإمام (عليه السلام) ببيان الإمام (عليه السلام) وتصوير العدو.... 59

شكوي سيّد الشهداء (عليه السلام) قبل الخروج..... 63

وداع الإمام (عليه السلام) لقبر جدّه وأمه وأخيه (عليهم السلام)..... 65

وداع أمّ سلمة..... 67

الودائع عند أمّ سلمة..... 69

وداع الهاشميّات..... 71

تاريخ خروج الإمام (عليه السلام)..... 75

القسم الأوّل: التاريخ..... 75

القول الأوّل: ليلة الأحد، يومين بقيا من رجب..... 75

القول الثاني: ليلتين بقيتا من رجب..... 76

القول الثالث: بقيّة من رجب..... 76

القول الرابع: ثلاث ليالٍ مضين من شعبان..... 77

القول الخامس: خمس خلون من شعبان..... 77

جمع الأقوال... 78

القسم الثاني: الزمان..... 78

القول الأوّل: الليل..... 78

القول الثاني: نهراً..... 79

جمع الأقوال... 79

ملاحظتان..... 80

الملاحظة الأولى: الخروج وقت السحر!..... 80

الملاحظة الثانية: حركة الإمام (عليه السلام) في الزمن الحرام..... 81

فخرج منها خائفاً..... 83

من خرج مع الإمام (عليه السلام)..... 87

جملة النصوص... 87

المجموعة الأولى: العناوين العامّة..... 89

المجموعة الثانية: المنصوص علي أسمائهم..... 90

المجموعة الثالثة: المستثني..... 91

النموذج الأوّل: محمّد ابن الحنفية..... 92

النموذج الثاني: عمر بن علي..... 92

النموذج الثالث: فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام)..... 93

النموذج الرابع: عبد الله بن جعفر..... 94

النموذج الخامس: أمّ البنين (عليها السلام)..... 95

رواية العلامة الدربندي..... 99

وقفَةٌ عجلي... 102

المشكلة الأولى: تفرّد العلامة الدربندي... 102

المشكلة الثانية: اختلال التوقيت... 102

ص: 289

المشكلة الثالثة: اتفاق المصادر علي وصول الكتب في مكّة..... 103

المشكلة الرابعة: مضامين غريبة... 103

النموذج الأوّل..... 104

النموذج الثاني..... 104

النموذج الثالث..... 104

النموذج الرابع..... 105

المشكلة الخامسة: تصريحه بالتوجّه إلى الكوفة..... 105

فائدة الخبر... 105

تصوير المازندارنيّ لهيئة الركب ومكوّناته..... 106

الخيّل أو النياق والتجهيزات.... 107

فرس رسول الله (صلي الله عليه و آله) 108

سيف رسول الله (صلي الله عليه و آله) 108

درع رسول الله (صلي الله عليه و آله) 109

عمامة رسول الله (صلي الله عليه و آله) 110

حربة رسول الله (صلي الله عليه و آله) 110

إحصائية المازندارنيّ لأفراد الركب..... 111

[أخواته]..... 111

1. زينب الكبرى (عليها السلام) 111

2. زينب الصغرى..... 111

3. خديجة..... 111

4. رقيّة الكبرى..... 112

5. أمّ هانئٍ..... 112

6. زينب الصغري..... 113

7. رملة الكبرى..... 113

8. رقيّة الصغري..... 113

ص: 290

9. فاطمة..... 113

10. خديجة الصغرى..... 114

11 و12. أم سلمة وأختها ميمونة..... 114

13. جمانة..... 114

[زوجات أمير المؤمنين (عليه السلام)] 114

1. الصهباء الثعلبية..... 114

2. أم مسعود بنت عروة..... 115

3. ليلى بنت مسعود..... 115

4. أم زينب الصغرى..... 115

5. أم خديجة..... 115

6. أم رقية الصغرى..... 115

7. أم فاطمة..... 115

8. أمامة بنت أبي العاص..... 115

[نساء أخريات]..... 116

1. أم كلثوم الصغرى بنت زينب الكبرى... 116

2. جمانة عمّة الإمام (عليه السلام) 116

[الجواري].... 116

[جواري السيّدة زينب]... 116

1. فضّة... 117

2. فقيرة..... 117

3. روضة..... 118

4. أمّ رافع..... 119

[جوارى الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام)] 119

5. ميمونة..... 119

[جوارى أزواج الإمام (عليه السلام)] 120

ص: 291

6. فاكهة.....120
7. حسنية.....120
8. كبشة.....121
9. مليكة.....121
- الموالي.....122
1. سُليمان بن أبي رزين.....122
2. قارب بن عبد الله الدؤلي.....122
3. مُنحج بن سهم.....123
4. سعد بن الحارث الخزاعي.....123
5. نصر بن أبي نيزر.....123
6. الحارث بن نيهان.....123
7. جون بن حويي.....123
8. أسلم بن عمرو.....124
9. عقبة بن سمعان.....124
10. علي بن عثمان الحضرمي.....125
- إخوته.....126
- 1_ 4. العباس (عليه السلام) وإخوته.....126
- 5 و6. محمّد الأصغر وأبو بكر.....126
7. عمر بن عليي.....126
8. عون بن عليي.....127
9. محمّد الأوسط.....127

أولاد جعفر بن أبي طالب..... 127

1. عون الأكبر بن عبد الله بن جعفر..... 127

2 و3. محمّد وعُبيد الله ابنا عبد الله بن جعفر..... 127

4. عون بن جعفر..... 128

ص: 292

5. القاسم بن محمّد بن جعفر..... 128

أولاد عمّه عقيل..... 128

1. جعفر بن عقيل..... 128

2. عبد الرحمان بن عقيل..... 129

3. محمّد بن أبي سعيد... 129

4. عبد الله الأصغر..... 129

5. موسى بن عقيل..... 129

6. عليّ بن عقيل..... 129

7. أحمد بن عقيل..... 129

8. مسلم بن عقيل..... 130

9_ 12. صبيّان من آل عقيل..... 130

زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) وأولاده..... 130

1. الحسن المثني..... 131

2_ 4. القاسم وعمرو وعبد الله... 131

5_ 7. أحمد وأختاه أمّ الحسن وأمّ الحسين..... 131

8 و9. محمّد وجعفر..... 131

10. أبو بكر..... 132

11_ 13. الحسين وطلحة وفاطمة..... 132

14_ 16. زيد وعبد الرحمان وأمّ الحسين..... 132

خروج ليلى زوجة الإمام (عليه السلام) 135

أدمي أخت الإمام الحسين (عليه السلام) 135

هل التحق بالإمام (عليه السلام) أحدٌ في طريق المدينة؟! 139

الوقفَةُ الأُولَى: مصدر الكلام..... 140

الوقفَةُ الثَّانِيَةُ: علي فرض الوقوف علي نسخةٍ خاصّة..... 141

ص: 293

- الوقفه الثالثة: سعة ديار جُهينة..... 141
- الوقفه الرابعة: التحاق الأعراب في طريق المدينة!..... 143
- الوقفه الخامسة: تصريح المامقاني... 143
- الوقفه السادسة: الأعراب!..... 144
- الوقفه السابعة: لم يدعهم الإمام (عليه السلام)!..... 145
- ملاحقة الإمام عند الخروج من المدينة..... 147
- مطاردة الركب في طريق مكّة..... 151
- جواب الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) 152
- الجواب الأوّل: البقاء علي الجادّة حتّي يقضي الله..... 152
- الجواب الثاني: أكثر صراحة.... 153
- الإفادّة الأوّلي: عدم الإنكار علي الملتمس..... 154
- الإفادّة الثانية: التمثّل بشعر ابن المفرغ..... 155
- الإفادّة الثالثة: التصريح في شعر المقتل..... 156
- سؤال!..... 157
- التأمّل الأوّل: السبب المنصوص..... 159
- التأمّل الثاني: التعليل الثاني..... 159
- التأمّل الثالث: سرعة الحركة.... 160
- التأمّل الرابع: اللقاء بكلّ المازّة والقوافل وتساؤلهم!..... 160
- التأمّل الخامس: ثمرة الافتراض..... 161
- التأمّل السادس: اختيار الطريق الأعظم والشرعيّة!..... 162
- إمكان المطاردة في الطريق..... 165

السبب الأول: الاستعداد الإعلامي... 165

السبب الثاني: الاستعداد العسكري... 166

الضرورة الأولى: معرفة الأعداء قوّة سيّد الشهداء (عليه السلام) 167

ص: 294

- الضرورة الثانية: منطقة حواضر..... 168
- الضرورة الثالثة: إمكان تحريك القطعات..... 169
- الضرورة الرابعة: احتمال حصول الأنصار..... 169
- الضرورة الخامسة: الظروف..... 170
- السبب الثالث: تخطيط العدو للاغتيال..... 171
- السبب الرابع: غموض الموقف..... 171
- السبب الخامس: زمام المبادرة..... 173
- السبب السادس: حركة الإمام (عليه السلام) في المنطقة الآمنة.... 174
- السبب السابع: صعوبة مطاردة ركبين في آنٍ واحد..... 175
- السبب الثامن: سرعة حركة الركب الحسيني..... 177
- الإلماعة الأولى: التخفي في الخروج..... 179
- الإلماعة الثانية: استعجال السير..... 180
- الإلماعة الثالثة: الوقت وإمكان اللقاء بالناس في المنازل... 181
- الإلماعة الرابعة: عدم تسجيل أي نشاطٍ في الطريق..... 181
- الإلماعة الخامسة: أزالام السلطة في الطريق..... 182
- لقاء أفواج الملائكة والجنّ مع سيّد الشهداء وجوابه (عليه السلام)..... 183
- الإشارة الأولى: تخوّف الملائكة من عدوّ يلقاه..... 185
- الإشارة الثانية: أفواج الجنّ تعدّ بقتل كلّ عدوّ..... 186
- الإشارة الثالثة: استشهاد المطلوبين..... 186
- الإشارة الرابعة: قتل العدو قبل أن يصل إلي الحسين (عليه السلام)..... 187
- الإشارة الخامسة: إقامة الحُجّة..... 187

لقاء عبد الله بن مطيع..... 189

المتابعة الأولى: مَنْ هو عبد الله بن مطيع؟ ... 189

المتابعة الثانية: قصد مكة بالذات أولاً..... 190

ص: 295

التأمل الأول: تصريح سيّد الشهداء (عليه السلام) 191

التأمل الثاني: خوف ابن مطيع علي سيّد الشهداء (عليه السلام) من القتل 192

التأمل الثالث: دعوات المكّيّين! 193

المعالجة الأولى: احتمال السقط 194

المعالجة الثانية: الاضطراب في المتن 195

المعالجة الثالثة: قبول الخبر 195

التأمل الرابع: الاستهزاء والاستنصار 197

التأمل الخامس: دعوة الشيعة من كلّ أرض 198

المتابعة الثالثة: موقف ابن مطيع 199

المتابعة الرابعة: مؤدّي اللقاء 200

لقاء العبدّين ابن عبّاس وابن عمر بالإمام! 203

المشكلة الأولى: ابن عمر في المدينة وابن عبّاس في مكّة 204

المشكلة الثانية: قول الشيخ ابن نما 205

المشكلة الثالثة: خروج ابن الزبير قبل الإمام (عليه السلام) 205

المشكلة الرابعة: اختلاف الطريق 206

لقاء ابن عمر وابن عيّاش! ... 207

النكزة الأولى: المناقشات السابقة 208

النكزة الثانية: مؤدّيات كلام ابن عمر 208

النكزة الثالثة: إعلان وجهة الإمام (عليه السلام)! 209

دخول مكّة المكرّمة.. الدخول الهادئ 211

تلاوة قوله (تعالى): (وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ ...) 212

الدلالة الأولى: المراد بالسبيل.....212

الدلالة الثانية: قراءة الآية عند الخروج وتتمتها عند الدخول.....213

الدلالة الثالثة: استمرار الملاحقة.....215

ص: 296

الدلالة الرابعة: الاستخارة..... 217

الدلالة الرابعة: طلب العافية والاستقرار في مكة إلى حين..... 218

الدلالة الخامسة: الإشعار بعدم تحديد المقصد الأخير..... 219

لماذا قصد الإمام (عليه السلام) مكة أولاً؟..... 221

القسم الأول: غير المنصوص..... 221

العامل الأول: حصانة مكة..... 221

العامل الثاني: قربها من المدينة..... 224

العامل الثالث: توفر الغطاء المسوّغ..... 224

العامل الرابع: توظيف فرصة تجمع المسلمين..... 225

السبب الأول: التوقيت الاضطراري..... 225

السبب الثاني: مواقف الإمام (عليه السلام) في مكة..... 226

قد يُقال:..... 226

القسم الثاني: المنصوص... 227

التصريح الأول: تصريح سيّد الشهداء (عليه السلام) بعلة قدومه إلى مكة..... 227

التلويح الأول: التصريح بسبب القدوم..... 228

التلويح الثاني: التلويح بالمطاردة..... 228

التلويح الثالث: خلوّ التصريح من التهديد وما بمعناه..... 229

التلويح الرابع: مناسبة الجواب للسؤال..... 229

التصريح الثاني: الإمام (عليه السلام) يُخبر ابن عباس أنه جاء مكة مستجيراً..... 229

التصريح الثالث: تصريح الإمام (عليه السلام) أنه جاء مستوطنًا..... 231

النقطة الأولى: الاستيطان والإقامة أبداً..... 232

النقطة الثانية: شرط البقاء..... 233

الشعبة الأولى: الحبّ..... 233

الشعبة الثانية: النصرة..... 236

النقطة الثالثة: فرض عدم توقّر الشرط..... 237

ص: 297

النقطة الرابعة: البديل 239

الموقف الأول: الاستبدال 239

الموقف الثاني: الاستعصام بكلمة إبراهيم (عليه السلام) 241

النقطة الخامسة: التشبيه بإبراهيم الخليل 242

المنازل بين مكّة والمدينة 245

المسافة بين المدينة ومكّة 245

المراحل بين الحرمين 246

المرحلة الأولى 246

المرحلة الثانية 247

المرحلة الثالثة 247

المرحلة الرابعة 247

المرحلة الخامسة 247

المرحلة السادسة 248

المرحلة السابعة 248

المرحلة الثامنة 248

المرحلة التاسعة 248

المرحلة العاشرة 248

منازل الطريق 249

(1) ذو الحليفة 249

(2) الحفير، أو الحفيرة (بئر) 249

(3) ملل، أو فرش ملل (الفريش) 250

(4) السبالة.... 251

(5) الروحاء..... 252

(6) عرق الظبية، ظبية..... 253

ص: 298

- (7) المنصرف (المسيحيد)..... 254
- (8) الرويثة.... 255
- (9) الصفراء..... 255
- (10) بدر..... 257
- (11) الأثاية..... 259
- (12) العرج... 260
- (13) السقيا... 261
- (14) الأبواء..... 263
- (15) الجُحفة..... 264
- (16) ودان.... 266
- (17) عقبه هرشي..... 266
- (18) ذات الأصافر..... 268
- (19) بئر الطلوب بعد السقيا..... 268
- (20) لحي جمل..... 269
- (21) وادي العبايد..... 269
- (22) القاحه..... 270
- (23) كليّة..... 270
- (24) المشلل..... 271
- (25) قديد.... 271
- (26) خيمتا أم معبد.... 272
- (27) خليص..... 273

(28) أمج..... 273

(29) الكديد..... 274

(30) عسفان..... 274

(32) غزال -- ثنية غزال..... 276

ص: 299

(33) كراع الغميم..... 276

(34) بطن مرّ..... 277

(35) سرف... 277

(36) مكّة.... 278

المنازل في لفظ اليعقوبي..... 278

طريق الجادّ من المدينة الي مكّة... 280

طريقُ آخَر... 280

الطريق الَّذي سلّكه سيّد لشهداء (عليه السلام) 281

الخاتمة... 283

ص: 300

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

